جامعة الأزهر
الدراسات الإسلامية والعربية
فرع البنات - القاهرة

النقد الأدبي الحديث
بين
الموضوعية والتطبيق

الدكتورة
نادية أحمد مسعد محمد

إهداء

إلى من علمنى أجمل سمات الانتماء

إلى من غرس فى نفسى أرقى ملامح العطاء

لأساتذتى وطالباتى وكليتى وجامعتى الزهراء

إليك أستاذى صاحب الشرف والعلاء

منبع الأصالة وفيض العلم ومنار الوفاء

إلى أستاذى :

طه مصطفى أبو كريشة

أهدى آيات الولاء

نادية أحمد مسعد محمد

أولاً : الدراسة الموضوعية

مفهوم النقد الأدبى الحديث:

النقد الأدبى الحديث يرمى إلى التقدير الصحيح لأى أثر فنى وبيان قيمته فى ذاته ودرجته بالنسبة إلى سواه فكلمة النقد تعنى فى مفهومها الدقيق الحكم والنقد الأدبى فى أدق معانيه هو فن دراسة الأساليب وتمييزها على أن نفهم لفظه الأسلوب بمعناها الواسع وهو منحى المنشئ العام ومنهجه فى التأليف والتعبير والتفكير والإحساس .

فللنقد مهمتان : مهمة التفسير ومهمة الحكم

وبإيجاز النقد الأدبى هو الحكم الذى نصدره على الشعر والنثر وهو عند المحدثين تقدير النص الأدبى تقديراً صحيحاً وبيان قيمته ودرجته الأدبية وهو تحليل الآثار الأدبية

والحكم عليها وبيان قيمتها العامة والموازنة بينها وبين ما يشابهها من الآثار .

وعلى هذا فأصول النقد:

١ – القراءة
٢ – الفهم
٣ – التفسير
٤ – التحليل
٥ – الحكم

ومن الجدير بالذكر ان تحليل الأثر الأدبى يعنى إلى كشف حيويته سواء كانت هذه الحيوية من ذات النص الأدبى مستقلة عما عداه ام جاءته من إنتمائه إلى جنس أدبى خاص ام جاءته من منشئه (المبدع والمعبر) ام جاءته من بيئته أو من صلته بالميراث الأدبى أو الميراث الفكرى .

موقف الناقد من المقاييس الادبية :

يجب على الناقد الأدبى أن يكون حاكماً عادلاً يدرس خصائص النص الأدبى بدقة واتفاق ويتناول عرض الاصول الفنية ومدى تمتع النص بها ويجب عليه أن يتجنب العصبية نزيها فى تقويم العمل ولهذا يجب على الناقد الإلمام بالظروف المختلفة التى أسهمت فى النص الأدبى مثل دراسة شخصية الأديب – ثقافته – بيئته وهكذا وعلى الناقد الإلمام بالتراث النقدى الموروث ليقف على درجة الأصالة ويبرز لنا التجديد فى المقاييس النقدية الحديثة .

المقاييس النقدية :

المقياس الذاتى : إن المهمة الأولى للأدب التنفيس والتعويض وبمقدار ما يستطيع الأدب أداء هذه المهمة تكون قيمته فى نظر الناقد .

المقياس الخلقى : يرى بعض النقاد أن مهمة الأدب تبرز فى نشر الخير والنفع العام وبهذا نقف على وظيفة النقد الأدبى التى تتبلور فى تقويم العمل الأدبى من الناحية الفنية وبيان قيمته الموضوعية والتعبيرية والشعورية .

وللنقد الأدبي الحديث أدوات:

١ – التحليل : أي فحص العمل الفني وبيان درجة الترابط الجزئي والكلي بين أفكاره ومعانيه

٢ – المرازنة : وهي ربط العمل الفني بالتراث الذي ينتمي إليه وكشف موضعه من التراث

وللنقد الأدبي أنواع:

النقد الذاتي أو التأثيري و هو الذي يعتمد على الذوق الخاص والتجربة الشعورية والمنهج الموضوعي

النقد الاعتقادي : وهو النقد الذي تتحكم فيه عقائد وآراء خاصة عند الناقد وهو يحمل بين ثناياه معنى التعصب والميل إلى نزعة خاصة وكلما تحرر الناقد في نقده من آرائه ومعتقداته كان نقده أقرب إلى الحقيقة وسلمت أحكامه من الجور .

النقد اللغوي : وهو النقد الذي يحكم فيه على الأثر الأدبي حكماً لغوياً يرتكز على الأسس الأسلوبية والنحوية المكررة

النقد التاريخي : وهو النقد الذي يحاول تفسير الظواهر الأدبية والمؤلفات وشخصيات الكتاب على أساس من معرفة الماضي الموروث والحاضر الذي أثر فيهم والناقد يقوم الأدب ويقدره وينظر إلى قيمة النفع في المعنويات وهي الأخلاق والمعتقدات الذي تهذب السلوك وتنظم المعاملات .

مقياس الإمتاع :

الأدب من غايته الإمتاع ينظر الناقد إلى درجة الإمتاع التى حققها الأثر ثم يقوم هذه الدرجة أثناء الحكم على الأثر الأدبى .

مقياس صدق التعبير :

والمراد أن يكون الناقد صادقاً فى التعبير عن التجربة الأدبية عند المنشئ .

مقياس الهدف الشخصي :

إذا حدد المنشئ هدفه من عمله الأدبى على نحو ما فعله العقاد فى ديوانه عابر سبيل حين قرر أن الشعر ينبغى أن ينمو نمو موضوعات الحياة اليومية بهذا المقياس نحاكم المنشئ إلى ما قرره ونقف على مدى توفيقه وليس معنى هذا أن نلزم الناقد أن يقتنع فكرياً بما قرره الأديب عن نفسه .

مقياس مواطن الجمال :

يتناول فيه الناقد مواطن التناسق والإنسجام والتوفق والترابط بين الشكل والمضمون .

بواعث الاثر الفنى

الإلهام :

الإلهام أو الوحى الربانى هو مصدر الفن فى رأى أفلاطون فالرب عنده يتجلى على الشاعر ويبث فى روعه فإذا هر ينطق على لسان ربه نشيداً أوفنا وكلما زاد الرب على عبده الشعر غمره بفيض ربانى من الفن وعلى هذا يفقد

الشاعر أمام ربه بصيرته وسائر مدركاته .

وربات الشعر عند اليونان تسع ووظيفتهم التسلط على الشعراء والإستحواذ عليهم وكل واحدة تختص بنوع معين من الشعر كما أشار سقراط لكل شاعر ربه ورب هؤلاء الأرباب أبولو رب الشعر والفن الأعظم .

ولم تكن دهشة العرب من عمل الشاعر وقوله أقل من دهشة اليونان والرومان فإن دواوين العرب تبسط الحديث عن ظاهرة الإلهام فلا تجعلها جهداً إنسانياً وإنما تردها إلى قوة خارج أنفس الشعراء تؤثر فيهم وتلغى إيرادتهم وترسل الشعر على ألسنتهم إرسالاً وهى .

كما يتصور العرب قوة الشياطين أو الجن فلكل شاعر شيطان أو جنى يقول الشاعر على لسانه .

ولما جاء الإسلام حارب هذه الأوهام وأمر المسلم يستمدعونه من الله وحده ولكن خرافة شيطان الشاعر بقيت ماثله أمام النقاد والعرب وإن كانوا قد بدلوا امن الشيطان (الملك) ومن ذلك ما نقله الثعالبى عن حسان بن ثابت انه كان يجيد الشعر فى الجاهلية ويدعى أن له شيطاناً يقول الشعر على لسانه كعادة الشعراء .

فلما أدرك الإسلام وتبدل الشيطان ملكا تراجع شعره ورك فعلم ان الشيطان أصلح للشعر وأليق به وأذهب فى طريقه من الملك . وبتأثير هذه النزعة كذلك ذهب الشاعر هوراس شاعر الرومان فى قصيدته (فن الشعر) إلى أن الشاعر

صديق الآلهة وكان افلاطون يذهب إلى أنه لا قيمة للشعر إلا اذا كان صادرا عن عاطفة مشبوبة وإلهام يعترى الشاعر فيه ما يشبه النشوة الصوفية فلا تكفى الصنعة وحدها لخلق الشعر .

العبقرية : تعنى العبقرية التفوق والإمتياز البشرى وان كانت فى أصلها مشتقة عند العرب من عبقر وهم طائفة من الجن أو هو واد لهم بالبادية نسبو إليه كل شئ تعجبوا من حذقه أو جودة صنعته أو قوته فقالوا : فيه عبقرى .

وأصل هذا كله هو الحيرة من كل عمل لا يستطيعه سواء الناس ورد حذق القلة منه إلى كائن غير بشرى وذلك من شأنه طغيان الشعور بالفردية .

ولعل النزعة الافلاطونية التى تمجد العبقرية الملهة وتجعلها مصدر الشعر والوحى لا تزال هى سر نزعة الكثيرين من الأدباء والنقاد فى أوربا الذين يفسرون سر الجمال .

فى الفنون وفى الشعر خاصة على أنه أثر للموهبة أو العبقرية التى يعجز الفكر عن تحليلها لانها هبة السماء وأخر من ذهب إلى تمجيد العبقرية هو كروتشيه الناقد الايطالى وهم فى غالب الأمر متأثرين بالنزعة الرومانتيكية الابتداعية التى نشأت معها الأفكار الجديدة فى النقد بكل أشكاله فى القرن التاسع عشر والتى تنظر إلى الأدب على أنه من نتائج الانسان وعبقريته وأن مهمة النقد هى تفسير ذلك الأدب تفسيراً علمياً باعتباره تجربة حيد للفرد فى بيئته الخاصة .

الطبع : الطبع فى الأصل هو السجية التى جبل عليها الانسان يقال فلان مطبوع على الكرم .

والمطبوع من الشعراء عند ابن قتيبة من سمح بالشعر واقتدر على القوافى واراك فى صدر بيته عجزه وفى ما تحته قافيته وتبنيت على شعره رونق الطبع .

وعند ابن قتيبة ان الشعراء مختلفون فى الطبع فمنهم من يسهل عليه المديح ويعسر عليه الهجاء ومنهم من يتيسر له الرثاء ويتعذر عليه الغزل .

وقد توهم نقاد العرب فى القرنين الثالث والرابع من الهجرة ان الاقدمين من الشعراء سبقوا بالطبع وفازوا به ويبين هذا ابن طباطبا فيما يقول عن أشعار المولدين فيرى فيها عجائب أفادها المولدون ممن تقدمهم وتطفوا فى تناول أصولها ولكن المحنة فى هذه الأشعار أن

الأقدمين سبقوا إلى كل معنى بدبع ولفظ فصيح وحيله لطيفة وخلابة ساحرة فإن اتى المولدون بما يقصر عن معانى الاقدمين ولا يربى عليها مل المولدون واطرحوا فلقد كان من قبلنا فى الجاهلية وفى صدر الإسلام يؤسسون أشعارهم فى المعانى التى ترمى إلى الصدق فى المديح والهجاء والفخر والوصف ترغيبا وترهيبا .

أما المولدون فإنما يحابون على ما يستحسن من لطيف ما يوردونه من الأشعار وبديع المعانى وبليغ ما ينظمونه من الألفاظ دون حقائق ما يشتمل عليه من المدح والهجاء وسائر الفنون القولية .

والحقيقة أن الله لم يختص بصفاء قوما دون قوم ولا عصر دون عصر وأن الأصالة موجودة فى كل بيئة ولا تقف أمامها عقبة تمنعها من الابداع والتصرف .

الصنعة : عرف الاغريق القول بالصنعة فى الشعر وفى الفَن بعامة جين خالص أرسطو رأى من سبقه ونادى بأن الشعر صناعة فهو يتطلب جهدا ومعاناة ووضع من أجل ذلك عددا من القواعد فى كتابة (فن الشعر) .

ويقال إن ابن المعتز هو علم مذهب البديع أو مذهب الصنعة فى الشعر العربى وقد تأثر بأرسطو وخاصة فيما يتعلق بالعبارة وتركيبها وما يدخل عليها من المجاز وسائر الصنعة اللفظية ونلاحظ أن مصطلح البديع لم يكن قد تحدد مدلوله .

قبل ابن المعتز فالبديع عند الجاحظ هو البيان الحسن والتفنن فى التعبير والولوع بالتشبيه وجاء ابن المعتز فحصر فنون .

البديع فى خمسة أبواب رئيسية (الاستعارة – التجسينس – المطابقة – رد أعجاز الكلام على ما تقدمها والمذهب الكلامى ويتبعها عدد من الأبواب الفرعية مثل حسن التشبيه وحسن الالتفات .

عناصر النص الادبى

النص الأدبى الذى نقرؤه أو نسمعه ويؤثر فينا تأثير ايجابيا فيثير مشاعرنا ويحرك عواطفنا ويؤجج خواطرنا ويبعث فينا الحماسة والشجاعة وحب الجمال لهذا النص الأدبى عناصر ومقومات يتألق منها ويستمد روحه من كيانها ويعمل عمله فى النفوس والألباب عن طريقها

ولقد كان القدماء يرجعون هذه العناصر إلى المعنى حينا وإلى اللفظ حينا آخر وإليهما معا فى أحيان كثيرة وكان الجاحظ يرى العنصر الفعال فى البلاغة الأدبية هو النظم والاسلوب وعلى نهجه ساد عبد القاهر الجرجانى وقد بين النقاد المحدثون أن الجمال فى الأثر الأدبى يرجع إلى اندماج عناصره وهى .

١ – الأسلوب (الصورة الأدبية)

٢ – المعنى (الفكرة)

٣ – العاطفة

٤ – الخيال

١ – **الأسلوب** : الصورة الأدبية ركن من أركان الأدب وتبرز الصورة من خلال التعبير بأسلوب جميل عن عاطفة الأديب والصورة هى الشكل فى النص الأدبى وبهذا يكون الشكل فى النص الأدبى يعنى الأسلوب والمنهج وقد تحدث إبراهيم ناجى عن معنى الصورة الأدبية فذكر أن الشعر يجب أن يكون أسلوبه معبراً بالصورة أى يرسم الأسلوب مواقف الشاعر وافكاره وتجاربه وانفعالاته رسماً معبراً قويا واضحا وتتكون عناصر الصورة من الدلالة المعنوية للالفاظ والعبارات ويضاف إلى ذلك الايقاع الموسيقى للكلمات والعبارات والصور والظلال التى يشعها التعبير .

والصورة المثيرة للالتفات هى القادرة قدرة كاملة على التعبير عن تجارب الأديب ومشاعره والتى تتجمع فيها روعة الخيال والموسيقى ووحدة العمل الأدبى وشخصية الأديب وتخيره للألفاظ .

والألفاظ من أبرز مواد الأسلوب ولهذا يقف الأديب أمامها طويلا يؤثر لفظة على لفظة ويفضل كلمة على كلمة وكثير من النقاد يقول إننا نفكر بالألفاظ أى أن الالفاظ مظهر إدراكنا الفكرى والذوق والموهبة والمقدمة اللغوية تتحكم فى ذلك إلى حد كبير وعمل الأديب تهيئة الجو الفنى للألفاظ لتشع على قارئها وسامعها الصور والظلال والايقاع .

وموهبة الأديب تجعل أسلوبه مملوء بالحيوية والمتعة والتأثير والأديب المتفوق هو الذى لا يقلد فى لفظه ولا فى عباراته أحد من القدماء والمحدثين ولهذا فالأسلوب تعبير عن تجربة شعورية وترتيب الكلمات يجب أن يكون وفق ترتيب المعنى فى الذهن فإذا كان الأسلوب مضطرب فمعنى ذلك أن المعانى والأفكار غير واضحة فى نفس الأديب .

وفى الشعر نجد أن أسلوب الصياغة الشعرية تعد بمثابة الجسم فى القصيدة أما التجربة فهى الروح والصياغة والصورة الشعرية هو الشكل فى النص الشعرى والنص الأدبى

٢ - المعانى (الأفكار) :

الفكرة أو المعنى أو المعانى من عناصر الأدب ومقدماته وهى الأساس الأول للاعتراف بقيمته وهى كذلك (أساس العاطفة والأدب الذى ينقصه الفكرة أدب خامل ضعيف لأن الأدب ليس أسلوبا وتعبيراً فحسب بل لابد فيه من أن يضيف إلى معلوماتنا جديدا عن الكون والحياة والوجود والناس ويجب أن تكون الأفكار والمعانى فى الأدب واضحة ليس فيها لون من التعقيد المعنوى

والأديب يجب أن يتناول فى النص الأدبى من الأفكار ما هو وثيق الصلة بالموضوع ،بالمقام ويجب على الأديب أن يكسب أفكاره ومعاينة الصدق والقوة ويرجع ذلك إلى موهبة المنشئ الفنية .

٣ - **العاطفة** : العاطفة أو الانفعال النفسى تعنى بها الحالة التى تتشبع منها نفس الأديب والشاعر بموضوع أو فكرة أو مشاهدة وتؤثر فيه تأثيراً قوياً يدفعه إلى التعبير عن مشاعره والإعراب عما يجول بخلده على أن الانفعالات المختلفة من غضب وخوف وفرح ورضا وأمل وألم إنما هى حالات وجدانية مركبة .

فالعاطفة هى الانفعال ولها أهميتها فى النص الأدبى فهى عنصر من أهم عناصره والعاطفة متشعبة بمعنى أنها تنبع من الاديب وأبطال العمل والمتلقى ويجب أن تكون واحدة قوية صادقة لتدل على أصالة الأديب وصدقه وبالتالى أصالة العمل وصدقه وخلوده والعواطف الأدبية كثيرة متعددة

منها العواطف النبيلة مثل الحب والاحترام والاعجاب والفرح وللعاطفة الأدبية مقاييس منها :

١ - صدق العاطفة وذلك بأن يكون النص الأدبى منبعثاً عن انفعال صحيح .

٢ - قوة العاطفة وروعتها وليس المراد بقوة العاطفة ثورتها وانما المراد عمقها وسموها .

٣ - ثبات العاطفة واستمرارها أى استمرار سلطانها على المنشئ .

٤ - تنوع العاطفة وسعة مجالها فأعظم الشعراء هم الذين يقدرون على إثارة

العواطف المختلفة فى نفوسنا بدرجة كبيرة من حب وحماسة وإعجاب وشفقة وإجلال .

وبهذا فالعاطفة عنصر هام من عناصر النص الأدبى وهى التى تميزه عن النص العلمى .

الخيال :

الخيال من عناصر الأثر الأدبى وتمتاز الصورة العقلية أو ما نسميه خيالاً بعدة خصائص منها :

١ – الصورة العقلية تكون أقل وضوحاً من الصور الحسية

٢ – أنها لا تقيدها قيود المكان والزمان

٣ – أنها قابلة للتصوير حسبما يراه الأديب

والصور التى نتصورها بملكاتنا قد تكون صورا لأمور مدركة بالبصر أو السمع أو اللمس أو الشم أو الذوق أو الحركة وقد تكون هذه الصورة مطابقة للإدراك الحسى تمام المطابقة وقد تكون من باب التخيل الابتداعى أو الإبتكارى .

وعلماء البيان يقسمون الصور المستحضرة فى ذهنك إلى قسمين :

١ – صورة ترتسم فى الخيال بعد إدراكها بالحس المشترك .

٢ – صور ترتسم فى خيالك وهى معدومة فرض اجتماعها من أمور كل واحد منها مما يدرك بالحس .

ومهما يكن فإن لعنصر الخيال شأنا كبيرا فى الأعمال العقلية وفى الحياة العملية نفسها فهو خطوة أرقى من الإدراك الحسى ومن مجرد التذكر نفسه

فالتخيل يعين الانسان على استغلال الماضى للمستقبل .

ولهذا العنصر أيضاً أثره فى النص الأدبى فالشاعر يلتقط كل ما رأى وما سمع طول حياته .

وتبدو صور الخيال فى النص الأدبى فى التشبيه والمجاز والاستعارة والكناية والخيال هو الأداة اللازمة لإثارة العاطفة واشعالها وهو الذى يملك به المنشئ نفس المتلقى ويجعلها تتعجب وتطرب من مشاهد الصور فى القصيدة .

- ويجب فى الخيال أن يكون متألفا متقسما لا عيب ولا شئ يشوب اتفاقة واتساقه

التجربة الشعورية

تتسع نفس المنشئ للوجود ومظاهره ولما يضطرب به الناس فى الحياة ولما يتصور فى عالم الخيال وذلك كله ينعكس فى نفس المنشئ ويهيج فيها مختلف الانفعالات والعواطف والأحاسيس

وأقرب المواد التى يستقى منها الشاعر موضوعه هى مشاعره وما يزال الأثر الفنى خاطراً يجيش فى صدر الشاعر حتى يجد مخرجاً ويصيب متنفسا أى يتحول من رؤية إلى موقف ذى معالم وله كيان ينمو بمقدار الرؤية وانكشافها لدى الشاعر .

ويقول بعض النقاد أن العمل الأدبى هو التعبير عن تجربة شعورية فى صورة موحية فالعمل الأدبى وحدة مؤلفة من الشعور والتعبير والانفعال بالتجربة الشعورية يسبق التعبير عنها ولهذا فان القيمة الفنية للقصيدة هى اتفاق تجربتها الشعرية مع صياغة هذه التجربة .

والتجربة الشعورية تشتمل على حدث فكرى نفسى أى موقف معين عاشه

المنشئ أو عاش فيه من فاتحته إلى خاتمته لأول مرة بحيث أبرزه عملا قائما بنفسه عملا له كيانه وله صفاته وله وضوح التجارب الكبرى التى تمر بنا فى حياتنا ففيه وضوح الرؤية وهو يتكون من جزئيات كثيرة ركز فيها الشاعر تأملاته وتنقل تنقلا طبيعيا من جزء إلى جزء

والأحاسيس والمشاعر هى أهم العناصر فى القصيدة أو التجربة الشعورية ومن روافد التجربة كذلك الفكر أو العقل إذ هو الذى ينظم الأحاسيس ويهيمن عليها ويقيم من شتاتها بناء متكاملا ويأتى بعد ذلك الخيال بتركيبة للصور والموسيقى بإيحاءاتها الحالمة .

ولا بد أن تكون التجربة صادقة بأن يكون الشاعر قد عاشها أو أدام فيها ملاحظته واستغراقه وعاش فى حقيقتها الفنية

وللتجربة مقومات : كل ما فى الحياة من أحداث ومشاهد صالح لأن يكون تجربة شعورية وتتسم التجربة بالحيوية إذا قدر الشاعر على أن يظهر فيها معالم شخصيته الفنية بحيث لا تنسب إلا إليه ومقومات هذه الحيوية :

١ – ان تتضح فى نفس الشاعر من حيث عناصرها وأبعادها ومعالمها

٢ – ان يقف فكره إلى جانب خياله ويرتب عناصر تجربته حتى تبدو كائنا حيا سويا لكل عنصر وجزء فيه مكانه المحدد ودوره المرسوم .

٣ – أن يظهر فيها عنصر الصدق والاقتناع النفسى للشاعر فتجئ تعبيراً أميناً عن شعوره ووجدانه لأن الصدق هو الذى يمنحها القوة والقدرة على اثارة المتذوق والتأثير فيه وكلما علا روح المنشئ وارتقى شعوره وصدق وجدانه فرض وجوده على أدوات العمل الفنى من الفاظ وعبارات وصور وفى هذا أصالة ومصدر للإحساس بالجمال .

٤ – أن يكون وراء التجربة مغزى يفيد الحياة ويبرز تعب الشاعر فى إخراجها والمتذوق فى تذوقها .

أنواع التجربة : والتجربة الشعورية أنواع

١ – التجربة شخصية أو ذاتية وهى تجربة الأديب ذاته حين ينفعل بها فينقلها إلى دائرة العمل الأدبى ويجب على الناقد تجاه هذه التجربة استقصاء الخصال النفسية للأديب صاحب التجربة والكشف عن خباياها والنفاذ إلى أعماقها .

التجربة التاريخية : حيث يتخير الأديب من التاريخ ما شاء من تجارب فيجعلها عملا أديبا والأديب لا يخرج التجربة كما وقعت فى التاريخ واما يخرجها من الخصوص إلى العموم فتصبح التجربة مثالا بشريا عاما يرى كل فرد فيه نفسه أو نفس غيره وقد يكتفى الأديب بالخطوط العامة أو القيم الإنسانسة الثابتة وله أن يتصور الأحداث لكنه ويتميز منها ما يريد ولا يتقيد بجزئيات ما وقع فعلا والناقد هنا يهمه درجة صدق المنشئ ومدى ترابط أجزاء العمل الأدبى .

التجربة الاجتماعية : وفيها يتميز الأديب مشكلة اجتماعية من المعاصر والناقد ينظر إلى مدى إصابة المنشئ فى معالجة المشكلة وكشف طرحها مع الاهتمام بتقويم الاثر فنيا .

التجربة الأسطورية : وفيها يتناول الأديب من الأساطير ما شاء ومن التجارب البشرية ويتخذ منها هياكل لأدبه بشرط أن يتسم الأديب بسعة الخيال بحيث يستطيع تجسيم رموز تجربته إلى كائنات بشرية تفكر وتحس وتتألم هنا ينظر الناقد إلى درجة حيوية العمل ودرجة توفيق المنشئ فى بعث الروح فى

رموزه كما ينظر إلى المغزى الإنسانى الجديد الذى من أجله خاض المنشئ تجربته الأسطورية .

الوحدة العضوية

يعنى النقاد بالوحدة العضوية للقصيدة أن تكون بنية حية تامة الخلق والتكوين فليست القصيدة ضربا من المهارة فى صياغة أبيات من الشعر وانما هى بناء تام وعمل متكامل ينقسم إلى وحدات تسمى أبياتاً وكل بيت خاضع لما قبله لا تحجزه عنه خيوط بل هى خيطاً من النسيج المترابط يدخل بعضه فى تكوين الأخر .

فالقصيدة إذن ليست خواطر متناثرة تتجمع فى إطار موسيقى إنما هى بنية نابضة بالحياة تتجمع فيها إحساسات الشاعر وذكرياته لتكون مزيدا من حقائق وجدانية وعقلية . (١)

وبهذا فالأثر الأدبى مجموعة من عناصر مترابطة متداخلة تصوغها بصيرة الشاعر لتصور خبرته ومعرفته إزاء حدث نفسى أو إجتماعى حدث لا تزال نفسه تنفعل به وتهتز إزاءه فى خطوط وإتجاهات مختلفة حتى تتدفق عليه الإحساسات وقد أخذ بعضها برقاب بعض إحساسات تصور صلة المنشئ بالحدث فى حقيقته الجزئية وصلته به من خلال حقائق الوجود

الوحدة فى القصيدة الجاهلية : رأى بعض النقاد أن القصيدة فى العصر

---

١ - راجع د / شوقى ضيف النقد الأدبى
د / عبد المنعم خفاجى النقد الأدبى الحديث
د / محمد السعدى فرهود قضايا النقد الأدبى الحديث

الجاهلى لم تعرف الوحدة

العضوية معرفة واضحة فالقصيدة فى هذا العصر أشبه بالفضاء الواسع الذى كان يترامى تحت عين الشاعر الجاهلى فالشاعر الجاهلى شاعر حسى يركز حسه فى معنى أو بيت ثم ينتقل سريعا إلى فكرة جديدة بمعنى

أن القصيدة الجاهلية تتألف من أبيات متجاورة وكل بيت له كيانه وإستقلاله ولكل بيت وحدته المستقلة .

وقد استدل العقاد بضعف وحدة القصيدة فى الشعر الجاهلى على أن الشعر فنا يستقل بضاعته الخبيرون به

ويقول نولد كه المستشرق الهولندى المشهور فى أحوال كثيرة يحتفظ الشاعر الجاهلى بوحدة الفكر فى القصيدة بأن يجعل كل قسم من أقسامها خاصا بوصف مناظر وحوادث من حياة الشاعر نفسه أو الحياة العامة التى يحياها البدو فى الصحراء

وفى العصر الحديث برز نقاد تحدثوا عن ضرورة الوحدة العضوية فنجد العقاد ينقد شعر شوقى موضحا افتقاده للوحدة العضوية وقد وضع العقاد بعض الأسس التى يحكم بها على وجودة الشعر :

١ - أن الشعر قيمته إنسانية قبل أن يكون قيمة لفظية أو صناعية فيحتفظ الشعر بقيمته الكبرى إذا ترجم إلى جميع اللغات .

٢ - ان الشعر تعبير عن نفس صاحبه فالشاعر الذى يعبر عن نفسه صانع

وليس ذا شخصية أدبية

٣ – أن القصيدة بنية حية وليست أجزاء متناثرة يجمعها الوزن والقافية .

وقد دعا مطران ومدرسة أبولو وبعض النقاد المعاصرين كالسحرتي إلى الوحدة العضوية للقصيدة إلى أن تكون القصيدة عملا متكاملا وبنية عضوية حيه تتفاعل مع بعضها تفاعل الاعضاء المختلفة فى الجسم الحى فتصبح القصيدة الغنائية عضوية أى ذات بنية حية تنمو من داخلها فى اتساق تام نحو نهايتها .

ويقول العقاد كذلك إن القصيدة يتبغى أن تكون عملا فنيا تاما يكمل فيها تصوير خاطر أو خواطر متجانسة كما يكمل التمثال باعضائه والصورة بأجزائها واللحن الموسيقى بأنغامه بحيث اذا اختلف الوضع أو تغيرت الصورة أخل ذلك بوحدة الصنعة وأفسدها فالقصيدة كالجسم الحى يقوم كل قسم منها مقام جهاز من أجهزته

ويؤكد شكرى أنه ينبغى أن ننظر إلى القصيدة من حيث هى شئ فرد كامل لا من حيث هى أبيات مستقلة

وقد أشار بعض النقاد القدماء إلى الوحدة العضوية مثل الحاتمى فقال مثل القصيدة ، مثل الانسان فى اتصال أعضائه ببعض ،

وقد أجاز الرمزيون لأنفسهم الانتقال فى قصائدهم من فكرة إلى أخرى

على أساس الإحساس والشعور النفسى مع ضعف الرابطة المنطقية بين الفكرتين وإن حرصوا مع ذلك على الوحدة العضوية فى مجموع القصيدة وهذا الانتقال إنما قصدوا به إثارة عنصر المفاجأة والرغبة فى تقوية جانب الإيحاء .

ومن الجدير بالذكر أن الأدب عند الرمزيين يعتمد على استرسال الإيحاء بهواجس النفس فى الفاظ غامضة مبهمة وعلى تجسيم الافكار المجردة وتحريكها فى أحداث واذا كانت وظيفة الأدب الأولى هى توليد المشاركة الوجدانية بين المنشئ والمتذوف فهذا الأدب عند الرمزين لا يسعى إلى نقل المعانى والصورة المحددة وإنما يسعى إلى نشر العدوى النفسية ونقلها من المنشئ إلى المتذوق بالإيحاء بها

والتعبير عند الرمزين ظلالا واطيافا فنحن فى رياض الرمزية أقرب إلى روح الصوفية التى تأنس بالنغم الشعرى وتتلمس الإشراق فى ظلمات الغيوب ومن هنا تدرك أن الوحدة عند الرمزين تترجم عن وجدان هو فى الوقت ذاته يثير فكرة فى صور يتلو بعضها بعضاً .

ثانياً : الدراسة التطبيقية

تصدير

* الإنسان والفن القصصى *

القصة فطرة فى النفس فطرها الله سبحانه فيها لتكون منبعاً يخفف بها الإنسان عن نفسه ضغوط الحياة ويترجم علاقته بالبيئة فتصبح علاجاً موضوعياً للمشاكل المادية والوجدانية حيث خلق الله تعالى ذكره الدنيا ونظم بتدبيره المحكم أسس العلاقة بين الكون والإنسان وجعل هذه الأسس خاضعة لقانونه الذى كتبه على جميع مخلوقاته من تغير وتطور وتجديد ونمو ويمضى ركب الحياة وتستمر رحلة الزمان فتتراكم الأحداث وتتنوع مما يدفع الفكر البشرى إلى ضرورة التجاوب مع عالمه المتغير فبعد أن كانت قصصه تتصل بالظواهر الطبيعية اتسع نطاقه وأصبح يروى الحروب ونتائجها التى كانت تشتعل بين الأسر ثم القبائل بقصد الاستيلاء على الأرض الخصبة لتحقيق الحياة الأمنة فتكونت بحكم الظروف طائفة من الناس أخذت على عاتقها قص أحداث الحروب وأسباب الصراع كما تحدثت عن شخصيات الأبطال التى قادتها وحققت النتائج المرجوة .
ومن الجدير بالذكر أن طائفة الرواة تطور قصها للقصص فأصبحت تروى الأحداث القصصية على نغمات الأحداث بالآلات الموسيقية ليعظم وقعها فى القلوب وقد أخذت هذه الطائفة رواية الأحداث القصصية مجالاً للكسب وخاصة عندما احتاج الناس إلى وسائل التسلية والترفيه وأخذت القصة بعد ذلك طريقها للنمو والنضج .

وعلى سبيل المثال فن القصة عند العرب فى جاهليتهم والذى تناول أيامهم التى تدور حول الوقائع الحربية التى وقعت بين القبائل كيوم داحس والغبراء ويوم الفجار أو ذكر بعض الوقائع التى وقعت بين العرب والأمم الأخرى . كيوم ذى قار وكان بين بنى شيبان والفرس وإنتصر فيهْ العرب وكان هذا القصص موضوع العرب فى سمرهم وقد كشفت عن العادات والتقاليد وطبيعة منهج حياتهم فى هذه الحقبة . كما عرف العرب القصة الذاتية كقصة عنترة بن شداد وهذا القصص شمل العناصر المعهودة للبناء القصصى من حادثة وصراع وأشخاص وعقد ونتائج واعتمد الرواة فى روايتهم على التشويق والإثارة فجاءت القصص تتسم بخصوبة الخيال الذى اتصل اتصالاً مباشراً بمقدرة الرواة الفنية على العرض لجذب الأسماع ومن يقرأ معلقات العرب فى الجاهلية يخرج منها بقصة: إجتماعية أو تاريخية .

وقد ذكر المؤرخون والأدباء أن من ألوان القصة فى القديم قصص الأسفار والرحلات . حيث كان لهذا التنقل حكايات تروى وتقص وتتناقل بين الناس منها رحلة أبى طالب إلى الشام وبشارة بحيرى له . يضاف لهذا أن قصص الأساطير الموروثة منذ القدم لها أصل من العادات والتقاليد والخرافات وقد امتزجت بالخيال فتحولت إلى ما يعرف بالأساطير حيث دخلت فيها موضوعات متعددة عن الجن والشياطين والحيات والغيلان والأرواح المجهولة وموضوعات عن البطولات الخارقة وبقاء هذا اللون من قصص الأساطير حتى يومنا ينسب إلى العصر الجاهلى وعلى سبيل المثال لا الحصر أسطورة

إساف ونائلة وموضوعها : (إساف ونائلة رجل وإمرأة تمكن الحب من قلبهما فأصبحا عاشقين وكانا يرغبان فى اللقاء والاجتماع بعيداً عن أعين الرقباء فلم يجدا مكانا يلتقيان فيه خفية غير الكعبة فاعتادوا أن يختلسا فيها ويتناجيا بعيداً عن أعين الناس والفا التردد على الكعبة .... ولكن الألهة لم ترض عن هذا اللقاء فى هذا المكان فحذرتهما من اللقاء فى الكعبة ولكنهما استمرا فى تبادل كلمات الحب والغرام فمسختهما الألهة صنمين أو حجرين فعبدتهما (**قريش**) مع مرور الأيام فى فترة ما قبل شروق الإسلام ومن أساطير العرب فى الجاهلية ما يتصل بالنجوم والأفلاك والأجرام السماوية ولعل من أبرز القصص القديمة قصص اللهو والمجون وأصحاب هذا النوع من القصص يتواجدون فى كل مجتمع بشرى لأنهم يمثلون زاوية من ظواهر المجتمع الخارجة عن العرف والعادات والتقاليد أما قصص النوادر والفكاهات فكانت تمثل الميل البشرى الطبيعى من الإنسان للتخفيف النفسى والرغبة فى الإبتسامة والدعابة . ومن هذا النوع الفكاهى ما حدث فى صدر الإسلام وإبتسم له رسول الله ﷺ .

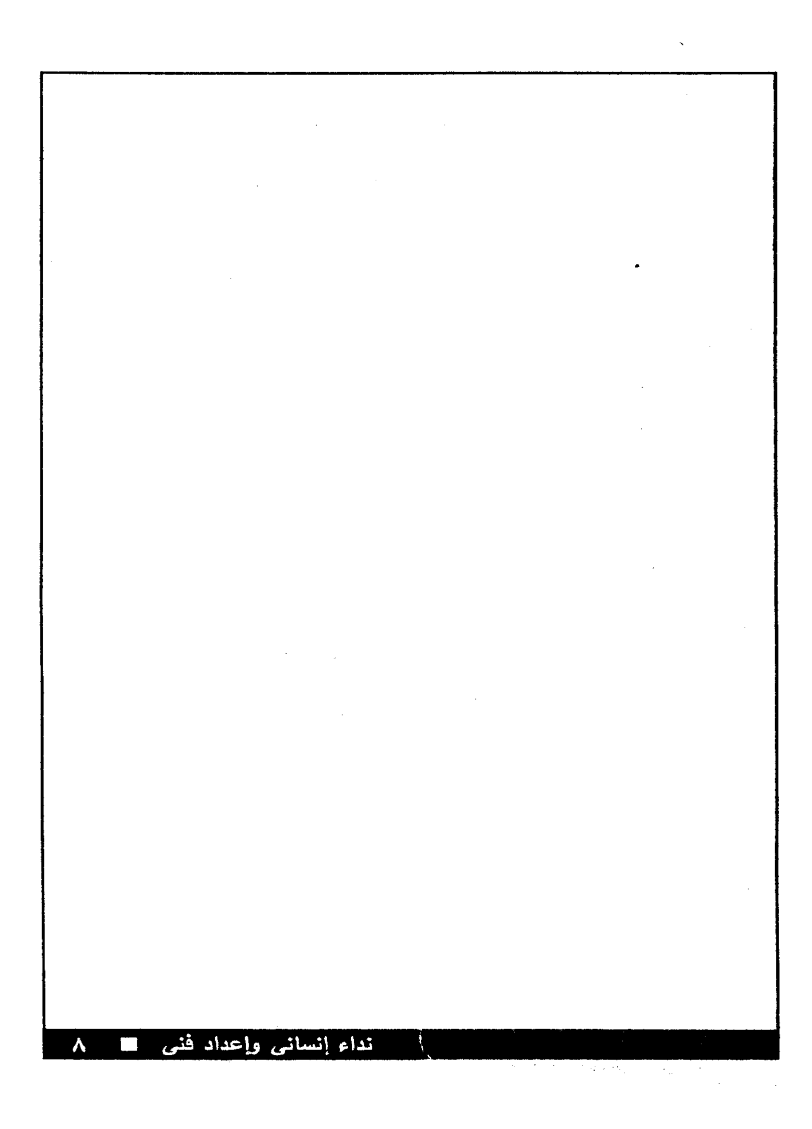
وقد عرف الجاهليون القصة التى ترمى إلى العبرة والعظة والتعلم فقد كان للعرب حكايات على ألسنة الحيوانات والنباتات والجماد والأفلاك والنجوم ومن القصص المشهورة ما رواه الميدانى فى (**مجمع الأمثال**) حكت العرب على لسان الحيَة أن أخوين كان لهما إبل فأجدبت بلادهما وكان بالقرب منهما دار خصيب وفيه حية تحميه فقال أحدهما للأخر : يا فلان لو أنى أتيت

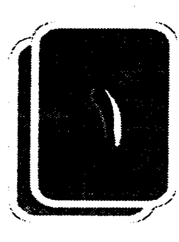
هذا الوادى فرعيت فيه إبلى وأصلحتها فقال له أخوه : إنى أخاف عليك الحية الا ترى أن أحدا لا يهبط ذلك الوادى إلا أهلكته قال : لأفعلن وهبط الوادى ورعى إبله زمانا ثم نهشته الحية فقتلته فقال أخوه : والله ما فى الحياة بعد أخى خير فلأطلبن الحية ولأقتلنها أو لأتبعن أخى فهبط ذلك الوادى وطلب الحية ليقتلها فقالت الحية الست ترى أنى قتلت أخاك ؟ فهل لك فى الصلح فأدعك بهذا الوادى تكون فيه وأعطيك كل يوم ديناراً ما بقيت ؟ قال : أو فاعله أنت ؟ قالت : نعم قال : إنى أفعل فحلف لها وأعطاها المواثيق لا يضرها وجعلت تعطيه كل يوم ديناراً فكثر ماله حتى صار من أحسن الناس حالاً ثم أنه تذكر أخاه فقال كيف ينفعنى العيش وأنا أنظر إلى قاتل أخى ؟ فعمد إلى فأس فأخذها ثم قعد لها فمرت به فتبعها فضربها فأخطأها ودخلت الجحر ووقع الفأس فوق جحرها فأثرت فيه فلما رأت ما فعل قطعت عنه الدينار فخاف الرجل شرها وندم فقال لها : هل لك أن نتواثق ونعود إلى ما كنا عليه ؟ فقال كيف أعاودك وهذا أثر فأسك ؟ ومن الجدير بالذكر أن أصل كل مثل قصة .

ويرى القارئ الأدبى مما سبق أن للقصة بذوراً منذ العصر الجاهلى نبعت من العادات والتقاليد والنظم السائدة وظروف البيئة إلا أن النقاد فى العصر الحديث نظروا للقصة فى العصر الجاهلى على أنها تفتقد للأصول الفنية من (حادثة – شخوص – سرد – صراع – حوار – زمان – مكان – عقدة – حل) .

وقد زاد الإهتمام بالقصص بعد ظهور الإسلام وأصبح مادة حية لمجالسهم ومنتدياتهم حتى لقد روى أنه قيل لأحد الصحابة رضوان الله عليهم ما كنتم تتحدثون إذا خلوتم فى مجالسكم ؟ قال كنا نتناشد الشعر ونتحدث بأخبار جاهليتنا ولعل أبرز وأهم هذه الأخبار هى سير الأبطال وبخاصة الذين يقودون الجيش ومما يدل على أن للقصة تأثيرهافى الجذب والإثارة ما روى عن النضر بن الحادث المكى الذى كان كثيراً مايعارض النبى صلى الله عليه وسلم بحكاية أقاصيص من أساطير بطولةالفرس إذا أراد النبى أن يعظ قومه ويستميلهم إلى الإسلام بذكر قصص الأولين مثل قصةسبأ وعاد ثمود و مدين وأصحاب الفيل وقصص الأنبياء مثل نوح ، وسليمان ،وداود ،وموسى ،وعيسى عليهم جميعاً السلام .

وقد بين القصص القرآنى الشريف لإنسان أصول المنهج القصصى المتميز فرسم له كيفية العرض الجيد وتسلسل الحدث بإسلوب منطقى مقنع مما يؤدى إلى الصدق الذى يدفع بدوره إلى الجذب فيحرك النزعات النفسية والاجتماعيةوالفكريةلدى المتلقى لمناقشة محاور الأداء القصصى بتدبر ووعى فلا يجد أمامه إلا اليقين وبهذا فإن الأداء القصصى القرآنى دعوة واضحة صريحة لانتهاج الصدق لتحصيل الثمرة المرجوة فى البناء الإنسانى لجميع مستوياته النفسية والاجتماعية والثقافية .... الخ





المبحث الأول

تطور النشاط القصصى عند العرب

* تطور النشاط القصصى عند العرب *

القصة ترجمة لرؤية الإنسان فى مجتمعه وفى الكون من حوله حيث يصبو بها لعالم أفضل من واقعه الملموس فالقصص دعوة حية لبناء الكيان الإنسانى عبر الأحداث والمواقف البيئية الحياتية المختلفة مما يدل على أنها فطرة طبيعية للوجود البشرى مما يجعل نمو النشاط القصصى يرتبط إرتباطا وثيقاً بطبيعة الإحتياجات البشرية فى كافة المستويات : النفسية والإجتماعية والتاريخية والفكرية والسياسية والدينية فالقصص ثمرة ناضجة حية للحياة أوراقها من حياة الأفراد فلكل إنسان قصة منذ مولده إلى وفاته مما يجعل الحياة مجموعات متشابكة ومتلاحمة ومتداخلة من القصص الذى يختلف باختلاف المواقف والاتجاهات والتيارات التى ترتبط بطبيعة البيئات البشرية وقد مهدت الدراسة لوجود جذور قصصية منذ العصر الجاهلى وإن فقدت هذه الجذور الأصول الفنية للتكوين القصصى الذى وضعه النقاد فى العصر الحديث ومع ذلك فهم لا ينكرون صلة الفن القصصى بالتراث العربى القديم حيث تحدثوا عن صورة من الصور القصصية بدأت منذ عهد خلفاء الرسول ﷺ بين الفقهاء والقصاص والتى كانت من علامات تغير الشكل القصصى الذى دفع إليه رفض الفقهاء لبعض الموضوعات القصصية والتى تخالف أصول الشرع ثم يتطور الفن القصصى بمرور الأيام فيقف القارئ على الأشكال القصصية الآتية :

* القصص الذى يشير إلى قدرة الله سبحانه ويتمثل فى أدب

الرحلة كرحلة ابن بطوطة .

* قصص يعتمد على المغزى التعليمى ويهدف إلى العبرة والعظة والنصح والإرشاد مثل قصة حى بن يقظان .

* قصص يعالج المفاسد الإجتماعية ويعمل على تنمية المقدرة اللغوية ويتمثل فى المقامات .

* قصص السيرة لما فيها من تنمية المدارك عن طريق الدروس المستفادة من التجارب البشرية المختلفة سواء أكانت قصص ذاتى أو كقصص طه حسين أو قصص يصور حياة الآخرين كتصوير حياة الأبطال والملوك والرؤساء أو الخارجين على القانون والعرف .

* قصص التراث الشعبى والملاحم الشعبية التاريخية والدينية قصة أيوب عليه السلام وألف ليلة وليلة وأدهم الشرقاوى .

فالفن القصصى عرفه العرب منذ جاهليتهم وظل ينمو فى رحاب ساحتهم الأدبية الخصبة وتتكاثف معطياته من حيث الموضوعات والمعانى والأفكار والأداء الفنى حتى تجلت الإتجاهات القصصية المختلفة والتى تولدت من تتبع وتلاحق مراحل زمنية أدبية متشابكة فجرت الأصول الفنية للتجارب القصصية والقت الضوء على عوامل التطور لكل مرحلة وأسس التشكيل الأدائى منذ العصر الجاهلى .

فيرى القارئ الأدبى النماذج القصصية فى العصر الأموى منها ماجسدته بعض القصائد الشعرية مثل رائية عمر بن أبى ربيعة التى تميزت بروح قصصية متكاملة حيث تمتعت بعناصر فنية بنائية حية

تمثلت فى سرد منطقى للوقائع الموضوعية وروح حوارية صادقة تجذب المتلقى المرهف وتغوص به فى أعمال عواطف جياشة ، ومواقف تصويرية وصفية تتبلور فيها الأبطال بوضوح وجلاء فيجدها القارئ تتحرك وتشعر وتتفاعل ويرى على قسمات وجه الشخوص البشرى والأمل والخوف والرجاء ولعل الدرجة الجمالية للقصة تجعل المتلقى يذوب فى العمل وكأنه من أبطاله فى زمان ومكان ينسجهما الخيال الرحيب والواقع أن العصر الأموى تميز بإنتشار قصص الغرام العذرى الذى نبع من ظوروف البيئة فهناك قصة جميل وبثينة وقيس ولبنى وكثير وعزة وكلها تحمل بين طياتها بذور فنية لتكوين الإطار القصصى والقصص السابقة بما فيها من سرد وحوار وصراع تذكرنا بأجمل القصص الرومانسية .

ثم يطالعنا العصر العباسى بما فيه اتساع فكرى وحضرى تمثل فى ازدهار حركة الترجمة فيقف المتلقى على تطور المعانى والمفاهيم التى أثرت على فن القصة واتجاهاتها الموضوعية . فقصة (**حى بن يقظان**) لابن سينا من القصص الرمزى الفلسفى وكذلك (**رسالة الغفران**) لأبى العلاء المعرى تبنى على الخيال الساخر الناقد . هذا إلى جانب قصص فارسى ترجم إلى العربية مثل (**كليلة ودمنة**) و (**ألف ليلة وليلة**) ولكل منهما هدف وغاية فالأولى ترمى إلى البناء الخلقى أما الثانية فترمى إلى تنمية الحس الخيالى وتوسيع المدارك عن طريق عرض المخاطرات والمغامرات والأساطير من خلال خيال خصب بناء ويضاف لما

سبق قصص العشق مثل كتاب (**إعتلال القلوب فى أحاديث المحبة والمحبين**) للخرائطى وكتاب (**الفرج بعد الشدة**) للتنوخى الذى يضم مجموعة من الحكايات والنوادر ويذخر العصر العباسى بنمو فن القصص ، الذى تجسد فى المقامات وأشهرها مقامات بديع الزمان الهمذانى وقد كان موضوعها يدور حول الكدية بين الأدباء إلى جانب ملامح نقدية للمجتمع الإسلامى تهدف إلى التوعية والإصلاح ، وفى المقامات أصول فنية تشير إلى وجود الفن القصصى فى الأدب العربى القديم . والمتمثلة فى العقدة والعرض والمفاجأة والحوار فالمقاومة قصة قصيرة [1] لها أصول فنية ومستويات نقدية واقعية

ومن العرض السريع السابق يتبين أن للعرب دوراً إيجابياً حياً فى بناء الفن القصصى وعلى العربى الإعتزاز بفكره ووضعه الأدبى . الموروث ومضاعفة العمل لمواصلة الإبتكار والخلق والإبداع ليحفر بصماته على الساحة كما فعل الأجداد وإذا كان بعض الكتاب يكثر من سرد تاريخ الفن القصصى الغربى وتأثر العرب به فإن من الوفاء ذكر أثر الفن العربى القصصى على الغرب والذى تجسد فى كوميديا (**دانتى**) الإلهية وعمق تأثرها برسالة الغفران ومن المعروف أن الرسالة سبقت كوميديا دانتى بثلاثة قرون تقريبا كما تأثر أدباء الغرب بقصة (**حى بن يقظان**) لابن سينا حيث حاكاه ابن عزرا

---

١ – الفن القصصى فى ضوء النقد الأدبى – د / عبد اللطيف الحديدى بتصرف ص ٦٦ ، الأدب العربى المعاصر فى مصر د / شوقى ضيف بتصرف . صفحات متفرقة .

المتوفى ١١٧٤ م ترجمت إلى الأسبانية واللاتينية والإنجليزية كما وجد قصص (**ألف ليلة وليلة**) الإقبال من أدباء فرنسا مثل (**ستاندال**) وقد اقتبسوا من وحيها قصصاً للأطفال وروايات تمثيلية تتسم بروح المغامرة مثل (**لص بغداد**) و (**على بابا والأربعين لصا**) (١)

فالعربى مرهف الحس خصب الخيال حى المشاعر يتميز بالعطاء الأدبى البناء والإبداع الفنى المتنوع الذى يتشكل مع الظروف البيئية الحياتية ولعل محاضرات أ . **محمود تيمور** . عن القصص فى أدب العرب تكشف عن آصالة هذا الفن عندهم ومعرفتهم لأصوله الفنية النابعة من وحى بيئتهم وبما يتناسب مع الموضوعية وقد أكد أ . فاروق خورشيد فكرة **محمود تيمور** من معرفة العرب لهذا الفن وأن تطوره نبع من الإحتياجات البشرية للبيئة العربية التى تتمتع بحيوية وايجابية حيث تندمج مع متطلبات العالم الإنسانى وفكره وما وصل إليه من أسس فنية وأصول أدبية وقوانين نقدية .

ولا ينكر البحث ما للأدب الغربى من فاعلية وأثار حية على الفن القصصى العربى فى العصر الحديث حيث وضع أدباء الغرب الأصول الفنية التى تؤدى إلى نجاح الرؤية القصصية وقد تحدث الكثير من أدباء العرب ونقادهم عن عملية تأثر الأدب العربى

---

٢ – راجع النقد الأدبى الحديث د . محمد غنيمى هلال – نهضة مصر .
، النقد الأدبى د . شوقى ضيف – دار المعارف .
، النقد الأدبى د . عبد الوارث الحداد .
، الفن القصصى د . عبد اللطيف الحديدى .

بالقواعد والأصول التى وضعها أدباء الغرب وأمعنوا فى تفصيل ملامحها وعناصرها وأسبابها .

مما يجعل ذكرها فى هذا المجال باهت الذكر له سمة التكرار والمحاكاة[1] تجعل البحث يفقد روح الإضافة والتجديد . ولعل ثمرة ما ذكرته البحوث التى عالجت أثر الأدب الغربى يتجلى فى أن احتلال الأدب القصصى لمكان الصدارة فى الآداب العالمية منذ أواسط القرن التاسع عشر حيث ظهر (بلزاك) (١٧٩٩ - ١٨٥٠) فى فرنسا وديكنز فى إنجلترا (١٨١٢ - ١٨٧٠) وإهتم بلزاك بتحليل الطبقة البرجوازية واهتم ديكنز بتصوير شظف العيش وما تعانيه الطبقة الفقيرة فى لندن . وفى الوقت نفسه كان جوجول (١٨٠٩ - ١٨٥٢) يعبر عن الطبقة المتوسطة المطحونة . ويعبر بو (١٨٠٩-١٨٤٩) يعبر عن ألم الفرد وقد أجمع رواد الأدب والنقد .

أن هؤلاء الأربعة هم الذين وضعوا أصول الفن القصصى الحديث :

---

١ - راجع الأدب المقارن — د . محمد غنيمى
، إتجاهات القصة المصرية القصيرة . — د . حامد النساج
، تطور فن القصة — د . حامد النساج
، القصة القصيرة فى مصر — د . شكرى عياد
، القصة القصيرة دراسة نصه — د . صلاح رزق
، الظواهر الفنية فى القصة القصيرة — د . مراد مبروك
، تطور الرواية العربية الحديثة — د . طه بدر

والكتب السابقة بعض الكتب التى تحدثت عن أثر القصص الغربى فى القصص العربى إلا أن د/ عبد اللطيف الحديدى قد ركز الأضواء على أصالة الفن القصصى عند العرب فى كتابه الجيد (الفن القصصى فى ضوء النقد الأدبى بين النظرية والتطبيق) .
فى عالم القصة - على شلش - مطبوعات الشعب

فى الأدب العالمى بما كتبوا من موضوعات قصصية حية حيث وضعوا فى قصصهم الأصول الفنية للفن القصصى والذى كان من العوامل المؤثرة فى الفكر القصصى العربى الحديث إلا أن هذا لا يغض من شأن العطاء الأدبى القصصى عند العرب بل يعلن تجدد فكرهم وانفتاحه وإستعداده للتطور وقدرته على إستيعاب المواقف والأحداث وتنقية ظروفها بما يتناسب مع الفكر العربى الأدبى الذى تمتع منذ فجره بنهضة فنية برزت فى الاتجاهات القصصية المختلفة عبر عصوره (الجاهلى والإسلامى والأموى والعباسى) وللقارئ أن يسأل ما معنى القصة ؟ .. ولماذا تكتب ؟

تدور مادة « قص[1] » حول التتبع والاقتفاء من الزاوية اللغوية أما الرؤية الأدبية فتبين أنها تجربة أدبية إنسانية تصور بالنثر حياة مجموعة من الشخصيات فى إطار عالم متخيل ممكن الحدوث[2] أى فى إطار قريب من الواقع له ملامح زمانية ومكانية ويتجلى هدفها من إتجاهاتها المختلفة حيث تتركز غايتها فى التعليم والتثقيف وغرس القيم النبيلة والتوعية السياسية والإجتماعية والدينية والنفسية وكل ما يرمى إلى الإصلاح إلى جانب الدعوة السامية لترقية ذوق المجتمع وتنمية إحساسه بالجمال والخير والحق .

فالقصة نداء إنسانى على كافة المستويات الإنسانية العالية .

---

١ – لسان العرب مادة (قصص)

٢ – دراسات فى نقد الرواية . د . طه وادى صـ ١٧ بتصرف .



المبحث الثاني

ألــوان القصـــة

* الرواية
* القصة
* القصة القصيرة
* الأقصوصة
* المقال القصصي
* الفـروق الفنيـة بين ألوان القـصـة

ألــوان القصـــة

الروايـة

القصة نداء إنسانى واحتياج فطرى تعكس حياة مجموعة من البشر لهم تجارب من واقع بيئتهم تختلف من حيث الموضوع والزمان والمكان فقد تتعدد وتتنوع عبر أجيال ممتدة فيضمهم القطاع المتكامل والنسيج المتلاحم الذى يتميز بالتشعب وقد تتحدد ملامح التجارب وتنحصر فى إطار بيئى قصير فهناك الممتد والقصير من الحكايات والقصص مما جعل رواد الأدب الحديث يضعون مسميات تميز كل شكل عن غيره . وأول هذه الأشكال الرواية التى تعد من أكبر الأشكال القصصية من حيث الزمان والمكان والحجم فزمانها يمتد مع الأبطال عن طريق الرصد الدقيق للتطور الاجتماعى والفكرى والنفسى إلى جانب الاستقصاء العميق فى تصوير جزئيات الحدث وذلك مثل ثلاثية نجيب محفوظ التى ترسم حياة أسرة مصرية من خلال ثلاثة أجيال الأباء والأبناء والأحفاد وتكشف عن مراحل التطور الاجتماعى والفكرى والسياسى والنفسى والرواية بهذا تهتم بالتحليل الدقيق والتفسير والوصف بقصد الإحاطة التامة الشاملة للدوافع الحياتية والبيئية لأبطال العمل . والرواية لا تقتصر على نوع خاص من القصص بل تعالج القضايا الإجتماعية والتاريخية والدينية والعاطفية والخيالية التى تمعن فى رصد الغرائب والعجائب والمغامرات . فالرواية بهذا تعنى بموضوع الأدب عناية واسعة وتعنى بالإنسان والكون من حيث الطبائع والأخلاق والعادات

والتقاليد والتربية والدين والاقتصاد والعواطف والحب والخيال ، والعلم ، فكل ما هو واقعي أو ممكن وقوعه أو وهمي يدخل في نطاق الرواية (١) .

القصة : صوت الإنسانية ووصف للواقع البشرى وهى أقل حجما من الرواية من حيث عدد صفحاتها المكتوبة ويترتب على ذلك أنها مقيدة من حيث الزمان والمكان محددة الشخوص وتحتل القصة المركز الوسط بين الرواية والقصة القصيرة وهى تعالج المحاور الإنسانية القريبة من حيث العادات والتقاليد والعواطف الإنسانية والنزعات البشرية فى مزيج من صدق الواقع واحتمالية الخيال . وبهذا فالقصة عرض لصورة من صور المجتمع أو البيئة فى وصف قريب من الفكر فهى مرآة يرى الناس فيها أنفسهم كيف كانوا فى الماضى وكيف يجب أن يكونوا (٢) ويقدر إقناعها للجمهور بالقراءة أو المشاهدة يحكم لها بالنجاح للإبداع الفنى والمصداقية الموضوعية وذلك مثل (**قصة حب**) ليوسف إدريس .

* القصة القصيرة :

نوع من القصص يمصور لحظة فى حياة الإنسان من خلال مدة زمنية قصيرة ومكان محدد المعالم يهتم المؤلف فى هذا النوع من القصص بالتركيز والتكثيف الوصفى لموقف أو حدث بإسلوب يعتمد على العمق والسرعة الموحية التى تؤدى إلى جذب المتلقى لحرارة

١ – الفن القصصى – د . عبد اللطيف الحديدى – ١٠٨ – ١٠٩ بتصرف .
٢ – القصيمدة القصيرة – د . مشكرى عياد – ٣١ : ٣٤ ببتصرف ،
الفن القصصى د . الحديدى – ١١٥ الفقرة الثانية ،
دراسات فى نقد الرواية د . طه وادى ٢٣ .

وصفها وعمق تصويرها وتلاحق حدثها ودقة لغتها فالقاص فى القصة القصيرة يمعن فى تصوير لحظة تكشف عن موقف إنسانى يفرض وجوده فى عالمنا وعلى سبيل المثال القصة القصيرة (**نظرة**) للكاتب (**د . يوسف إدريس**) ونصها :

نظـــرة

كان غريبا أن تسأل طفلة صغيرة مثلها إنسانا كبيرا مثلى لا تعرفه فى بساطة وبراءة أن يعدل من وضع ما تحمله ، وكان ما تحمله معقداً حقا ففوق رأسها تستقر « صينية بطاطس بالفرن » ، وفوق هذه الصينية الصغيرة يستوى حوض واسع من الصاج مفروش بالفطائر المخبوزة ، وكان الحوض قد انزلق رغم قبضتها الدقيقة التى استماتت عليه حتى أصبح ما تحمله كله مهدداً بالسقوط .

ولم تطل دهشتى وأنا أحدق فى الطفلة الصغيرة الحيرى ، وأسرعت لإنقاذ الحمل ، وتلمست سبلا كثيرة وأنا أسوى الصينية فيميل الحوض ، وأعدل من وضع الصاج فتميل الصنية . ثم أضبطهما معا فيميل رأسها هى . ولكننى نجحت أخيرا فى تثبيت الحل ، وزيادة فى الإطمئنان نصحتها أن تعود إلى الفرن وكان قريبا ، حيث تترك الصاج وتعود فتأخذه .

ولست أدرى ما دار فى رأسها ، فما كنت أرى لها رأسا وقد حجبه الحمل كل ما حدث أنها انتظرت قليلاً للتأكد من قبضتها ثم مضت وهى تغمغم بكلام كثير لم تلتقط أذنى إلا كلمة (**ستى**) ...

ولم أحول عينى عنها وهى تخترق الشارع العريض المزدحم

بالسيارات ، ولا عن ثوبها الواسع المهلهل الذى يشبه قطعة القماش التى ينظف بها الفرن ، أو حتى عن رجليها اللتين كانتا تطلان من ذيله الممزق كمسمارين رفيعين .

وراقبتها فى عجب وهى تنشب قدميها العاريتين كمخالب الكتكوت فى الأرض ، وتهتز وهى تتحرك ، ثم تنظر هنا وهناك بالفتحات الصغيرة الداكنة السواد فى وجهها ، وتخطو خطوات ثابتة قليلة ، وقد تتمايل بعض الشئ ولكنها سرعان ما تستأنف المضى .

راقبتها طويلاً حتى امتصتنى كل دقيقة من حركاتها ، فقد كنت أتوقع فى كل ثانية أن تحدث الكارثة .

وأخيرا إستطاعت الخادمة الطفلة أن تخترق الشارع المزدحم فى بطء كحكمة الكبار .

وإستأنفت سيرها على الجانب الآخر ، وقبل أن تختفى شاهدتها تتوقف ولا تتحرك .

وكادت عربة تدهمنى وأنا أسرع لإنقاذها . وحين وصلت كان كل شئ على ما يرام والحوض والصينية فى أتم اعتدال ، أما هى فكانت واقفة فى ثبات تتفرج ووجهها المنكمش الأسمر يتابع كرة من المطاط يتقاذفها أطفال فى مثل حجمها وأكبر منها ، وهم يهللون ويصرخون ويضحكون .

ولم تلحظنى ، ولم تتوقف كثيراً فمن جديد راحت مخالبها الدقيقة تمضى بها . وقبل أن تنحرف استدارت على مهل واستدار الحمل معها ، وألقت على الكرة والأطفال نظرة طويلة .

ثم إبتعلتها الحارة .

فالقصة القصيرة السابقة (**نظرة**) لا يتجاوز زمانها أكثر من نصف الساعة وهى تعرض لحظة سريعة فى حياة طفلة صغيرة هى بطلة العمل .

وقد تجلى فى عرض القصة القصيرة التركيز اللغوى والتكثيف الدرامى حيث يرى الكاتب أنها تعكس رؤية إجتماعية لمشكلة سائدة فى المجتمع المصرى وهى عمالة الأطفال كما يجد المتذوق أن القصة القصيرة السابقة عالجت صورة من صور الصراع الطبقى الواقعى الاجتماعى من خلال وصف زمانى ومكانى ونفسى فى حيز فنى حيث عكست كل عبارة فى القصة . نغمة حية لها دلالات وأبعاد تتلاحم وتترابط فى تتابع سريع واضح المغزى عميق التأثير ويقال أن القصة القصيرة ولدت بين ضفاف (**الواقعية**) ولا يلائمها فى التصوير سوى الرؤية الواقعية لأنها فن شديد الإلتصاق بالحياة اليومية ويطلق بعض الأدباء على القصة القصيرة (**قصيدة النثر**)[1] لما لها من صعوبة بنائية .

الأقصوصة : شكل من أشكال القصة القصيرة يعمد القاص فيه إلى التصوير السريع المتلاحق لموقف أو لحظة يعرضها فى صفحة غالباً أو صفحتين على الأكثر وتتسم الأقصوصة بالتركيز الشديد والوضوع وتعالج جزءاً من الحياة الواقعية فى إطار إيحائى

---

١ - دراسات فى نقد الرواية د . طه وادى ص ١٩ : ٢٢ بتصرف ،
تطور فن القصة د . حامد النساج ص ١٥٥ : ١٨٤ بتصرف .

تصورى سريع التأثير . وقد جمع بينها وبين القصة القصيرة بعض كتاب الأدب بقولهم : **وقد تسمى القصة القصيرة أيضا (أقصوصة)**[1]

المقال القصصى :

يعد المقال من فنون الأدب الإيجابية الحية التى تعالج حياة المجتمع وقد دفعت إليه الظروف السياسية للعصر الحديث وقد ارتبط ازدهار هذا اللون الأدبى بإزدهار النشاط الصحفى كما يجد القارئ الأدبى أن شكل المقالة أخذ ملامح القصة القصيرة لدى بعض الأدباء الذين لعبوا دوراً فى تشكيل الفكر الصحفى الإعلامى باعتبار أن الصحافة في هذه الفترة كانت من أعمق وسائل الإتصال بالطبقات الشعبية والفئات الجماهيرية . ومن هؤلاء المنفلوطى صاحب (**العبرات**) والمازنى صاحب (**قبض الريح**) و (**صندوق الدنيا**) .

ود . طه حسين صاحب كتاب (**المعذبون فى الأرض**) وعلى سبيل المثال فإن الكتاب السابق يضم مجموعة من المقالات النقدية الاجتماعية الواقعية . لكل مقال خصائص بنائية فنية تتبلور فى (**البداية – العقدة – النهاية**) وتتشكل فى الموضوع والشخوص والزمان والمكان . وقد عالج المؤلف موضوعاته التى ضمها الكتاب تحت اسم فصول وكان يسمى الفصل حديثا أو مقالاً ويرى د . شكرى عياد فى كتابه (**القصة القصيرة فى مصر**)

٢ – دراسات فى نقد القصة د . طه وادى ص ٢٢ الفقرة الأخيرة .

أن د. طه أبى أن يسمى أى فصل من هذه الفصول (قصة) من باب نفوره لهذا اللون الأدبى فقد أعده لونا من العبث(١)

* الفروق الفنية بين ألوان القصة :

بين البحث أن القصة نداء إنسانى يعبر عن تجارب الأفراد بإسلوب محتمل الوقوع قريب من الفكر البشرى فهى وسيلة إيجابية توظف من أجل تحقيق غاية عالية وللحديث الأدبى الذى يعالج الفروق الجوهرية بين الألوان القصصية يتركز الضوء على الرواية والقصة وذلك لأن القصة القصيرة والأقصوصة والمقال القصصى تشترك جميعها فى الأسس البنائية والعناصر الفنية مع القصة لأن الإختلاف طفيف فى المدة الزمنية والحدود المكانية ، وعدد الشخوص . فالفروق واضحة جلية بين الرواية والقصة من حيث :

* المفهوم الأدبى والنقدى :

الرواية : من أكبر الأشكال القصصية حجما حيث تملأ مجلدات ويعكف القارئ الأدبى فى قرائتها مدة زمنية قد تصل إلى شهور وهى تجربة أدبية إنسانية تكتب بالنثر وتعكس حياة مجموعة من الأفراد .

القصة : أقل فى الحجم من الرواية حيث تملأ مجلدا واحداً فى الأغلب ويستغرق القارئ الأدبى فى قراءتها مدة زمنية أقل . وهى من حيث المفهوم الأدبى والنقدى تجربة إنسانية تكتب بالنثر وتعكس حياة عدد صغير من الأفراد .

---

١ – القصة القصيرة فى مصر – د . شكرى عياد ص ١٤٦ ، ١٤٧ بتصرف .

الشخوص : تمتاز الرواية بتعدد شخوصها وتنوع أدوارها وتشعب أحوالها ويعمل القاص فيها إلى تصوير أدق أسرارها واستقصاء سلوكها وتحليل رؤيتها وتفسير موقفها عن طريق السرد الدقيق والوصف الغزير لحركات الشخوص وذلك لما تتمتع به الرواية من حرية التصوير فى رسم شخوص عدة رئيسية وثانوية وهامشية .

أما القصة فعدد شخوصها محدود حيث تصور مساحة أقل من الرواية لحياة الأفراد وتتجنب السرد المفصل والحوار الانفعالى الذاتى أو الثنائى المتكرر كما تبتعد عن الوصف الخيالى التحليلى للمواقف والأفكار وذلك لأن القاص لها لا يتمتع بالحرية فى تصوير جزئيات العمل فالشخوص أقل فى العدد من الرواية ويترتب على ذلك القرب والبساطة فى الحوار والسرد والوصف التصويرى والتخيلى .

*** الأحداث : (جزئيات الموضوع)**

تمثل القصة حياة الإنسان وتصور أخلاقه ومتطلباته الاجتماعية والنفسية والفكرية ... الخ . إلا أن لكل نوع من القصص خصائص إسلوبية فى عرض الحدث فالرواية تمتاز فى عرضها بالتفصيل وتناول كل الجزئيات المتعلقة بالأفكار الواردة فى النص وذلك لما يتمتع به القاص فى الرواية من حرية فى العرض والمناقشة لكل فكرة ومحاولة تغطيتها من الزاوية الموضوعية والفنية فالقاص يعالج الحادثة فينظر بعين ثاقبة ويشعر بحس مرهف لكل ما يتعلق بها من متعلقات خارجية وداخلية وقد يستطرد القاص ويكرر باستقصاء فنى دقيق لجزئيات الحدث فقد يعالج جزءاً من مرحلة إجتماعية للبطل أو الأبطال عبر تلوين فنى متعدد الاتجاهات

مختلف التيارات متنوع النزعات .

أما القصة فالقاص فيها يتناول قضية إنسانية يعرضها من خلال التجارب الحياتية البيئية فى محيط زمانى ومكانى لا يتسع إتساع الرواية فالقاص هنا مقيد فى حرية التصوير والوصف والتخيل والسرد والصراع الداخلى والخارجى وينبثق مما سبق تقيد محور الشخصيات العددى والزمانى والمكانى . حيث يهتم القاص بتعميق الحدث عن طريق الإيحاء التركيزى المكثف مع تجنب الملامح الهامشية إلى جانب رصد التأثيرات الواضحة لعالم الشخصيات والمتصلة اتصالاً مباشراً بطبيعة الحدث .

* الزمان والمكان :

تصور القصة ملامح خاصة بحياة الإنسان حيث ترتبط بمرحلة زمانية ومكانية تخضع للاختلاف النوعى للقصة . فالرواية بحكم إتساعها القطاعى الموضوعى يتسع بالتالى زمانها ومكانها وما يتصل بهما من شخصيات وسرد وصرع وحوار ووصف داخلى وخارجى فالرواية يمتد زمانها من زاويتين .

الأولى : يمتد الزمان عن طريق تعدد الأحداث وتنوع المواقف واختلاف الأفكار وهذا الامتداد الزمنى يطلق عليه الأدباء والنقاد الإمتداد الطولى أى الذى يستغرق فى العرض فترة زمنية أطول .

الثانية : يمتد الزمان عن طريق الاستغراق فى التفاصيل المحورية للحدث والاستقصاء الفنى المحيط بالشخصيات من الزوايا الداخلية والخارجية ويتبع ذلك تناول عناصر العمل بإسلوب تفصيلى قد يعمد فيه القاص الى الاستطراد فى الوصف والتصوير مع الإمعان

فى إبراز التشكيل المعيارى لعناصر الرواية ويطلق النقاد والأدباء على هذا النوع الامتداد العرضى فالإمتداد الطولى يتعلق بالفترة الزمنية التى قد تستمر لعدة سنوات أما الإمتداد العرضى فيتعلق بالتفاصيل المحورية للسرد والشخصيات والصراع الداخلى والخارجى.

أما القصة : فزمانها محدد لا يتسع لسنوات متتالية كالرواية فهى تتسم بقصر الفترة التى تصور أحداثها ويهتم فيها القاص بإبراز أهم ملامح تميز زمان القصة ويتجنب بالتالى التفاصيل النفنسية والاستغراق فى وصف المواقف أو تصوير الإيحاء النفسى والإجتماعى أو السياسى ... الخ

والمكان فى الرواية يتعدد ويتغير ويتنوع ويتشكل أما فى القصة فالمكان غالبا ما ينحصر فى مساحات محدودة . ويلعب الخيال فى تحديد ملامح الزمان والمكان دوراً عظيما وخاصة فى الرواية التى يعمد كاتبها إلى تعميق الإيحاء وتفصيل عوامل التأثير والتأثر عكس القصة فالخيال فيها من الملامح الثانوية .

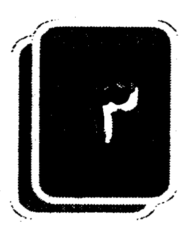
* التشكيل التعبيرى :

القصة انعكاس حى للحياة البشرية حيث تصور متطلبات الأفراد وسبل إشباعها وتعد اللغة وسيلة التعبير الأدائى للموضوع الذى تعالجه القصة حيث يرتبط الحوار بطبيعة الفكرة المطروحة واللغة فى الرواية معيارها الوصف التصويرى فى عرض الأحداث والمواقف إلى جانب شيوع استطراد التعبير وتكرار سبل الإفصاح اللغوى . أما القصة فالتشكيل التعبيرى فيها يعتمد على التكثيف والتركيز . والكلمة الواضحة الدقيقة والعبارة البسيطة

التى تكشــف عن أبعاد المعنى بيسر وسهولة .

ويتمثل معيار جودة التشكيل التعبيرى فى الرواية والقصة فى قدرة القاص الأدبية ومهارته الفنية على توصيل ما رؤيته المادية والمعنوية لنماذجه البشرية إلى القارئ والمشاهد بنفس درجة تفاعله بها ورؤيته لها .

وبعد : فالفروق بين الرواية والقصة معيارها الفنى يتجلى فى المستويات : الحدث - الشخوص - الزمان والمكان - التشكيل التعبيرى وهذه المستويات فى الرواية تتشعب وتتغلل وتتسع وتتقيد فى القصة ويزداد قيدها ويتضاعف فى القصة القصيرة والأقصوصة والمقال القصصى .



المبحث الثالث

الاتجاهات القصصية

* الإتجاهات القصصية *

القصة التعليمية : تعكس القصة الروح البنائية الإيجابية لمجتمعها . فمن المستوى الموضوعى لها يدرك القارئ طبيعة المجتمع من حيث العادات والتقاليد والفكر الثقافى والاجتماعى والمستوى النفسى والمنشود من الكتابة القصصية التى تهدف فى الأصل للإصلاح والبناء الوصول للمستوى الأمثل ومن المعروف أن تربية الفكر والنفس والسلوك وتهذيب المنهج البشرى من أهم أهداف الفنون الأدبية التى ترسم القيم والمثل وتدعو لنشر الجمال والخير والحق وقد أدرك الأدب العربى القديم هذه الغاية التى تجلت فى عصر النهضة الثقافية على يد محمد على الذى اهتم بالتعليم وتمثل إهتمامه فى إرسال البعثات للخارج حيث تفتحت عيون رواد مصر على مظاهر حضارية جديدة حاولوا من خلالها الاندماج الواعى فى الأسس الفكرية والموضوعية للفن الأدبى وبرز هذا التأثير والاندماج فى مجهودات رفاعة الطهطاوى وعلى مبارك ويعد رفاعة الطهطاوى منشئ الأصول الأولى للقصة التعليمية (**الرواية**) فى كتابه (**تخليص الإبريز**) .

وفى روايته المترجمة (**مغامرات تليماك**) ورغم حيوية رفاعة الفكرية إلا أنه أخفق فى التعبيرات الفنية حين حاول نقل بعض المصطلحات الأجنبية إلى العربية ومع ذلك فإن الفكر الفنى الأدبى يدين له بالأصول الأولى لنشأة الرواية التعليمية وخاصة الرواية المترجمة (**وقائع تليماك**) التى تعد بالواقع الزمنى

والمكانى والبطل والحدث والصراع والإيحاء والرمز والإسقاط صورة جيدة للقصة التعليمية الجادة التى تدل على تحكم الأجنبى وسيطرته وإنتهاكه لحرمة الإنسان فى بلده كما أنها تندد بالإستبداد وتدعو للترابط والتلاحم الجماهيرى الذى يدفع إلى الإصلاح السياسى وبالتالى تحقيق التوازن الاجتماعى إلا أن (**الرواية تكاد تفقد عنصر التشويق لأن الهدف التعليمى يطغى فيها طغيانا كبيراً على الهدف الروائى وبرغم أن الرواية ترتبط بخيط ظاهرى يتمثل فى بحث تليماك عن والده فإننا نكاد ننسى هذا الهدف لرغبة المؤلف فى تقديم تعاليمه الكثيرة التى تدفعه إلى الانتقال بأبطاله إلى أماكن متعددة وحشد أكبر عدد ممكن من الشخصيات التى لا يحاول تحليلها بحيث أصبحت الرواية لذلك أشبه بمجموعة من المقالات المنفصلة**) [1] . يضاف إلى منهج رفاعة ما قدمه على مبارك من رغبة تعليمية تهذيبية تمثلت فى رواية (**علم الدين**) فالرواية بعناصرها التكوينية دعوة للحرص على تحصيل العلوم والمعارف النافعة حيث كشف فيها عن السبب الأساسى لتقدم الأمة وتخلفها وركز الفكرة عن طريق العرض الصريح تارة والإيحائى أخرى للعادات الشرقية والغربية وتقديم بعض الصور لطلبة المدارس الأزهرية وشيوخ الأزهر رغبة منه فى التطوير والتفتح مما جعله يختار فى روايته شيخ الأزهر الذى أطلق عليه إسم علم الدين وابنه

١ – تطور الرواية العربية – د . عبد المحسن بدر ص ٦٦ الطبعة الرابعة – دار المعارف .

برهان الدين وقد بين فى روايته دعوة صريحة للتجدد والانطلاق والتغيير فى ظل التمسك بالقيم الإسلامية الشريفة ولن يحدث لبلد هذه النهضة القوية إلا عن طريق تعليم أبنائها العلوم والمعارف والإهتمام بالأخلاقيات التى تتناسب وظروف البيئة . ففى مصر لنا أن نقبل بعض العادات ونرفض مالا يتفق مع واقعنا الدينى والإجتماعى ويستمر التيار التعليمى التهذيبى حيث نجد على الساحة الأدبية الفنية استمراراً حيا لخطوات رفاعة الطهطاوى وعلى مبارك تجسد فى حديث (**عيسى بن هشام**) للمويلحى والذى ركز فيه على الدعوة للإصلاح الاجتماعى والدينى وكذلك (**ليالى سطيح**) للشاعر حافظ ابراهيم فقد قصد كل من المويلحى وحافظ إبراهيم للنهوض بالإصلاح الداخلى الاجتماعى والدينى والإهتمام بالتراث الإسلامى العربى القديم من منطلق الحرص على تميز الشخصية الإسلامية العربية مع الدعوة للتفتح فقد حاول الكتاب من المصريين المسلمين التوفيق بين الحضارة ومتطلبات العصر وبين التراث العربى القديم ومن الجدير بالذكر أن هذا التيار الروائى القصصى التعليمى وجد إهتماما عند بعض الشوام من المهاجرين مثل فرج أنطون حيث كان الهدف المتفق بينهم النقد الإجتماعى لبعض أوضاع البيئة العربية ومحاولة النهوض بما يتفق مع متطلباتها وإحتياجاتها التى تدفع للتطور والانطلاق بوعى وحيوية .

*** القصة التاريخية :**

يكشف التاريخ عن أصل الوجود البشرى فهو القصة الواقعية

للحياة ومن خلال أحداثه ومواقفه يدرك الإنسان كيانه ودرجة شموخ مجتمعه فالأمة التى ليس لها تاريخ ليس لها وجود راسخ بل هى على هامش الوجود الإنسانى وسرعان ما تطمس مع مرور الأيام لتصبح فى طى النسيان والمجتمع العربى من المجتمعات الأصيلة التى تتمتع بوجود حضارى راسخ الجذور حيث توارثت أجياله القيم الإنسانية والحضارية التى تعلن تميزه على الحضارات الأجنية ولأهمية الحضارات العربية وفاعليتها وما لها من إيجابية وعطاء إجتماعى وفكرى وسياسى ودينى جذبت نظر الأدباء والكتاب والنقاد الكتابة القصصية التاريخية ويعد جورجى زيدان من أشهر أهل الشام الذين سجلوا خطوط القصة التاريخية من منطلق الافتخار بالأصل العربى وبماضيه العريق ومن الجدير بالذكر أن القرآن الكريم وضع البذور الناضجة للقصص التاريخية فقد قص القصص التاريخى الذى بين المغزى المراد من سرد القصة التاريخية وعلى سبيل المثال قصص عاد وثمود وبلقيس .... الخ حيث بين القرآن الكريم الأصول التعليمية والخطوط المنهجية لإعداد القصص التاريخية وبتقدم الزمان وتطور الفكر العربى تميز بعض الكتاب فى الإعداد القصصى الروائى مثل نجيب محفوظ وعادل كامل وفريد ابو حديد وأحمد باكثير وقد ركزوا جميعهم فى سردهم للقصص التاريخى على جذب الجمهور لعراقة الماضى العربى وأصالة الأمة وواجب الأبناء نحو الوطن إلى جانب إشعال الحمية القومية والغيرة الوطنية .

ولعل جورجى زيدان من أبرز كتاب القصص التاريخى الذى اهتم

بعرض تفصيلى للتاريخ الإسلامى فى المشرق والمغرب ومن قصصه (**فتاة غسان**) والتى روت ملامح الغزوات الإسلامية الأولى و (أرمانوسة المصرية) التى عرضت الأحداث التاريخية التى لازمت فتح مصر وله (**عذراء قريش**) (**غادة كربلاء**) ، و (**الحجاج بن يوسف**) ، (**العباسة**) و (**فتاة القيروان**) و (**فتح الأندلس**) ، و (**الإنقلاب العثمانى**) ، و (**إستبداد المماليك**) و (**المملوك الشارد**) ... الخ . وقد إتسم القصص التاريخ الروائى لجورجى زيدان بالاهتمام بالشخوص الإيجابية الفعالة مع التركيز على عناصر الإثارة والتشويق والمفاجأة مما سبب إصابة العمل الروائى التاريخى بالإضطراب الفنى وقصور المغزى المنشود من القصص التاريخى والذى يتمثل فى الإعتزاز بالماضى والحفاظ على الأصالة العربية وإحياء الروح القومية والوطنية عند العرب إلى جانب الاهتمام بالقيم الرفيعة كالفداء والشرف والشجاعة والتضحية والعطاء والوفاء والإغاثة والإخلاص [١]

---

١ - راجع تطور الرواية العربية . د / طه بدر - صفحات متفرقة .
محمود تيمور ، فن القصص ،
د . محمد نجم القصة فى الأدب العربى الحديث ،
د . محمد غنيمى هلال - الأدب المقارن ،
فتحى الإبيارى - تيمور وفن القصوصة ،
يحيى حقى - فجر القصة المصرية ،
د . شوقى ضيف - الأدب العيربى المعاصر ،

* قصة الترفيه والتسلية :

الترفيه والتسلية من الميول الطبيعية فى الإنسان حيث يجد فيهما ما يخفف من حدة العناء وعنف التوتر الناتج من الشعور بحجم المسئوليات العامة والخاصة فقصص الترفيه والتسلية يعملان على تجديد الطاقة إلى جانب ما يحملان من عناصر التوعية الفكرية والاجتماعية والسياسية والدينية من خلال الإطار الفنى الجذاب الذى يستميل الذوق الخاص والعام وإشباع الاحتياجات الجماهيرية الشعبية وقد تجلت الخطوط الفنية لروايات الترفيه والتسلية فى الملاحم الشعبية والروايات المترجمة عن الأدب الغربى (**وقد ساد تيار رواية التسلية والترفيه الفترة التى تمتد من أواخر القرن التاسع عشر إلى الثورة القومية فى سنة ١٩١٩ م وظلت الرواية حتى هذه الفترة غير معترف بها من كبار المثقفين والأدباء لأن المثقفين كانت جهودهم مركزة إما فى ميدان النضال السياسى أو فى ميدان الإصلاح الإجتماعى وكان الأدباء متأثرين بالدعوة إلى بعث التراث العربى القديم . ولما كان الشعر هو التراث الأدبى البارز فقد اتجه الأدباء إلى بعثه ومحاولة النسج على منواله ولم يحاول الأدباء التأثر بالتراث الشعبى فى ميدان الرواية لأنه لم يكن معترفا به كفن أدبى بالنسبة إليهم**)

وقد نقد كل من فتحى زغلول ولويس شيخو الإقبال على قصص الترفيه والتسلية لما فى ذلك من صرف الهمم عن الخلق والابتكار

واغتيال لملكة التقدم العلمى والحضارى مما يؤدى بالتالى إلى تخلف العرب عن ركب الحضارة والمدنية إلا أن المهاجرين الشوام حاولوا بلورة مفهوم قصص الترفيه والتسلية وتشجيعها بل وتقديمها فى ثوب جيد وقد وجدوا البيئة الصالحة لهدفهم عن طريق الصحف التى أشرفوا عليها واجتهدوا لوضع كل ما يجذب المستوى الشعبى الجماهيرى على صفحات صحفهم مثل تقديم روايات التسلية والترفيه المسلسلة وإذا كان اتجاه المهاجرين الشاميين إلى تقديم هذه الروايات فى صحفهم يمثل عنصراً هاماً من عناصر جذب القراء إليها فإن هذه الأهمية كادت تتحول إلى ضرورة ملحة بالنسبة لمجلاتهم فقد انتشرت المجلات فى الفترة الأخيرة من القرن التاسع عشر وكان أهمها (**الهلال**) و (**المقتطف**) وظهر إلى جوارهما عدد أخر من المجلات لم تحظ بمثل مكانتهما واستمرارهما مثل اللطائف المصورة وغيرها ، ولما كانت هذه المجلات تهتم بالدرجة الأولى بالثقافة والعلوم ولما كان بعضها كالمقتطف يتطرق فى الاهتمام بتقديم الثقافة الأوربية الخالصة التى لم يكن المجتمع مستعداً لتقبلها لذلك أحس أصحاب هذه المجلات بضرورة اجتذاب القارئ بتقديم الرواية المسلسلة إليه فبدأت الهلال فى الاهتمام بالقصة المترجمة والمؤلفة منذ عام ١٨٩٢م (١)

وقد ساعدت ظروف البيئة على ازدهار فن رواية التسلية والترفيه حيث ساهم كثير من المصريين فى إصدرا مجلات يتبين من

١ - راجع تاريخ آداب اللغة العربية . جورجى زيدان . صفحات متفرقة ، تطور الرواية العربية . د . طه بدر ص ١٢١ : ١٢٧ بتصرف .

عناوينها أنها تهدف إلى التسلية والترفيه عن طريق المسامرة والمنادمة وعلى سبيل المثال لا الحصر (**مسامرات النديم**) لإبراهيم أفندى رمزى ومسامرات الملوك التى كان يصدرها الفريد خورى وكانت هذه المسامرات والروايات ترتبط برغبة القراء وذوق الجمهور ودرجة الإقبال على الصحف والمجلات كما لعبت الترجمة من اللغة الفرنسية والانجليزية دوراً هاماً فى تطور الاتجاهات الفنية لقصص الترفيه والتسلية الذى ركز على طابع الغراميات والمغامرات . مثل مولفات (**موريس لبلان**) كاتب روايات اللص الشريف (**أرسين لوبين**) .

*** المنفلوطى وتيار التهذيب والتسلية والترفيه :**

نال المنفلوطى شهرة واسعة فى مجال كتابة روايات التهذيب والتسلية والترفيه حيث رمى إلى غرس القيم النبيلة العالية كالشرف والشجاعة والحق والخير والجمال ورسم أبعاده الأدبية عن طريق الأسلوب البيانى الذى يثير العواطف والأحاسيس وقد اتخذ لقصصه مصدرين الأول من أصل أجنبى مترجم والثانى من وحى خياله واختراعه والنوع الأول يغلب عليه الاتجاه الرومانسى ومنها الروايات الآتية (**الفضيلة**) التى أخذها من بول وفرجينى و (**مجدولين**) من (**تحت ظلال الزيزفون**) و (**الذكرى**) من (**آخر ملوك بنى سراج**) و (**الضحية**) من (**غادة الكاميليا**) ... الخ

وأما النوع الثانى فيتمثل فى قصص قصار ضمنها كتابية

(النظرات) و (العبرات) تناول فى عرضها الموضوعى قضايا اجتماعية واقعية تثير العواطف والأشجان وتحرك القيم النبيلة مثل مناقشته لضحايا الخمر والفقر والمرض والمفاسد الأخلاقية مما جذب الطوائف الشعبية لقراءة قصصه التى تحمل بين طياتها ملامح تهذيب وترفيه وتسلية ورغم عدم التزامه فى كثير من الأحيان بالعناصر الفنية القصصية من مكان وزمان وطبيعة الشخوص وما يلزمها من أسلوب حوارى فإن نجاحه على المستوى الجماهيرى يجعله من الأدباء الذين شكلوا حركة النهضة الأدبية القصصية كما يعد من الكتاب الذين استطاعوا جذب جمهور عريض لقراءة قصص التهذيب والترفية والتسلية .

*** القصة الفنية :**

القصة ضرورة حياتية إنسانية وهبها الله – سبحانه – للإنسان لتكون من عوامل تجدده وتقدمه فالقصص وسيلة من وسائل التغيير والتجاوب الحى بين الإنسان والكون والقارئ الأدبى يقف على أن للقصص أشكالاً تتفق مع الموضوع والهدف والبيئة ومنها القصة الفنية التى تضع أمام المتذوق الأدبى سؤالاً ما هي ؟

قراء الأدب يدركون أن القصة عامة نشاط إنسانى نفسى وفكرى واجتماعى عرفه الإنسان فى كل مكان وقد خضع ككل شئ فى الحياة للتطور . فالقصة مثل الكائن الحى متعددة السمات مختلفة الصفات ومنها ما أطلق عليه علماء الأدب والنقد القصة الفنية والتى

---

١ – الفن القصصى فى الأدب المصرى الحديث . د . محمود شوكت . صفحات متفرقة .

أدى إلى ظهورها الصراع الطبقى بين الطبقة الوسطى والنظام الإقطاعى وما نشأ بينهما من احتدام دفع إلى ثورات اجتماعية لعبت دوراً فى تغير مفاهيم المثالية والتقليدية **(ونتيجة لحدوث هذا التغير الثورى فى البناء الاجتماعى وفى الطابع الفكرى للمجتمع حدث تغير مشابه جذرى فى الفن الروائى يشمل طبيعة الجمهور المتلقى لهذا الفن ووظيفته ومجاله وهى تغيرات اقتضت بدورها تغير الشكل الفنى فى بناء العقدة ورسم الشخصيات بل إن هذه التغيرات امتدت إلى طبيعة اللغة التى يعبر بها الكاتب)**[1] .

وباستمرار الصراع الذى شكلته رؤية جديدة للمحسوسات والمجردات والانفعالات والواقع والخيال وطبيعة الاحتياجات البشرية أدى إلى تمكن الطبقة الوسطى من الساحة الأدبية فأصبحت تفرض مزاجها وذوقها على الفن القصصى مما جعل النقاد يربطون بين تدهور المجتمع الإقطاعى وانكماشه وبين سيطرة نفوذ الطبقة الوسطى وظهور القصة الفنية حيث إستطاعت بنفوذها القوى أن تكون أداة جذب جماهيرية لقراء الأدب حيث اهتمت بأصول وتقنيات وقواعد للبناء القصصى أهمها الاهتمام بعواطف الأديب وأحاسيسه وواقعه وجعلوا هذه العناصر أساس نجاح العمل القصصى حتى أن النقاد وضعوا مفهوماً أدبيا للقصة الفنية بقولهم أنها نثر روائى واقعى كامل فى ذاته وله طول معين وهم لا يقصدون بالواقعية المذهب الأدبى بل

---

١ - تطور الرواية العربية . د . طه بدر - ص ١٩٥ بتصرف - دار المعارف .

واقعية القصة لظروف البيئة واتصالها بالحياة الانسانية وواقعة المعالجة للحدث والعقدة والشخوص والتفاعل الدرامى وواقعية الإسقاطات والتبريرات والتفسيرات إلى جانب واقعية الإحساس بالزمان والمكان،وقد أجمع النقاد والأدباء أن القصة الفنية فى مصر تولدت فى قصة (زينب) للدكتور محمد حسين هيكل حيث استطاع من خلال التصوير الفنى رسم الواقع المصرى فصور الشخصيات تصويرا جيداً يعتمد على التحليل الشعبى الاجتماعى والنفسى من واقع الريف المصرى من حيث العادات والتقاليد وموقف المجتمع من العواطف الإنسانية النبيلة .

* القصة التحليلية :

القصة بأنواعها رؤية أدبية ونتاج لتجارب إنسانية حية ولكل نوع سمات تميزه عن غيره فالقصة التعليمية تهتم بالجانب التلقينى . والتهذيبية تمعن فى إبراز الأخلاقيات الرفيعة . والتاريخية تهتم بإبراز البطولات والمواقع الحربية والانتصارات والهزائم وسلوك القادة . والفنية تحرص على عرض موضوعها عبر واقع ملموس يتسم بالصدق وواقعية الحدث والشخوص والعقدة والحل عبر أحاسيس واضحة الانفعالات. أما القصة التحليلية فتعمد إلى الغوص فى أعماق الشخصية وتحليلها تحليلاً دقيقاً يتناولها كنموذج بشرى حى حيث تبين بالتفصيل الفنى جزئيات وكليات الشخصية فتكشف عن مكنونها الوجدانى والفكرى والاجتماعى وقد تجلى التحليل القصصى على يد محمود تيمور الذى اهتم بتحليل الشخصية المصرية وإثبات كيانها فى

تحليل يبرز الروح الواقعية وذلك فى تبرير وتفسير سلوك الشخصية ومحاولة ربطها بالبيئة أثناء الوصف التصويرى الدقيق والتعبير عن المفارقات من خلال حوار واقعى جيد يحلل الأسباب والمسببات والعادات والتقاليد والعواطف والنزعات الإنسانيـة الصادقة الصراع .
وقد شارك محمود تيمور فى هذا الاتجاه التحليلى طاهر لاشين وعيسى عبيد . وقد كان لمجهودهم الفضل فى تطور القصة الفنية فى صورتها المتكاملة الحديثة .

ويمكن للقارئ الأدبى أن يطلق على قصصهم قصة الشخصية لاهتمامهم البالغ بكل ما يمس البناء الشخصى والصراع الداخلى للشخصية المصرية .

* قصة السيرة :

تعالج قصة السيرة الترجمة الذاتية للقاص أو ترجمة لحياة الأخرين وترمى إلى غاية نبيلة تكمن فى الدعوة للإصلاح والتجديد والتطور والتقدم والتخلص من العادات والتقاليد البالية العقيمة للنهوض بالشخصية المصرية فى المستويات الفكرية والإجتماعية والنفسية والدينية ... الخ . ومن أبرز رواد هذا القصص د . طه حسين ، والعقاد ، والمازنى . وقد دفع هؤلاء لكتابة قصص السيرة ظروفهم الخاصة إلى جانب ظروف البيئة العامة وما بها من سلبيات ، وتعد قصصهم من القصص الواقعى الذى ينتهج المنهج الفنى مثل القصص التحليلى فالقارئ الأدبى يجد على ساحة قصة السيرة الأيام . لطه حسين . وإبراهيم الكاتب ، للمازنى ، وسارة للعقاد ، وعودة

الروح لتوفيق الحكيم وجميعها يناقش بإيجابية فنية ما فى المجتمع المصرى من خلل فى محاولة للتخلص وطرح الحلول التى تثمر سمة التحرر للإنسان المصرى وخلق شخصية مصرية سوية ورفيعة متكاملة وعلى سبيل المثال ما عرضه د . طه حسين فى (الأيام) لمظاهر البؤس والفقر والحرمان والجهل والسحر والمرض إلى جانب ما فى التعليم الأزهرى من سلبيات وقد عرض القاص الحدث من خلال التطور النفسى والفكرى بإسلوب وصفى تصويرى ينبع من واقعية الزمان والمكان حيث التزم فى سرده بنمو الحدث والتصاعد الدرامى .

وقد اهتم رواد قصة السيرة بالأصول الفنية للبناء القصصى الجيد مع التركيز على السلبيات الخاصة أو العامة التى يعانى منها أبناء المجتمع المصرى .

*** الأدب وقصص الطفولة :**

الأطفال صرح الأمة وثروة حاضرها وأمل مستقبلها ولهذا بين الإسلام قيمة الاهتمام بالطفل وشدد على تنمية مداركه وتوسيع معارفه وتنشئته باسلوب متفتح يتسم بالوعى والإيجابية فحث على تربيته تربية عالية تحقق له الاتزان النفسى والاجتماعى إلى جانب

---

١ – راجع : دراسات فى الرواية العربية . د / على الراعى
نشأة النثر الحديث وتطوره د / عمر الدسوقى ،
القصة المصرية وصورة المجتمع الحديث د / عبد الحميد ابراهيم ،
لقصة القصيرة فى مصر د / احمد مكى ،
تطور الرواية العربية الحديثة د / طه بدر .

رعاية الصحة البدنية ويجد القارئ الأدبى درجة عناية العرب بأطفالهم منذ العصر الجاهلى وقد تجلى ذلك فى تعليمهم الشعر الحسن الذى يفيض بمعانى الخير والجمال والحب [1] على مدى المراحل الزمنية ثم يطالعنا العصر الحديث بمجلات تم إصدارها لبناء الطفل المصرى مثل (**مجلة روضة المدارس المصرية**) حيث مهدت لضرورة تنمية الإحساس النفسى والاستقبال الفكرى لدى الأطفال عن طريق الكتابات التربوية لتشجيع الأطفال على الابتكار والتجديد وكان ثمرة المجلة السابقة كتاب (**المرشد الأمين للبنات والبنين**) لرفاعة الطهطاوى ويضم الكتاب بين طياته موسوعة معارف عالية القدر بقصد تربية الأطفال حيث وردت نوعيات قصصية تحكى سير العلماء والأبطال والنبلاء والعظماء ولكنها تتصف بجدية العرض وعمق المعانى مما يجعلها تشق على الطفل ومن يقوم بتعليمه ، ولعل عثمان جلال صاحب العيون اليواقظ فطن لهذه الصعوبة فضمن كتابه القصص الشعرية الواضحة التى ترمى إلى توسيع المدارك وتنمية الذوق والإحساس وقد أجاد عثمان جلال فى عرضه لقصصه الشعرية حيث وظفها توظيفا إجتماعيا وفكرياً ونفسيا بقصد التوافق مع البيئة المصرية ويضاف لما سبق مجهودات أحمد شوقى فى الكتابة للأطفال حيث نظم كثير من القصص على لسان الحيوان تحمل بين طياتها المعانى النبيلةوالقيم الشريفة فى أسلوب يتناسب مع عقلية الطفل ودرجة استقباله ثم ينشط التأليف فى مجال

---

١ - راجع الطفولة فى شعر محمد الهراوى د / نادية احمد مسعد من ١٥ : ٣٩

قصص الطفل فيجد القارئ الأدبى إبراهيم العرب فى كتابه **(آداب العـرب)** يقدم منظومات قصصية ترمى إلى التعاون والبر والشفقة وحسن المعـاملة مع الآخـرين [1] وتستمر قافلة الكتابة القصصية للأطفال فنجد على الساحة الهراوى شاعـر الطفولـة يسطر للأطفال **(الحـق والباطـل)** ، و **(حلـم الطفـل ليلـة العيـد)** و **(عواطف البنين)** و **(الطبيب المصرى)** ... الخ

ب – عرض لقصة (حلم الطفل ليلة العيد) [2]

قصة مكونة من فصلين وهى اجتماعية تربوية تعتمد فى سرد أحداثها على الحوار بين الأم وطفلها حيث يتحدث الطفل إلى أمه بشغف وإجلال وفى يده كتاب عربى ويحاول نطق حروفه بوضوح مع التشكيل الصحيح للكلمة وفى هذه اللحظة تهتم الأم بموقف ابنها من كتاب اللغة العربية وتحاول مساعدته وتشجيعه على التمسك بالنطق الصحيح واللغة العربية الفصحى ثم يأتى الأب ويشارك فى الحديث ويبشر ابنه بهدية جميلة بمناسبة العيد والتى بات الطفل يحلم بها ويغنى لها مع رفاقه وبعض أقاربه .

والقصة جيدة ترشد إلى ضرورة التعاون والمشاركة الوجدانية داخل نطاق الأسرة فهى تبين ما يجب أن تكون عليه الأم من سلوك طيب مع أطفالها وضرورة إجادتها القراءة والكتابة وهى دعوة لكل فتاة كى تتعلم لما فى ذلك من صلاح أحوالها والرقى بأطفالها كما

---

١ – راجع الطفولة فى شعر محمد الهراوى د / نادية احمد مسعد من ص ٣٩ : ٩٥ .

٢ – طبعت الرواية عام ١٩٢٩م وهى فى هيئة الكتاب تحت رقم ١١٤٠ رمز تربية وتعليم .

بينت القصة أن علم الأم وثقافتها من عوامل توثيق العلاقات الأسرية كما بينت كيف يكون سلوك الأب مع الأبناء .

واهتمت القصة بضرورة التمسك باللغة العربية لما فى الحفاظ عليها من حفاظ على الشخصية العربية المتميزة .

ويجد القارئ أيضا فى القصة دعوة الأطفال للالتزام بقواعد المرور فقد جاء على لسان الطفل وهو يغرد بسيارته التى بات يحلم بها وهى هدية العيد :

سيارتى سيارتى — أركبها فى نزهتى
سيارتى ذات العجل — أمشى بها على مهل
أمشى على اليمين — فى الشارع الأمين

والقصة أيضا تهدف إلى نشر المحبة والتآلف بين الأصحاب وتجديد عهود الصداقة والاعتزاز بمجد مصر :

أقبل العيد فأهلاً — بتباشير السعود
قد نعمنا بسرور — ما عليه من مزيد
وحيانا أبوانا — بالهدايا والنقود
وخرجنا نتحلى — فيه بالثوب الجديد
وتصافحنا بأيدينا — على صدق العهود
ومضينا بالتهانى — لقريب وبعيد
وذكرنا مجد مصر — فهتفنا للجدود
فأت يا عيد وأفرح — أمة النيل السعيد

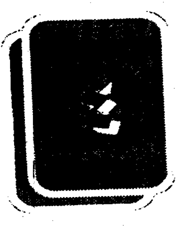
وإمـضى يا عـيـد وعـد بالـ	يمن فى عــهــد حــمــيـد
يا بـنى النيل بقـــيــــتم	للعـــلا فى كل عـــيـــد[1]

والقصة السابقة نداء وطنى إجتماعى يبين فيه المؤلف ضرورة التمسك بالعادات الإسلامية العربية .

والقصة تمتاز بالوضوح والسهولة وجلاء الهدف وخصوبة الخيال إلى جانب جمال التعبير اللغوى مما أدى إلى الحبكة الفنية التى نبعت من الوحدة بين عناصر العمل (**الحدث - الشخوص - الزمان والمكان - الحوار**) . واستمر كتاب القصة فى العصر الحديث فى الكتابة للأطفال والبحث يدعو كتاب القصة إلى تكثيف جهودهم لإخراج نتاج للقراءة وللعرض على الشاشة الصغيرة يتناسب مع قدرات الأطفال وينمى لديهم ملكة الخلق والإبتكار والتمسك بالقيم من خلال كتابة قصصية تثير دهشتهم وتجذب مشاعرهم كما يدعو البحث أن يكون لقصص الأطفال كتاب يتخصصون فى هذه النوعية مع عقد دورات تدريبية تربوية ونفسية للوقوف على مر احل التطور والتجديد والتغير التى يتعرض لها عالم الأطفال ليتجنب التقليد والمحاكاة والموضوعات الباهتة التى تجعل الطفل ينصرف عن العمل القصصى المعد له .

---

١ - الطفولة فى شعر محمد الهراوى . د / نادية احمد مسعد من ص ١١٠ : ١١٥ .



المبحث الرابع

العناصر الفنية للبناء القصصي

* العناصر الفنية للبناء القصصى :

خلق الله سبحانه وتعالى – الكون بقدرته المطلقة وجعل لكل شئ فى الحياة مكونات مادية ومعنوية تشترك فى تشكيله فثنائية الموجودات هى المنهج الإلهى المحكم ويدخل فى هذا النطاق الثنائى الآء الله تبارك وتعالى – لعباده جميعا ومنها نعمة البيان وهى موهبة ربانية منحها سبحانه وتعالى لبعض عباده لتكون وسيلة بناء وإصلاح يتحقق بها الاتزان والنشوة والسعادة للمجتمع الإنسانى فالقاص عندما يسطر قصته بمهارة أدبية يدرك أنها من عطاء الله – جل علاه – الذى وهبه فنية الأداء (**الشكل والمضمون**) فى تسجيل خيوط نسيج قصته المتمثل في :

الحدث والشخصيات والسرد والحوار والبيئة الزمانية والمكانية كما يدرك أن تحقق الجمال الإبداعى تتفجر عيونه من التكامل فى الشكل والمضمون فالخلق القصصى تشكله عناصر فنية لكل عنصر ثنائية داخلية وخارجية

وهذا ما يناقشه العرض الفنى للعناصر :

١ – **الشخصية** : تعد الشخصية من أعظم أركان العمل القصصى حيث يكشف القاص عن طريقها الغاية المنشودة من العرض القصصى فالشخصيات بما تأتى به من أقوال وسلوكيات وهمسات يرمى المؤلف بها لعلاج قصته فقد تكون الشخصيات فى العمل عبارة عن رموز لقضايا فكرية أو إجتماعية أو أخلاقية .. الخ . يحركها المؤلف فى إطاره القصصى الأدبى بحس فنى بشرط أن

تنطق ملامحها بسبب وجودها داخل النطاق القصصى فالشخصية الفنية القصصية يجب أن تتحدد ملامحها من زاويتين الجسدية والنفسية . حيث يبرز القاص فى ملامح شخصيته : الرشاقة أو البدانة ، الطول أو القصر ، لون البشرة والمرحلة العمرية .

والحالة الصحية كما يبرز من خلال قسمات الوجه الطبيعة النفسية من حيث لين الطبع ، والهدوء والاتزان ، أو العصبية والاندفاع كما يجب أن يبرز القاص عبر وصفه التصويرى المستوى الإجتماعى لشخص العمل ويسلط الضوء على زاويتين أيضا أولهما البيئة السكنية وملامحها المميزة الثانية أثرها على الشخوص من حيث الأسلوب العام فى المظهر ونطق الكلام والحركة وطبيعة الصوت وما يتعارف به من مخاج الحروف أى على القاص رصد كل ما يتعلق بشخوص العمل من الخارج والداخل ليعكس أنماطه البشرية بمصداقية تجعلها قريبة الحدوث على أرض الواقع مما يحقق للعمل الاستمرارية والنجاح .

والشخصية فى العمل القصصى تنقسم إلى نوعين :

* **شخصية نامية** : يدرك القارئ الأدبى من اسمها أنها تنمو بنمو الحدث وتتطور بتطوره وتتفاعل مع الأنماط البشرية المشتركة معها بإسلوب يرصد درجة نموها وطبيعته والقاص المتفنن فى عرضه يجعل المتلقى يقف مع نهاية العمل على التصور النهائى لملامح الشخصية النامية فلا يترك له لمحة إستفسارية توحى بزاوية غموض فى تكوين ملامح الشخصية أو تدل على عدم اكتمال

ملامحها مع النهاية القصصية .

* **الشخصية الجاهزة** : وهى الشخصية الواضحة الملامح والصفات من اللحظة الأولى للأداء القصصى وهذا النمط من الشخوص يسمى أيضاً بالشخصية الثابتة أو ذات المستوى الواحد أو المكتملة ، والمسطحة ، والبسيطة .. الخ . فالقاص فى هذا النمط يصور النماذج البشرية المكتملة من البداية بقصد تعاونها مع الشخوص النامية برصدها لطبيعة تطورها وما يحدث لها من تغير وتبديل وتطور . فالشخصية الجاهزة شخصية واضحة الملامح الجسدية والنفسية والأخلاقية منذ بداية العمل إلى نهايته .

ومن الجدير بالذكر أن للشخصيات (**النامية والجاهزة والثانوية**) معطيات أدبية وفنية يستمدها القاص ليكون روافد قصصه ويمنحها لشخوصه من الواقع الإنسانى وكتب السيرة والتاريخ والسياسية بشرط إدراك القاص لأدق خصوصيات كل شخصية وما يلحقه بها من ماديات ومعنويات وبهذا فالقاص الجيد لا يجعل شخصية من شخوصه باهته الملامح سلبية الوجود بل يبرز حيويتهم ودورهم فى حركة العمل وتطور الأداء فالشخصية الثانوية مثلاً يجب أن يخلقها بإسلوب يربطها ربطاً جيداً بالشخوص النامية والثابتة مبينا أن وجودها من أسباب رصد عوامل التغير والتبديل والتطور بل ومن أسس الجذب والتشويق والإثارة .

الحدث : والأحداث فى الفعل القصصى تعكس رؤية الكاتب فى قضية أو فكرة أو موضوع حيث يتناول القاص الفعل القصصى

من خلال شخوصه ليقدم للقارئ التجارب الإنسانية التى ترتبط بالبيئة الحياتية حيث يقدم الحكاية القصصية محكمة البناء مثيرة من الوصف الأول للحدث الذى يدخل فى تشكيله ظروف الحياة ورؤية الكاتب وتكوينه الخاص والعام إلى جانب قدرته الفنية على التخيل والتى من منطلقها يتحقق الإبداع القصصى فالحدث أو الحكاية القصصية تنمو منذ البداية مع شخوصها بما لها من إنطباعات وتصورات .

ويجب أن يكون تطور الحدث مثيراً جذاباً يعتمد فيه القاص على الحيل الفنية المتجددة فلكل موقف فى القصة وسيلة إثارة وجذب كما يجب على القاص فى عرض الحدث أن تكتمل معالم شخوصه مع نهاية الحدث الذى تجلى فيه الثنائية من نمو الشخوص بملامحها مع نمو الأحداث وإنطباعاتها وإذا كان القاص يشكل قصصه من شخصيات جاهزة وشخصيات نامية وأخرى ثانوية فهو أيضاً يشكلها من أحداث رئيسية وثانوية وتبدو مهارته من درجة تلاحم العناصر جميعها بحيث يشعر المتلقى بعمق الترابط بين جميع الجزئيات فلا يجوز إسقاط لمحة من لمحات الحدث مما يجعل العمل القصصى يوضع فى ساحة الإبداع وخاصة عندما يقف المتلقى على التصاعد التدريجى للعقدة وإجادة الكاتب فى تعميقها والوصول بها إلى النهاية المنطقية وينبثق هذا من المهارة فى تطوير الأحداث فهى (**تتتابع**

١ – راجع : الأدب وفنونه د / عز الدين إسماعيل
، الفن القصصى د / عبد اللطيف الحديدى
، دراسات فى نقد الرواية د / طه وادى

وتتصاعد إلى أن تصل إلى ذروتها من حيث التعقيد والتشابك وبعد ذلك يعمل الكاتب ببراعة إلى حل العقدة تدريجيا حتى يصل إلى النهاية المنطقية سواء كانت سعيدة أو حزينة وكلما أجاد القاص فى تطوير أحداث روايته وذلك عن طريق جعلها تبدو للقارئ منطقية ، فالمقدمات والمعطيات التى يقدمها تؤدى فى النهاية إلى نتيجة ونهاية تتناسب مع تلك المقدمات - كلما أجاد القاص فى ذلك كان أكثر براعة وقدرة فى السير بأحداث قصته سيرا منطقيا والتطوير هو الذى يبعث فى القصة القوة والحركة والنشاط ، وهو العصا السحرية التى تحرك الشخصيات على صفحات القصة وتسوق الحوادث الواحدة تلو الأخرى حتى تؤدى إلى تلك النتيجة المريحة المقنعة) [1] .

الزمان والمكان : يصور الزمان القصصى مرحلة أو مراحل مبينا فترتها من حيث الطول أو القصر فقد يعبر العمل القصصى عن لحظة فى حياة إنسان تقدر بالنصف ساعة مثل (**نظرة**) وقد يصور تجربة فى سنة أو سنوات وقد يعكس تجارب مجموعة لقطاع إنسانى متكامل عبر أجيال مثل ثلاثية نجيب محفوظ (**بين القصرين**) و (**قصر الشوق**) و (**السكرية**) ويرتبط الزمان بما فيه من أحداث ومواقف وتجارب بالمكان فالزمان روح

١ - الفن القصصى د / عبد اللطيف الحديدى ص ١٣٧ .

جسده المكان فهما معا يمثلان ثنائية الأداء القصصى المتناسقة المتكاملة فالزمان يهدى للمكان والمكان يدل على الزمان فالقاص الذى يتناول حروب الاستنزاف وآثارها نجده يرتبط بالفترة الزمنية من ٦٩ إلى بدايات ١٩٧٣ م كما يرتبط بأماكن وقوع هذه الحروب ويتبين درجة إبداعه الفنى من وصفه للزمان والمكان من حيث طبيعة الأرض وطبيعة المناخ والعلامات المميزة للنهار والليل ، التوقيت الصيفى والشتوى فلا يجوز للمؤلف فى وصفه لاشتباك وقع فى فصل الشتاء شهر ديسمبر أن يقول :

وكانت الساعة الثامنة مساء حين إرتفع صوت المؤذن بأذان المغرب ؟ ! فالزمان والمكان يجب فيهما الدقة الوضوح والصدق لنجاح العمل وبالتالى نجاح كاتبه فى الإعداد القصصى .

والزمان القصصى يرتبط بطبيعة الموضوع والشخصيات فهناك :

* الزمن الممتد :

الذى يتبع فيه المؤلف التصاعد الزمنى فإذا ألف قصة عن أحداث يونيو ١٩٦٧ يلتزم بالترتيب الزمنى فيتتبع السنوات بوعى تاريخى وحس فنى فيصف أحداث ٦٧ ويعقب بالسنوات التالية فلا يجوز تقديم موقعة وقعت فى عام ١٩٧٢ على موقعة درات عام ١٩٧٠م . أى أنه يتحرك مع الزمن بالمنهج الطولى الممتد المرتب المعهود وذلك لأن القصة فى الزمن الممتد تصور العالم الخارجى .

* الزمن النفسى :

وهذا النوع من الزمان يعطى للمؤلف حرية التصوير الحركى لأنه

يهتم بالعالم الداخلى للشخصيات ووصف مكنونها وانفعالاتها ومشاعرها التى تجول وتصول وتسير إلى الأمام وتعود إلى الخلف فتصف حاضرها ثم ماضيها وقد تجمعهما لأنها يشكلان بؤرة شعورية محورية لطبيعة الشخصية ودرجة إحتكاكها الانفعالى بالعالم الخارجي وللزمان النفسى زاويتن :

الأولى : تسمى (**بالاسترجاع**) وتعتمد على استدعاء لحظات أو مواقف فى حياة البطل لها تأثيرها المباشر فى الاتجاه المصيرى له .

الثانية : تسمى (**بالتنبؤ**) : الذى يكسب الزمن النفسى الحيوية والانطلاق لأنه يعتمد على الأحلام ويبرز ظواهر نفسية كامنة لدى البطل مثل التشاؤم أو التفاؤل .

والزمن النفسى يعمل على التحرر من قيود الزمن الطولى ويشيع فى القصة روح الإثارة والتشويق كما أنه يجذب المتلقى للإستمرار فى متابعة الحدث وللزمان القصصى النفسى (**الاسترجاع – التنبؤ**) دلالات رمزية تتجلى فى الإيحاء الفنى الذى يستخدمه القاص لإظهار قيمة أو رفض سلوك مثل : الضوء المنير – النجوم – القمر ليلة تمامه – الشمس الساطعة ، تكبير الأذان – تلاوة آيات من القرآن الكريم – حديقة غناء ، رايات خفاقة ، سماء صافية – سرب طائر من الحمام ... الخ وذلك فى حالات قدوم الخير

---

١ – راجع : دراسات فى نقد الروايية د / طه وادى
، الأدب وفنونه د / عز الدين إسماعيل
، الفن القصصى د / عبد اللطيف الحديدى .

أو توقعه . أو غلق أبواب ، ظلام شديد ، سقوط فى بئر ، نباح كلب ، عواصف رعدية ، برق ، إنهيار مبنى ضخم ، سحب داكنة ، سقوط ورق الشجر ، ظهور بومة فى أجواء المكان .. الخ . وذلك فى حالات قدوم الشر أو توقعه .

وعلى كاتب القصة ذات الزمن النفسى الاطلاع على مراجع علم النفس والتعمق الدقيق فى فهم أبعاد المواقف فالتنبؤ فى الزمن النفسى يعرف باسم أحلام اليقظة التى يستسلم الفرد فيها لتخييلات يرى فيها نفسه وهو يحقق أماله ويشبع دوافعه ويتخطى العقبات التى تحول دون ذلك وهكذا يحلم الفقير بفوزه بجائزة مالية ضخمة ويتخيل نفسه وقد تسلمها ثم ذهب هنا وهناك لشراء ما يلزمه وتحقيق ما يريده من هذا المال [1] فالمؤلف الماهر المرهف يوثق بإسلوب فنى حى بين الخيوط الإجتماعية للشخصية وبين خيوطها فى عالمها الزمنى الذى يجسده عن طريق الإسترجاع (**الزمن المستدير أو المتقطع**) أو التنبؤ بصورة تقنع المتلقى وتضاعف من إعجابه بالمشاهد القصصية وتؤدى إلى نجاح العمل .

* المكان :

المكان القصصى يعكس صورة صادقة للبيئة التى يتعايش فيها الأفراد حيث يتجلى أثرها فى التكوين الشكلى والنفسى والسلوكى فالفرد وليد مجتمع يتفاعل معه ويتأثر به فالمؤلف حين يصور بيئة ريفية يلتزم بمظاهر الريف وطبيعة أهلها من حيث الأخلاقيات

١ – أصول علم النفس د / فرج طه من ١٥١ من حديث جيد عن حيل التوافق .

وأصول العادات والتقاليد كما يلتزم بإسلوب كلامهم وطريقة مخارج حروفهم وسبل التعبير عن مشاعرهم كما يلتزم بمظاهرهم الحسية بتجسيد هيئة ملابسهم والملامح المميزة لمساكنهم بحيث يدرك المتلقى أنه يعيش في أعماق الريف فيقف على تفكيرهم وسلوكهم ومظهرهم ودرجة استقبالهم للمواقف ... الخ .

والكاتب المفتن لا يستطيع أن يفصل بين الزمان والمكان والشخصيات فالمكان يعبر عن الزمان والزمان يعكس طبيعة المكان والشخصيات أبناء لهما فالقاص المبدع عندما يصف شخصية يدرك القارئ زمان الحدث وملامح المكان فمثلا عندما يكتب القاص قصة تاريخية بطلها عمرو بن العاص بمجرد الاسم يقف المتلقى على طبيعة البيئة الزمنية والمكانية كما يدرك المتلقى العلاقة بين البيئتين الزمانية والمكانية والشخصيات من طبيعة الأحداث والمواقف فالحدث الكلاسيكي يختلف عن الرومانسي وعن الرمزى والعسكرى يختلف عن الإجتماعى فى ملامح الزمان والمكان والشخصيات وبهذا فعنصر البيئة (**الزمان والمكان**) هو محيط العمل القصصى الذى تحرك مؤثراته الخاصة والعامة ملامح الشخصيات والأحداث وهو أيضا العنصر الذى يحدد الإطار الزمانى والمكانى الذى تدور فى فلكه أحداث القصة من حيث مكان حدوثها والزمان الذى وقعت فيه [1]

* السرد والحوار :

السرد القصصى هو المنهج الذى يصف به القاص زمان ومكان

١ - الفن القصصى - د / عبد اللطيف الحديدى ص ١٨٣ بتصرف .

وشخوص قصته ليكشف عن طريقة الحقبة المصورة وطبيعة المكان وهيئته وفكر الأبطال ودرجة تجاوبهم مع الحدث بفنية مرهفة تفجر لدى المتلقى الإحساس بالجمال الذى ينبع من مصداقية الوصف والتصوير فالسرد القصصى يفرض على القاص أن يكون على مستوى الإحساس العميق بكل أبطال العمل فهو يتعايش مع كل فرد من أفراد قصته ويغوص فى أعماقه الداخلية ويرى برؤيته الخارجية وينطق بفكره ويسجل خواطره ويسرد أحلامه ولهذا يجب أن يكون دقيقاً فى الإسلوب السردى لعالم شخصياته الداخلى والخارجى والاهتمام بكل صغيرة توحى بدلالات تهدى لطبيعة الشخصية وتكشف مكنونها فيقف المتلقى على طبيعة استقباله للمواقف وتصرفه فيها بمجرد الإيحاء اللفظى السردى .

والقاص فى سرده يجب أن يتسم إسلوبه باللغة الصحيحة ليضفى عليها ملامح الجمال اللغوى والسحر التعبيرى فمن أهداف الأداء القصصى ترقية ذوق المتلقى والوصول باللغة لمستوى يحافظ على الكيان الوطنى وذلك لأن الحفاظ على اللغة ينبع من احترام الكيان القومى .

وينقسم السرد القصصى إلى الأساليب الآتية :

السرد عن طريق الوصف :

حيث يسرد القاص زمان ومكان ما يتعلق بقصته عن طريق الوصف التصويرى ومن خلاله تنكشف طبيعة المستويات الخاصة والعامة لشخوص العمل والاسلوب الوصفى من الطرق المعهودة فى

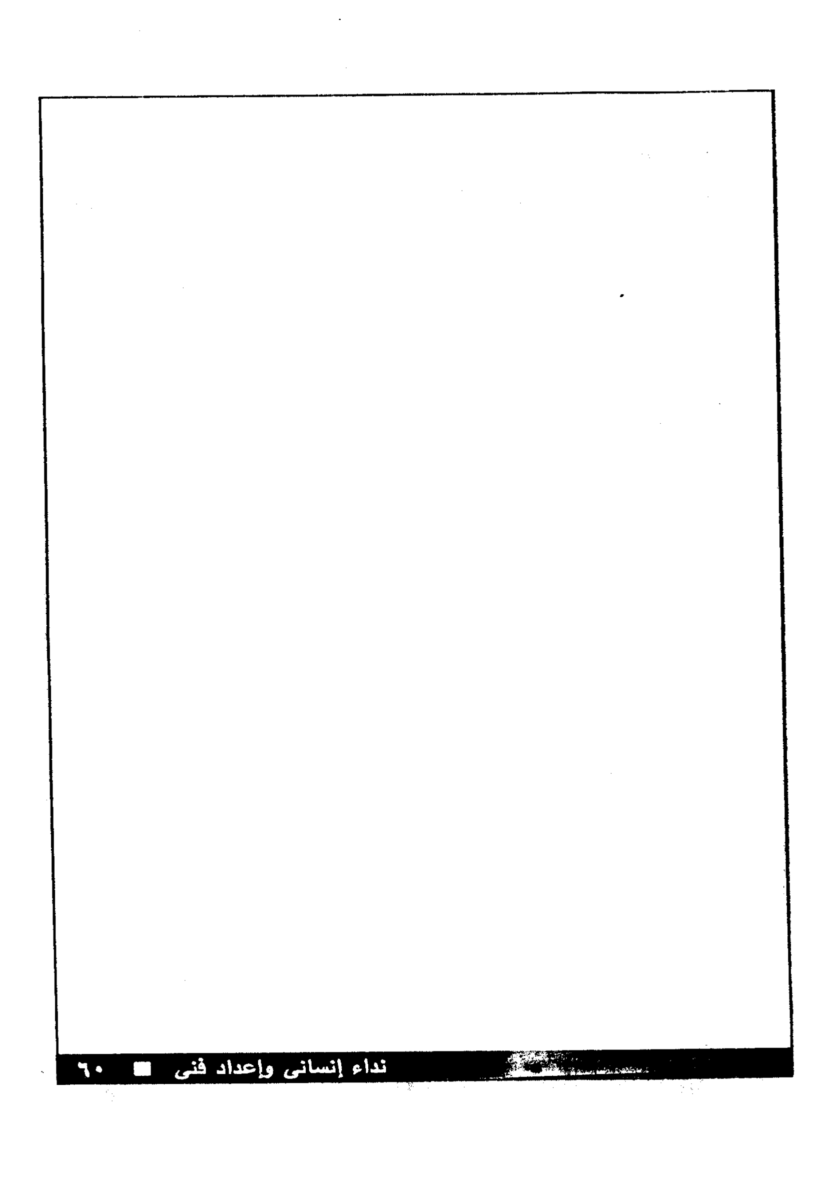
العرض القصصى ويعد من أيسرها وأقربها للمتذوقين مما يجعله أكثر انتشاراً بين القصاصين لحيوته واستمراريته الفنية المتجددة .

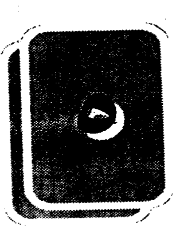
* وهناك السرد عن طريق **المذكرات أو اليوميات** . وعلى سبيل المثال يوميات نائب فى الأرياف . وهو أسلوب يرى القاص فيه أبعاد ا لمفاهيمَ يريد مناقشتها بصورة جزئية بقصد الإثارة وذلك عبر العرض الفنى لصور متعددة ومتنوعة لقضايا تجسد من رؤيته دعوة لإصلاح كثير من الإضطرابات أو ترسيخ عادات إجتماعية تعكس المعيار الأخلاقى الصحيح والنفسى المتزن لفكرته وذلك من خلال الزمان والمكان والحدث والشخوص فى إطار سردى حوارى جيد .

* وهناك أيضا السرد عن طريق الرسائل حيث يسجل القاص قصته بإسلوب كتابى يستخدم فيه منهج الرسالة ليعبر عنه بطريقة مثيرة عن علاقات زمانية ومكانية وحوارية لشخوص لهم دورهم الإيجابى فى بلورة رؤية لفكرة إجتماعية أو عاطفية أو ثقافيه .. الخ .

ويرتبط بالسرد (**الوصفى – المذكرات أو اليوميات – الرسائل**) الحوار القصصى فإذا كان السرد يتناول الشكل اللغوى الذى تعرض به القصة فإن الحوار يعكس طبيعة الشخوص من حيث رؤيتها لفكرة الحدث والقضايا المطروحة داخل الإطار القصصى كما يصور درجة القبول أو الرفض للمواقف وطبيعة الانفعالات والمشاعر وذلك عن طريق الحوار المشترك بين الشخوص أو الحوار الصامت الذى يجول داخل نفسية الشخصية ولعل الحوار الداخلى يحتاج لدقة فى الأداء لتحقيق المتعة الفنية لدى المتذوق من خلال العمل

الشعورى الذى يتجلى من الحوار النفسى الحى الذى يصور صدق إيمان الشخصية بالمواقف حتى اختمر بداخلها فأصبح من مكنونها عبر الحديث الحوارى الصامت .





المبحث الخامس

الدراسة الأدبية والنقدية
لقصة [لن أعيش في جلباب أبي]
قصة : إحسان عبد القدوس

الدراسة الأدبية والنقدية
لقصة لن أعيش فى جلباب أبى
قصة (إحسان عبد القدوس)

القصة نداء إنسانى وإعداد فنى فهى تصور متطلبات الحياة ومافيها من تطلعات حسية ونفسية وذلك من خلال وصف تصويرى حى ينبثق من بيئتها فالقصة وليدة لها حيث تعكس بجلاءظروفها وملابستها ومالها من عادات وتقاليد وقيم ولهذا تختلف نوعية القصة وطبيعتها من بيئة لأخرى وفى الواقع أن الشخصيات والزمان والمكان يشكلون نقطة انطلاق لقضية حيوية يترجمها السرد والحوار من خلال العرض اللغوى الدقيق والأحاسيس الواعية التى تنقل رؤية القاص من التفاعل الداخلى إلى العالم الخارجى وتطرحها أمام فكر مجتمعها ناطقة فى كل ما تحتوية من لمحات ومراحل، وتطورات وسلوكيات وعواطف وهمسات يسطرها المؤلف فى نسيج متناسق مترابط يمثله التكامل الموضوعى للقصة من حيث وحدة الهدف والمشاعر والمواقف هذه الوحدة يكشفها الصراع الطبيعى الدرامى الصادق المجسد لوحدة الدوافع التى تصور البناء العضوى للعمل القصصى ولعل القارىء يقف بوعى وبصيرة على أبعاد العرض القصصى وقيمتة الفنية والجمالية والبنائية حينما يحكى له أو يشاهده على الشاشة مثلما شاهد جمهور الشاشة الفضية قصة (**لن أعيش فى جلباب أبى**) للقاص (**إحسان عبد القدوس**) حيث تفاعل جمهور الشعب المصرى على مستوياته الفكرية والأجتماعية

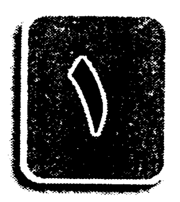
مع الأداء القصصى الفنى المتحرك الذى جسد فى كل شخصية قيمة من القيم التى تشكل المجتمع المصرى وتصور الصراع النفسى بين جيلين الأباء والأبناء .

وسيعرض البحث بإذن الله – النص القصصى ثم يعقب بالدراسة الأدبية النقدية .

العرض النصى

إحسان عبد القدوس

لن أعيش في جلباب أبي



كـانت صـداقتـى لعبـد الوهاب البـرعى صـداقـة من نوع عجيب .. فأحـيانا كنت أعتقد أننا مجرد معـارف .. فأنا أعرفه وهو يعـرفنى مـنذ كنا طلبـة فى المدرسـة الابـتـدائيـة ثم فى المدرسة الثانويـة .. ولكنى أحيانا كنت أفاجـأ به وكأنه صديق حميم إلى حد أن يطلعنى على كل أسراره ويستشيرنى فى كل ما يطرأ على حياته حتى لو كنا قد التقينا صدفة ..

وكنا قد التـقينا صدفـة فى أحد شوارع حى الزمـالك حيث يقيم كـلانا ، ودعوته لتناول فنجان قهـوة فى نادى الجزيرة .. وقـال لى بعـد أن انتـهـينا من الكـلام المائع الذى يبـدأ به كل حديث :

– سأتزوج ..

قالهـا وهو ساهم وبلا فـرحة ، وصحت فـيه كـأنى أحقنه بالفرحة :

– ألف مبروك .. ربنا يتمم بخير ..

وقال وهو لا يزال ساهماً :
– إنها مسلمة ..
وقلت فى دهشة :
– طبعاً .. لابد أن تكون مسلمة .. إن ما أعرفه عنك يجعلنى لا أنتظر لك أن تتزوج من غير مسلمة ..
وقال فى صوته الخافت الساهم :
– إنها أمريكية ..
واشتدت بى الدهشة حتى كادت تقفز بى من فوق مقعدى وصحت :
– هل هى أمريكية أسلمت أم أمريكية من عائلة مسلمة ..
وقال متنهداً كأنه يعيش مأساة :
– لقد أسلمت ..
وقلت وأنا أفتعل الفرحة كأنى أحاول إنقاذه :
– هل أنت الذى أدخلتها الإسلام .. لك الجنة ..
وقال وصوته لا يزال خافتاً :
– لا .. لقد وجدتها مسلمة ..
وقلت وقد بدأ صوتى يخفت مع صوته :
– وكيف أسلمت ؟
قال فى ضيق :
– لابد أنها اقتنعت بالإسلام .. إنها مثقفة .. اسمع أنى سأذهب إليها مساء اليوم لتأكيد الخطوبة وإعلانها .. هل تأتى معى ..
وقلت حائراً :
– يشرفنى .. أين تقيم العروس ؟
وقال بسرعة :

– إنها تقيم مع الدكتورة فوزية الباجورى فى بيتها .. هل تعرف الدكتورة فوزية ..

وقلت وقد عادت الدهشة تستبد بى :

– طبعاً أعرفها .. إنها جارتنا .. ولو أنى لم أرها منذ عادت هى وزوجها من أمريكا .. ولكن هل ستذهب لإعلان الخطوبة وليس معك أحد من العائلة ..

قال وهو يقوم واقفاً :

– أختى ستسبقنى إلى هناك ..

قلت مبتسماً :

– وأبوك ..

ورد فى حدة كأنه ينهرنى :

– إنه موضوع لا يخص أبى .. يكفى أن تكون أنت معى وأنت أعز صديق .. سنلتقى هنا فى الساعة ..

وتركنى دون أن يصافحنى وابتعد مسرعاً كأنه يجرى منى وأنا أتتبعه بنظرات ملؤها التعجب والدهشة والحيرة ..

●●●

وعبد الوهاب منذ كان معنا فى المدرسة الابتدائية وهو مشهور حتى اليوم بأنه ابن الحاج عبد الغفور البرعى .. ولم يكن عبد الوهاب سعيداً أبداً بهذه الشهرة ، وكان يتعمد الا يتحدث أبداً عن أبيه ويهرب من أى سؤال يوجه إليه عن أبيه .. كأنه كان يستعر منه .. وذلك رغم أنى أعتبر أباه الحاج عبدالغفور معجزة خارقة من معجزات الزمن .. إنه لا أحد يعلم شيئاً عن أصله وفصله ، ولم يعرف عنه أنه من المعجزات المثقفة ، بل قيل عنه إنه لم يدخل مدرسة فى حياته وأنه إلى

الآن لا يجيد القراءة والكتابة .. وهو إلى الآن يرتدى بين الناس الجلباب الواسع وفوق رأسه لبدة ملفوفة داخل لفافة ملونة تفرقها عن لفافة العمة .. وعبد الغفور بدأ كما يحكى عنه عاملا فى مخزن من مخازن وكالة البلح ينقل على كتفيه قطع الحديد الخردة ، ولكنه أخذ يكتشف بسرعة أسرار وكالة البلح .. وبدأ يجازف بعمليات بيع وشراء صغيرة .. ثم أخذ يكبر ويكبر إلى أن أصبح من أكبر تجار الحديد الخردة فى الوكالة .. أصبح مليونيراً .. بل إنه وصل إلى استيراد آلات حديثة لصهر الحديد وقطعه مما در عليه عمليات ضخمة تدر عليه مزيداً من الملايين .. وكان يشاع عن الحاج عبد الغفور ما يشاع عن كل أصحاب الملايين .. إنه يرشو ويهرب ويسرق ، حتى قيل إنه لم يؤد فريضة الحاج ولكنه اغتصب لقب حاج وأسبغه على نفسه ..

ولا يستطيع أحد أن يحدد كم يملك الحاج عبد الغفور .. كل ما يعرفه الناس عنه أنه يملك أربع عمارات حديثة ضخمة .. اثنتان منها فى الزمالك واثنتان فى شارع النيل بالجيزة .. وكان قد انتقل منذ سنوات من الشقة التى كان يسكنها فى بولاق هو وزوجته وولداه عبد الوهاب وعبد الستار وأربع من البنات .. وأقام فى شقة واسعة فى أعلى عمارة يملكها .. فى الزمالك .. ثم اشترى منذ سنوات فيلا أو قصراً من القصور القديمة فى شارع حسن صبرى بالزمالك أيضاً ، واعتقدنا فيما بيننا أنه سينتقل هو والعائلة إلى هذا القصر حتى يمتع نفسه ويمتع أولاده بما وهبه الله ، ولكننا فوجئنا بأن القصر قد استأجرته إحدى السفارات .. وظل الحاج عبد الغفور كما هو

فى الشقة العالية .. إنه لا يحب المظاهر ولا يحب التباهى بثرائه ، بل إنه ليس معروفاً بشخصه فى المجتمعات الراقية .. إنه لا هو ولا أولاده أعضاء فى نادى الجزيرة رغم أنه ناد أصبح يجمع كل من هب ودب ، إنه بجلبابه ولبدته لا يتحرك ولا يقول السلام عليكم إلا إذا وجد كل ما تقوم عليه دنياه .. خذ وهات .. ماذا تساوى الدنيا بلا خذ وهات ..

وكان للحاج عبد الغفور عدد كبير من الموظفين والمعاونين علاوة عن العمال ، وكان معاونوه طبعاً من المتعلمين ، ولكنه لم يكن يؤمن بمنتهى العلم .. لم يكن بين معاونيه مهندس معروف أو مدير معروف ، فقد كان يعتمد كل الاعتماد على ذكائه وحده ولا يريد من المعاونين إلا خدمة هذا الذكاء .. أن يكونوا جنوداً لذكائه .. وقد قيل لنا ضمن الحكايات التى نسمعها عنه أنه كان جالسا مرة فى مقهى قريباً من وكالة البلح تعود أن يمر عليه ليشد نفسين شيشة قبل أن يعود إلى البيت ، وسمع بعض من حوله يتحدثون عن آلات الصهر والقطع الحديثة التى تعمل فى بلاد بره .. ولم يشترك الحاج عبد الغفور فى الحديث ولم يقل كلمة .. وفى صباح اليوم التالى جمع اثنين من المتعلمين الذين يعملون معه وروى لهم ما سمعه .. ثم قال .. شوفوا لنا الحكاية دى .. وبعد بضعة شهور كان قد استورد آلات الصهر والقطع .. إنه معجزة خارقة ..

ولم يكن ابنه عبد الوهاب ولا ابنه عبد الستار من معاونيه ، بل إنهم لم يذهبوا يوماً إلى وكالة البلح ولم يريا مخازن ملايين أبيهم .. كان بينهما وبينه إحساس من الجفاء

الصــامت .. كانا ينظران إليـه كـأنه إنسان جـاهل لا يمكن أن يرتقى بنفسه ولا بهم .. ربما لأنه يحتفظ بمـستواه الاجتماعى المنعزل المتواضع ، ولا يزال مصراً على الجلباب الواسـع واللبدة التى يضعـها فوق رأسه .. أمـا هو فكان يعاملهمـا على أن كلا منهما مـسئول عن نفســه .. إنه عاش مسئولاً عـن نفسه وكل ما وصل إليه لـم يكن لأبيه فضل فيه .. هـذه هى الحياة .. كل ابن يولد وهو مـسئـول عن نفـسه .. ولذلك تركـهمـا دون أن يحاول أن يشـدهما إلى دنيـاه .. إلى العمل مـعه وفـهم أسرار وكالة البلح .. إنه اكـتشف بنفـسه أسرار الوكـالة فليكتشفـها ولداه أيضاً لو أراد أحدهما اكتشافها .

ولكن ما كان يقـوله الناس عن الحاج عبد الغـفور أنه بخيل فى منتهى البـخل حتى أنه يخاف على مـا يملكه من ولديه فلا يقول لهـما كم يملك ولا ماذا يملك ولا أين يحـتفظ بما يملك .. حتى لا يثير طمع أحـدهما فيه .. بل ربما كان يتعـمد إبعادهما عنه كنوع من الحيطة واتقاء خوفـه من شرهما .. وكان بجانب مـصروفـات العائلة الـعادية يخـصص لكل منهـما مـصروفـاً أسبوعياً .. وكانت الأم هى الوحيدة ، التى يتعامل معها مالياً .. يعطيهـا مصروف البيت ويـعطيها مصـروفات الأولاد والبنات ويتركـها تتـصرف وهو واثق أنهـا لن تزعجه أبـداً .. إنها هى الأخرى لم تتغيـر منذ تزوجها عبد الغفـور .. كان أبوها يعمل معـه عامـلا شيـالا فى وكالة البلح وكـانت تقيم فى دخـانيق بولاق ، ومن يومها لم تحاول أبدا أن ترتفع إلى مستوى آخر .. أو تعـيش مجـتـمعـاً آخر .. حـتى بعـد أن انتقـلت لتقـيم فى الزمالك .. إنها لا تهتم بأن تتعرف بسيدات الزمالك ولا بسكان

العمارة التى يملكها زوجها .. إنها تكتفى بأنها زوجة صاحب العمارة ، وتتباهى بالأساور الذهبية التى تكسو بها رسغيها .. وعبد الغفور يزيدها من الأساور الذهبية لا لمجرد إشباع نزواتها فى التباهى كأى امرأة ولكن لأنه يعلم أن جمع الذهب هو جمع لأمواله .. تحويش .. وفى أى وقت يستطيع أن يبيع الذهب ويسترد أمواله مع ارتفاع السعر .. إنه مع بخله الشديد يبقى مستغلا ذكاءه .. ذكاء السوق .. إنه مثلا كتب العمارات التى يملكها بأسماء ولديه وبناته لا تنازلاً عنها لهم ولكن تهرباً من الضرائب .. وليس لأحد فيهم أن يتحكمْ فى أى عمارة باسمه .. بل قد لا يعلم أى واحد منهم كم تدر هذه العمارة من قيمة الايجارات .. إن الإدارة والتصرف له وحده ، بل إنه تنظيماً لأعماله وتخففاً من الضرائب أيضا قسم هذه الأعمال فى ثلاث شركات وجعل شركتين منها باسم أولاده وهم لا يعلمون عنها شيئاً .. إنهم يوقعون على أوراق يحملها لهم مدبولى أفندى سكرتير أبيهم وهم صامتون لا يسألون ولا يفهمون ..

كما أن بخل الحاج عبد الغفور لم يؤثر فى حرصه على تعليم أولاده لا شك أنه يعانى عقدة نفسية ذاتية لأنه لم يتعلم ولم يدخل مدارس فى حياته .. وهى عقدة تغلبت على بخله فكان حريصاً على تعليم أولاده دون أن يسأل نفسه ماذا يريد من تعليمهم ، بل لم يكن يتخيل كما يتخيل الآباء لأبنائهم مستقبلا يتمنون لهم .. دكتور .. مهندس .. محام .. لم تكن هذه التخيلات تخطر على باله ، إنما فقط يحس بالراحة من العقدة التى يعانيها .. إن أولاده وهم قطعة منه ويحملون اسمه

يدخلون المدارس ويجيدون القراءة والكتابة .. لذلك حرص على أن يدخلهم المدارس حتى بناته الأربع .. وقد وصلت نظيرة وهى صغراهن إلى الجامعة .. بل إنها اختارت الجامعة الأمريكية .. إن نظيرة أقدر أولاد عبد الغفور على التحرر من العقدة التى يسببها لهم أبوهم .. وقد دخلت الجامعة الأمريكية ربما لمجرد إثبات شخصيتها كبنت راقية من بنات المجتمع .. وأبوها لا يحاول أن يفهم الفرق بين الجامعة الأمريكية والجامعة المصرية .. يكفى أن اسمها جامعة .. جامعة والسلام .. أما البنات الثلاث فقد تزوجن دون أن يستكملن التعليم الثانوى .. وكان أزواجهن من شباب العائلات الراقية ، ولا شك أن أقوى ما دفعهم إلى الزواج منهن هو ما يعرفونه عن ثراء عبد الغفور .. وعبد الغفور لم يكن يهمه من كل من يتقدم إلى إحدى بناته إلا أن يعرف عنه ماذا يعمل وكم يكسب ومن هو أبوه وماذا يملك .. ولكن . لقد طلقت اثنتان من البنات بعد أن فوجىء زوجاهما بمدى بخل عبد الغفور .. لماذا يعطى بناته بعد أن تزوجن .. إن لكل منهن زوجاً مسئولاً عنها يتولى أمرها .. وكان زوج البنت الثالثة هو الذى استمر بزواجه فقد كان خبيثا صابرا .. استطاع أن يقنع عبد الغفور بأن يعمل معه فى شركاته بصفته محاسباً من خريجى التجارة .. والأهم أنه قادر على انتظار الإرث ..

ومنذ دخل عبد الستار وعبد الوهاب ابنا الحاج عبد الغفور مدارس روضة الأطفال وهما بعيدان عن والدهما .. كل منهما يبحث عن مستقبله بنفسه .. إن أباهما لا يسألهما أبدا عما يجرى لهما أو عما يدرسانه . إنه فقط يسأل أحد معاونيه

سؤالا عابرا عن المدرسة التى يلتحق بها ابنه ، وقد استطاع عبد الستار أن يستمر فى التعليم حتى دخل كلية الهندسة ولكن بعد سنتين فقط وهو طالب فى كلية الهندسة سافر فجأة ليتم تعليمه فى إنجلترا .. ولا أدرى كيف أقنع أباه بأن يدفع له نفقات سفره وإقامته فى الخارج .. لا شك أنه أثار فيه الزهو بأن ابنه يتعلم فى الخارج ليكون عالما فى مستوى الخواجات .. ومن يومها لم يعد عبد الستار إلى مصر .. وقد قيل أنه تزوج هناك زوجة إنجليزية وأنه يعمل ويكسب ولا أحد يدرى ماذا يعمل وكم يكسب .. ربما كان كل ما وصل إليه عبد الستار وسعد به أنه أصبح قادرا على أن يعيش بعيدا عن أبيه ..

كل هذا كلام كنا نسمعه ونتداوله عن الحاج عبد الغفور البرعى وعائلته ، ولكنى لم أعرف الحاج عبد الغفور معرفة شخصية ولا ابنه عبد الستار ولا بنتا من بناته .. لم أعرف إلا عبد الوهاب .. ولم يفكر عبد الوهاب يوما فى دعوتى إلى بيته ليعرفنى بعائلته .. لم يدخل بيت الحاج عبد الغفور أحد من أصدقاء أو من معارف أولاده ..

ومنذ كان عبد الوهاب زميلا لى فى المدرسة الابتدائية وأنا أعتبره شخصية عجيبة .. كنت أحس به أحيانا كما قلت كأنه صديق حميم يلازمنى ويحكى لى .. وأحيانا يبتعد وينعزل ويحيى أحدنا الآخر من بعيد كأن ما بيننا هو مجرد تعارف .. ومنذ كنا فى المدرسة الابتدائية وأنا أحكم عليه بأنه لا يطيق العلم ولا المدرسة وقد انتقلت أنا إلى المدرسة الثانوية وبقى هو راسبا فى الابتدائى إلى أن لحق بى بعد عامين .. وكنت دائما

أتسـاءل .. لماذا لا يتـرك المدارس ويتـفرغ لمشاركـة أبيـه فى تجارته .. ربما كـانت له مواهب أبيـه .. وأبوه كان يعتـمد على ذكـائه ولم يكن فى حاجـة إلى الدراسـة أو المدارس .. ولكن .. ربما كانت عقدة عـبد الوهاب أنه لا يريد أن يكون كأبيه ولذلك يصمم على أن يدخل المدرسة ويحصل على شهادة ..

وكنا كلما كبرنا وأنا أزداد حيرة فى عبد الوهاب وأفاجأ منه بتصرفات تجعلنى أحيانا أعتبره مجنونا أو شاذا .. وقد التقيت به مرة ونحن فى عمر الصغـار وهو يسير فى الشارع مرتديا اللبس الكامل للاعبى كرة القدم .. حذاء لعب الكورة والجوارب والبنطلون والقميص .. وقلت له وأنا أكتم ضحكتى الساخرة :

– إلى أين يا كابتن ؟!

وقال فى جدية :

– عندى تمرين ..

قلت ساخرا :

– هل أصبـحت لاعب كرة .. طول عمرك كـابتن يا كابتن .. ولكن أين تلعب ؟

وقال فى صـوته الجاد وهو ينظر إلىّ كأنه يلومنى ويشـير إلى القميص الذى يرتديه :

– ألا ترى .. إنى ألعب فى الترسانة طبعا .. تعالى معى ..

وكان فعلاً يرتدى قميص فريـق الترسانة .. وقد سرت معه حتى نادى الترسانة كأنى أسير مع مجنون مستأنس .. لايمكن أن يكون لاعب كرة ويسير فى الشارع هكذا وهو مرتد ملابس الملعب .. لا شك أنه يعانى عقـدة ، ربما كانت عقدته أنه يريد أن يشتهر بشىء أو يعرف بشىء .. واخـتار بخياله أن يعرف وأن

يشتهر بأنه لاعب كرة حتى دون أن يلعب الكرة .. لذلك فإنه يتعمد أن يلبس ملابس اللعب ويسير بها فى الشارع أمام كل الناس .. وقد دخلت معه نادى الترسانة ولم أفاجأ عندما لم أجد أحداً يعرفه داخل النادى .. ولم أجد ما يدل على أن هناك من يتدرب على اللعب .. ولم يحاول هو أن يفسر لى أى شىء ولكنه سار بى إلى أن جلسنا معا على مقعد من مقاعد مدرج النادى وهو يتحدث عن الكرة .. إنه يتتبع فعلا كل مباريات كرة القدم ، وربما كان يفهم اللعب ولكنه لم يلعب أبدا إنما اكتفى أن يسير فى الشارع كأنه لاعب كرة ..

وقد كنا أيامها فى الخامسة عشرة من العمر .. وبعد عام واحد وجدت عبد الوهاب فى حالة أخرى .. لقد أصبح يتردد كل يوم عند الظهر إلى بار فى حى الزمالك .. وهو بار مغلق الأبواب بحيث لا يستطيع من يمر به أن يرى من بداخله .. وهو الذى صحبنى إلى هذا البار وطلب بمجرد جلوسه زجاجة من البيرة لنفسه ولم يسألنى ماذا سأطلب أنا .. كل منا يطلب لنفسه ويدفع حساب نفسه .. وقد شرب زجاجة البيرة بسرعة وطلب زجاجة ثانية ثم زجاجة ثالثة ثم زجاجة رابعة دون أن يستمع إلىّ وأنا أنصحه بأن يكف عن شرب البيرة .. وقد قام بعد ذلك ولم يكن يترنح فى خطواته ترنحاً فاضحاً ولكنه كان يهتز .. وقد علمت أنه يذهب إلى البار كل يوم فى الظهر ولا يشرب إلا البيرة إلى أن يشبع فيعود إلى البيت وينام إلى أن تتبخر البيرة من رأسه ..

إلى أن مر عام آخر ودخل عبد الوهاب فى حالة جديدة وهى الحالة التى لا تزال متمكنة منه حتى اليوم .. حالة

التـدين .. لقـد تدين حـتى أصـبح غـارقـاً كله فى الدين .. إنه يقضى كل أوقاته بعد المدرسة فى الجامع .. ويقرأ دائماً القرآن والتـفـسـيرات ، وإذا أراد أن يذاكـر فـإنه يذاكـر أيضـا داخل الجـامع .. وقد وصل به الـتزمت إلى حـد أن أطلق لحـيتـه ثم حلقـها ثم عـاد وأطلقهـا .. ويدخل فى مناقشـات طويلة .. هل إطلاق اللحيـة سنة مفروضـة أم سنة اختـيارية .. هل من حق الرجل أن يكشف عن شعـر رأسه أم أن السنة تحرمـه .. وكان أحيانـاً يضـع على رأسه طاقية أقـرب إلى اللبدة التى على رأس أبيه وأصـبح مصراً بعـد أن يعود من المدرسـة أن يخلع البدلة ويرتدى جلبابا يخرج به إلى الشارع .. إنه يرتدى البدلة مرغماً فى المدرسـة ولكن ارتداء البـدلة حـرام .. ليـست من شـرائع ولا مظاهر التدين .. البـركة كل البركة فى الجلبـاب .. والمظهر الذى يصون شـخصـية وكـرامة المتدين هـو ألا يبدو إلا داخل الجلباب ..

وكنت قد سبقت عبد الوهاب بسنوات وحصلت على الثانوية العامة والتحقت بكلية الهندسـة .. أما هو فقد مضى عليه تسع سنوات وهو لا يزال فى الدراسة الثانوية .. ثم فجاة ودون أن يحـصل على الثـانوية سـافـر إلى الخـارج .. ولا أدرى كـيف استطاع أن يقنع أباه بالإنفاق عليه فى الخارج .. ربما كان الأب يدارى عـقدته بالتظاهر والتـباهى بأن له أولادا فـى الخـارج .. ربما أراد أن يعطى عبد الوهاب ما أعطاه لابنه عبد الستار الذى يقيم فى الخارج ويتفاخر به ..

وقد سـافر عبـدالوهاب دون أن يقول لى .. ولكنى سـمعت من بقية الأصـدقاء الذين يعرفونه .. وكنت أسـمع أنه يقيم فى

لندن .. ثم سمعت أنه انتقل إلى باريس ثم إلى سويسرا .. ولم يحدث أن أرسل لى أى خطاب أثناء سفره .. إلى أن التقيت به بعد أربع سنوات فى شوارع الزمالك .. واحتضننى فى شوق وفى لحظة أحسست به يعطينى كل أحاسيس الصداقة كأننا لم نفترق .. واكتشفت بسرعة أنه قد عاد دون أن يتغير .. إنه لا يزال مغرقاً فى التدين ولحيته تتدلى من تحت ذقنه .. ويردد الشعائر خلال كلامه .. ولكنه لا يرتدى الجلباب .. إنه يرتدى بدلة .. لعل ذلك من تأثير إقامته فى أوربا .. ولم يقل لى خلال هذا اللقاء أنه حصل على شهادة ما من أوربا أو تخصص فى علم من العلوم أو مهنة من المهن .. وأنا لم أسأله:

وخلال كل هذا العمر الطويل لم أعرف لعبد الوهاب أى علاقة نسائية .. لا علاقة عاطفية مع فتاة .. ولا علاقة جنسية مع امرأة .. بل إنه لم تكن سيرة البنات تأتى أبدا فى كلامنا .. ولم ألحظ عليه أبدا أنه يتطلع إلى أى امرأة ونحن نسير فى الشارع مهما كانت هذه المرأة مثيرة .. حتى عندما كنت أدعوه ليأتى معى إلى النادى لم تلفت نظره أى « بنت » ، ولم يحاول أن يتقصى عن أى بنت .. بل لم يكن يتحدث عن البنات كحديث نتسلى به ونضحك ، وعندما كان يجلس بيننا ونطلق مثل هذا الحديث يدير وجهه عنا ويسكت .. حتى بعد أن سافر إلى أوربا .. لقد عرفت أنه كان يقيم هناك دائماً فى البنسيونات التى تجمع طلبة مصريين وعرباً .. وكان الطلبة يصحبون النساء إلى البنسيون ويجالسونهن علناً ثم يشد كل طالب المرأة التى يصحبها إلى فراشه .. وكان عبد الوهاب يثور .. ويرفض

أن يشارك أصدقاءه لهوهم ومتعتهم .. ويدخل غرفته ويغلق على نفسه الباب ويقضى الليل يصلى ويستغفر الله .. وأنا أكاد أكون واثقاً متأكداً أن عبد الوهاب رغم أنه الآن فى الثلاثين من عمره لا يزال بكراً لم يمس امرأة ..

ولكن يبدو أن أوربا تركت أثراً فى عقلية عبد الوهاب وأحاسيسه بالمرأة .. لقد بدأ فى أحاديثه معى يمتدح المرأة الأوربية .. إنه يقول إنها إنسانة كاملة الشخصية .. واستطاعت أن تصل إلى القوة التى تصون بها نفسها وتفرض إرادتها على الرجل المتجنى ..

وأخذ يتحدث طويلاً عن إعجابه بشخصية المرأة الأوربية دون أن يتحدث عن مستوى جمالها .. وقلت له ضاحكا :

– قل لى يا عبده بصراحة .. ألم تكن لك علاقة بواحدة من هناك ؟!

وقال وهو ينظر إلىّ فى لوم :

– إذا كانت علاقة بالمعنى الذى أعرف أنك تقصده فلا وأستغفر الله .. ولكنى طبعاً عرفت الكثيرات معرفة طاهرة نظيفة .. إنهن لا شك شخصيات كاملة ..

قلت فى خبث :

– ألم تغرك واحدة منهن ؟!

قال فى لهجة جادة :

– إن الله سبحانه قدرنى على مقاومة الإغراء وقدرنى على مقاومة نفسى .. والحمد لله ..

قلت وكأنى ألح عليه :

– ألم تغرك واحدة منهن بالحلال .. أى الزواج ؟

وقال مبتسماً وكأنه يحادث نفسه :

- إنهن ناقصات .. ولا أريد أن أقول إنهن ناقصات عقلاً ولكنهن قطعاً ناقصات ديناً .. وإخوتى البنات يلححن علىّ منذ عدت بأن أتزوج .. وقد قلت لهن أنى أتمنى أن أجد من أتزوجها ولها شخصية المرأة الأوربية .. قوتها .. وعلمها .. واحتمالها للمسئولية .. ولكنى أريد كل ذلك فى امرأة مصرية متدينة .. فالإيمان هو أساس سلامة كل بناء للشخصية ..

ويومها لم أقتنع من كلام عبد الوهاب إلا بأنه أعجب بجمال وقوام نساء أوربا لذلك أعجب بهن ..

●●●

وكنت أعيش كل هذه الذكريات التى أستعيد بها شخصية عبد الوهاب البرعى وأنا فى دهشة لما فوجئت به من إقدامه على الزواج من فتاة أمريكية .. لا شك أنه يتزوجها لأنه وجدها مسلمة .. لقد استكملت فى تقديره العقل والدين .. عقل بنات أوربا وديننا ..

وتعمدت أن أرتدى البدلة كاملة وأن أعلق الكرافت .. فإنى ذاهب فى لقاء رسمى لإعلان خطوبة صديقى .. وقد جاء فى موعده تماماً .. واتجهنا مباشرة وركبنا سيارتى .. إن عبد الوهاب ابن المليونير المعجزة عبد الغفور البرعى لا يملك سيارة ولم يملك فى حياته سيارة ، بل إنه لا يعرف كيف يقود سيارة .. إن أباه مقتنع بأن من يريد من أولاده سيارة فليشترها من ماله بعد أن يكون له مال ..

وقلت وأنا أقود سيارتى وبجانبى عبد الوهاب صامتاً ساهماً :

– ما اسم خطيبتك ..

ونظر إلىّ كأنه يلومنى لهذا السؤال وكأن ليس من حقى أن أعرف اسم خطيبته .. لا يصح .. عيب .. ولكنه عاد وقال :

– اسمها أمينة .. أصبح اسمها أمينة ..

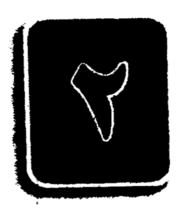
قلت وأنا لا أهتم بلومه :

– هل تعمل .. أم أنها هنا للفسحة والسياحة ؟!

وقال باختصار وبصوت عصبى :

– إنها دكتورة .. طبيبة ..

وسكت .. ووجدت نفسى أقود السيارة بسرعة تفوق ما تعودته ، وأبذل مجهوداً حتى لا ترتعش يداى فوق عجلة القيادة .. أحس كأنى مقدم على عملية خطيرة مثيرة .. وأحس باندفاع صارخ لرؤية هذه الدكتورة الأمريكية .. أريد أن أراها وأعرفها وأحس كأنى فى طريقى إلى الكشف عن أسرار .. ونقطة ضعفى التى أتعبتنى فى كل حياتى هى إدمانى لهواية الوصول إلى الأسرار ..



كان أول ما فوجئت به أنى لم أجد فى البيت أى مظهر من مظاهر الاستقبال التى تتطلبها مناسبة إعلان خطوبة .. كنت أنا وعبد الوهاب وحدنا يرتدى كل منا بدلة ورباط عنق .. فبدونا كأننا غرباء .. واستقبلتنا فوزية صاحبة البيت استقبالا عاديا كأن ليس هناك أى مناسبة تشيع فرحة الترحيب .. بل إنها لم تفاجأ بى رغم أنه قد مضى أكثر من أربع سنوات منذ سافرت إلى أمريكا وعادت دون أن ألقاها وهى جارتى وصديقتى منذ أيام الطفولة .. ربما غيرتها حياتها فى أمريكا فلم تعد تحس بالشوق أو تندفع مرحبة .. وكانت ترتدى قميصاً عادياً وبنطلوناً كان ليس هناك ما يستحق أن تتعب نفسها وتتزين من أجله .. ثم صافحت زوجها مؤنس خلف الله .. الدكتور مؤنس .. وكان هو الآخر لا يبدو أنه يحتفل بمناسبة ولا حتى باستقبال ضيف .. إنه يرتدى بنطلون شورت كأن لا أحد غريب فى بيته .. ولكنه كان أكثر حرارة فى الترحيب بى .. ثم دهشت عندما وجدت ابنة عمى خيرية ..

إنى أعلم أنهـا تعرف فوزية ولـكنى لم أكن أنتظر أن تكون بين المدعـوات .. ربما لم تكن هناك دعـوات على الإطلاق .. إنما هى مجـرد زيارة عادية .. واقتـربت خيرية منى تصـيح من خلال ابتسامة واسعة :

– أهلاً أبيه حسين ..

وقبّلتها على جبينها قبلة أخوية كعادتنا وأنا أركز عينى على فتاة أخرى لا أعرفها .. وتقدمت منـها أصافحها ، وقالت فوزية وهى بجانبى :

– ألا تعرفها .. إنها نظيرة أخت عبد الوهاب ..

وقلت وأنا أملأ منها عينى :

– أهلا ..

وقالت نظيرة وهى تبتسم ابتسامة مرحة :

– إنى أعرفك بالسمع .. أخى يحدثنى عنك كثيراً ..

وبقيت عيناى معلقـتين بها وأنا أحس بالدهشة .. إنى أحس منذ اللمحـة الأولى بأنها شىء آخر غيـر أخيها عـبد الوهاب .. إنهـا حلوة .. حـلاوة بنت البلد .. سـمـراء طويلة وكل مـا فى وجهـها يضج بالمرح ، ونظـراتها جريئـة .. وعقـصة شـعرها الطويل مثيرة .. وإن كانت عقـصة على النمط الشعبى المعروف لا يبدو فيها مجهود إعدادها عند أحد مصففى الشعر .. وثوبها عـادى طبـيعـى .. ثوب زيارة عاديـة .. لا يبدو أنـها تعـمـدت اختياره بمناسبة إعلان خطبة أخيها ..

وشددت عينى عنها لأبحث عن الفتاة التى جئت من أجلها .. الفتاة الأمريكية المسلمة التى يخطبها عبد الوهاب .. أمينة .. أين هى ولاحظت أن عـبد الوهاب كـان قـد ابتعـد عنى .. ثم لمحت

ظهره وهو جالس فى الشرفة المواجهة وبجانبه فتاة .. لا شك أنها هى ..

وشدتنى فوزية إلى الشرفة وهى تقول ساخرة :

– تعال لأقدمك إلى الفتاة التى جئت أنت وصديقك من أجلها .

ثم قالت وأنا أمد يدى مصافحاً :

– روز مارى .. أقصد أمينة ..

وقالت أمينة فى برود وهى تصافحنى دون أن تقوم واقفة من على مقعدها :

– هاللو ..

وقلت مبتسماً مردداً لهجتها الأمريكية :

– هاللو ..

ثم التفت إلى عبد الوهاب كأنى ألومه .. إنها ليست جميلة .. ليس فيها شىء مما كنت أتخيله من جمال بنات أمريكا .. ولا حتى نسبة متواضعة من ملامح هذا الجمال .. إنها رفيعة ووجهها ممصوص وعيناها ضيقتان غائرتان وشفتاها خطان رفيعان يكادان لا يظهران فوق جلدها .. ربما كان ما يميزها هو جبينها الواسع المرتفع كأنه كل وجهها ..

إن الجبين العالى يدل على العبقرية وربما كان كل ما شد عبد الوهاب إليها هو عبقريتها .. وكانت ترتدى ثوباً فى لون أزرق غامق ينعكس فوق لونها الأبيض الفاقع الممسوخ لا يخفف من بياضه قطرة دم من اللون الأحمر .. لون الورد .. وكان ثوباً يغطى كل صدرها ويرتفع حتى عنقها ، وأكمامه طويلة تمتد حتى رسغيها وهو ثوب طويل يصل حتى وهى جالسة إلى قدميها .. وكانت تضع فوق رأسها طرحة ملفوفة

من اللون الازرق أيضاً تغطى كل شعـرها .. لا شك أنها متأثرة بما فهمته من تعاليم الإسلام ..

وقالت لها فوزية بلغة إنجليزية ولهجة أمريكية :

– أمينة .. تعالى يجب أن نعد شيئا نقدمه ..

كأنهما لم يحسبا حساب زيارتنا قبل أن نصل ..

وقامت أمينة فوراً خلف فوزية وهى صـامتة .. كأنها تلقت أمراً لا تسـتطيع أن تجادله .. وتـتبعـتهـا وهى تجرجر ثـوبها الطويل بين قدميها .. ثم قلت لعبد الوهاب :

– الا تتكلم أمينة العربى ..

وقال عبد الوهاب وفى عينيه لمحة فرحة :

– إنهـا تتكلم العربى وترتـل آيات القرآن بالعـربى .. ولكن طبعاً لغتها الأصلية هى الإنجليزية ..

قلت وأنا أبحث عن كلام :

– لقد كانت فوزية تكلمها بالإنجليزية .. لهذا سألتك ..

وقال عبد الوهاب مبتسماً :

– إنهما يتكلمان بحكم التعود فقد عاشا معاً فى أمريكا أربع سنوات ، وأمينة لم يمض عليها فى مصر سوى ثلاثة أشـهر ..

وقلت فى صوت خفيض كأنى أهمس :

– هل أعلنت إسلامها فى أمريكا ..

وقال عبد الوهاب وهو يهمس أيضاً كأنى عدوته بالهمس :

– لا .. أسلمت بعد أن جاءت إلى مصر ..

وكنا جالسين وحدنا فى الشرفـة فجاء إلينا الدكتور مؤنس يدعونا إلى الداخل قائلاً ضاحكاً :

– إعـداد مـا يقـدم لنا على وشك أن يتم .. تعـالوا قـبل أن يفوتنا القطار ..

وقمنا إلى الداخل وكل عقلى ممتلىء بأمينة .. هذه المرأة الأمريكية المسلمة .. إنى بعد أن رأيتها ازدادت حيرتى فيها واشتد إحساسى بأنى مقبل على عالم أسرار .. ولكنى بمجرد أن تركت الشرفة وجدت نفسى وقد انشغلت بنظيرة أخت عبد الوهاب والابنة الوحيدة للحاج عبد الغفور البرعى التى استطاعت أن تستمر فى التعليم إلى أن وصلت إلى الجامعة الأمريكية .. إنها شخصية غير ما كان يمكن أن أتصوره لابنة الحاج عبد الغفور .. إنها هى التى تتكلم كل الكلام ونحن جلوس معها .. إنها تحكى عن دراستها ونوادر الجامعة .. وأنا أزداد إعجاباً بها .. إلى أن دخلت علينا فوزية وبجانبها أمينة يجران مائدة صغيرة تحمل معدات الشاى وإبريقاً من عصير الليمون وطبقاً من البسكوت وتحمل أيضا بعض الزجاجات .. زجاجة كمبارى وزجاجة جين .. كأن البيت يعترف بالحرية .. لك حق ألا تشرب الخمر ولك حق أن تشرب ..

وفوزية شربت كمبارى وشربت معها .. وزوجها مؤنس شرب من زجاجة الجين .. وكل الباقين اكتفوا بالشاى .. وأمينة اكتفت بشرب الليمون .. وقد حدث أن مد الدكتور مؤنس يده إلى زجاجة الصودا ليضيف منها إلى كأسه فقامت أمينة تساعده وما كادت تلتقط زجاجة الصودا وتهم أن تصل بها إلى مؤنس حتى قال عبد الوهاب فى صوت كأنه زئير الأسد :

- حرام ..

وبسرعة ألقت أمينة الزجاجة من يدها بينما لوت فوزية شفتيها كأنها ساخطة ثم قالت ساخرة باللغة الإنجليزية كأنها مغتاظة :

– ستكونين زوجة مطيعة ..

وكنا نتبادل الأحاديث العائمة ونظيرة مشتركة معنا دائماً .. إلى أن قالت :

– إن ثوبك أطول من المعقول يا أمينة ..

ونظرت أمينة إلى أطراف ثوبها ولم تتكلم وقال عبد الوهاب فوراً :

– هذا ثوب المرأة كما يجب أن يكون .. إنها أكثر إيماناً منك ..

ولم ترد أخته نظيرة ولكنها ضحكت ، ولكن فوزية قالت فى غل :

– ليس أحدهما أكثر ولا أقل إيماناً من الأخرى .. إن الإسلام يعترف بحرية الفرد فى حدود تعاليمه .. ونظيرة حرة فى تقصير ثوبها متراً وأمينة حرة فى إطالة ثوبها مترين .. ما دام الثوب لا يكشف عن عورة ..

وكانت تتكلم بلهجة الأستاذة المتأكدة من ثقافتها ..

وقالت نظيرة كأنها تريد أن تنقذ الموقف :

– لنتكلم فى الأهم .. والأهم أن نتفق على يوم إعلان خطوبة أخى عبد الوهاب وأمينة ..

وقالت فوزية فى ازدراء :

– اتفقوا ..

وقال مؤنس فى مرح :

– لماذا لا تتم الخطوبة اليوم .. الآن .. منذ أسابيع وهما يدوشاننا بقصتهما ..

وقالت نظيرة ضاحكة :

– لابد أن يكون لإعلان الخطوبة فرحة وحفلة ..

وقال مؤنس :

– إن الفرحة فرحتهما .. ما لنا وما لهم .. ونوفر التقاليد القديمة التى بليت ونسيناها ..

وقالت فوزية ساخرة ملتفتة إلى عبد الوهاب :

– هل معك الدبل ؟!

وتنحنح عبد الوهاب كأنه يهم أن يلقى خطاباً طويلاً :

– إنى لا أريد إعلان خطوبة .. ليست الخطوبة شريعة مفروضة .. لنعلن الزواج مباشرة .. لنتزوج ..

وقالت أمينة ضاحكة :

– لك حق ..

وقالت نظيرة وهى تضحك كأنها لا تصدق ما تسمعه :

– ومتى يكون الزواج ..

وقال عبد الوهاب فوراً :

– الآن .. نرسل فى استدعاء المأذون وعلى بركة الله .. أو على الأكثر غداً ..

وصاحت أمينة :

– لا .. مستحيل .. إنى لست مستعدة للزواج الآن ولا غداً ..

وقالت لها نظيرة ضاحكة :

– متى يا عروسة ..

وقالت أمينة وهى تحنى رأسها كأنها خجولة :

– ليس قبل أسبوعين ..

ودارت الأحاديث والمناقشات بيننا وكلها تنبض بالسعادة والمرح ، وإن كانت فوزية هى دائما أكثرنا جدية فى حديثها حتى أنها كان يبدو عليها أنها لا ترحب بهذا الزواج .. ثم تم الاتفاق نهائياً على أن يتم الزواج بعد أسبوعين .. وفى ليلة الجمعة احتراماً للتقاليد ..

وقمت منصرفاً بعد أن عرضت على ابنة عمي خيرية أن أوصلها بسيارتي .. كنت أريد أن أعرف منها شيئاً عن روزالين .. أقصد عن أمينة .. لابد أنها تعرف عنها شيئا .. وكنت أقدر أن عبد الوهاب يريد أن يبقى مدة أطول مع عروسه ، ولكنه استوقفني وجاء معي بعد أن صافح الجميع مصافحة رسمية .. حتى عروسه لم يقل لها كلمة أكثر مما قاله .. وطبعاً لم يحاول أن يقبلها كما جرت العادة بين عريس وعروسه بعد أن اتفقا على ليلة الزفاف .. أما أخته نظيرة فقد فضلت أن تبقى .. وستعود إلى البيت وحدها .. إنها تريد أن تتحدث أكثر مع العروس .. ونظرت إليها كأني ألومها وابتسمت لها مودعاً من بعيد .. إني أحس باهتمام كبير ناحية نظيرة ..

●●●

وقلت لعبد الوهاب وهو ينزل من سيارتي أمام باب عمارتهم :

– دعني أراك .. غداً في النادي ..

وقال مبتسماً :

– سأمر عليك في السابعة مساء ..

إنه ليس عضواً في النادي ولا يحب التردد عليه .. وكانت هذه أول مرة نحاول فيها أن نتواعد على لقاء بعد أن تعودنا على لقاءات المدرسة أو لقاءات الصدفة .. ولم أكن قد قررت أن أعتمد على عبد الوهاب لأصل منه إلى السر .. إنه يبدو كأنه لا يعرف شيئا إلا أن أمينة خطيبته مسلمة .. ولكني كنت أريد أن أوطد صداقتي معه .. أصبحت أحس كأني في حاجة إليه ..

وما كدت أبتعد بسيارتي حتى سألت ابنة عمي خيرية في لهفة :

– هل تعرفين هذه الفتاة الامريكية ؟
وقالت ضاحكة :
– أعرفها منذ جاءت إلى مصر وأقامت عند فوزية ..
وقلت فى صوت ملهوف :
– ولماذا جاءت إلى مصر ؟
قالت من خلال ابتسامة تخفف من ضحكتها :
– لا أدرى .. إن كل ما تقوله أنها أحست بأنها تريد أن تجىء إلى مصر وصممت على أن تجىء إلى مصر ..
قلت ملحاً :
– ولماذا تقيم عند فوزية ..
قالت وهى تهز كتفيها كأنها لا تصدق ما ستقوله :
– لقد كانتا صديقتين جداً فى أمريكا .. كانتا تقيمان فى عمارة واحدة .. وكان من المفروض أن تقيم معها عندما تاتى إلى مصر .. هذا كل ما يقال لنا ..
قلت وكأنى أنهر خيرية لأنها لا تستطرد فى حديثها :
– وماذا عرفت عنها ؟
وقالت خيرية ولهجتها ساخرة :
– إنها طبيبة متخصصة فى علاج اللثة .. ولكنها لا تستطيع أن تمارس الطب حتى الآن فى مصر لأنها لم تحصل على إذن .. لذلك فقد التحقت بالعمل كسكرتيرة فى مكتب إحدى شركات البترول الأمريكية حتى تحصل على ما يكفل لها مصاريف إقامتها .. وفى الوقت نفسه تحاول أن تتعرف وتصادق أطباء الأسنان .. لأن طبيب الأسنان يستطيع أن يصل بها إلى ممارسة علاج اللثة .. وفوزية متحمسة لها جداً .. ولكنها إنسانة عجيبة حتى أنى لا أصدق أنها طبيبة رغم أن

حديثها يدور معظمه عن أيام دراستها .. وفى يوم اتصلت بفوزية وقلت لها إنى أريد أن تزورنى روزالين لأنى أحس بالتهاب فى لثتى .. وكانت فوزية تقوم لها بالدعاية فعلا كطبيبة .. ولكنى فى الواقع لم أكن فى حاجة إلى علاج لثتى ولكنى كنت أريد أن أعرف روزالين أكثر .. أن أتفرج عليها من شدة ما كنت أتعجب منها .. وكان ذلك فى الأيام الأولى لوصولها ولم تكن قد أعلنت إسلامها بعد ولم يكن اسمها قد أصبح أمينة بدلا من روزالين .. وقد جاءت إلىّ فى الحال وهى تحمل حقيبتين .. حقيبة صغيرة وحقيبة كبيرة .. وفتحت الحقيبة الصغيرة وقبل أن تمد يدها إليها طلبت منى أن أفتح فمى وأخذت تكشف على لثتى وتتحسسها بأصابعها ثم أخرجت من الحقيبة الصغيرة أدوات تعينها على الكشف .. وكل من فى البيت قد التف حولنا يتفرج على هذه الأعجوبة الأمريكية .. إلى أن انتهت من الكشف وأوصت بالدواء .. ثم أغلقت حقيبتها الصغيرة وجلست بيننا كصديقة وقالت مبتسمة :

– أليس بينكم من هو فى حاجة إلى حذاء ..

وفوجئنا ودهشنا بما تقوله ، وقبل أن نرد عليها مدت يدها وجذبت الحقيبة الكبيرة وفتحتها وإذا بها مزدحمة بعدد من الأحذية .. أحذية رجالى .. وأحذية نسائى .. وأحذية أطفال .. ورفعت عينيها إلينا تستعرض دهشتنا ، ثم قالت فى بساطة وهى تبتسم :

– إنى أبيعها ..

وضحكت ابنة عمى خيرية وهى تهز رأسها تتعجب لذكرى هذا اليوم بينما أنا أقود السيارة وقد فغرت شفتى من

الدهشة .. كأنى أسمع قصة غريبة مثيرة .. إلى أن عادت خيرية تحكى :

– لقد أخذنا نقلب فى الأحذية بأيد ترتعش من الدهشة .. بينما هى تتحدث بانطلاق عن البضاعة التى تعرضها كأنها تاجرة محترفة : هذه أحذية أمريكية من بلد أمريكى .. وهذا الجلد كذا .. وهذا النعل كذا .. وقد سألناها يومها ..

– لماذا أتيت بالأحذية من أمريكا لتبيعيها فى مصر ..

وسكتت برهة كأنها فوجئت بالسؤال ثم شدت ظهرها وقالت فى لهجة متعالية :

– إنى من عائلة تتاجر فى الأحذية ..

ولم نسألها أكثر من ذلك .. وقد اشتريت منها حذاء .. والحقيقة أنه لم يعجبنى شىء من هذه الأحذية ولكنى اشتريت مجاملة لها ولعلها مجاملة تحمل إحساسى بالتعجب والإشفاق .. وقد دفعت لها الثمن الذى حددته .. ثمانية جنيهات للحذاء الذى اشتريته وخمسة جنيهات أتعاب الكشف على لثتى ..

وقاطعت خيرية ملهوفاً :

– ألا تزال تتاجر فى الأحذية ؟

وقالت خيرية ضاحكة :

– لا .. لقد باعت ما كان معها ولم تسافر إلى أمريكا لتعود بشحنة أخرى من الأحذية ..

وكنا قد وصلنا إلى بيت ابنة عمى وقلت لها ملحاً :

– سأركن السيارة وأصعد معك لتحكى لى المزيد ..

وقالت ضاحكة :

– ليس لدى المزيد .. إن روزالين شخصية لا تستطيع أن

تكتشفها بسهولة .. وهى تصمت طويلاً .. قد تقضى الجلسة كلها وهى صامتة .. وقد تتكلم فإذا تكلمت فإنها لا تسكت عن الكلام .. وكل كلامها ينصب على آراء ودراسات لا تفهم منها شيئاً .. أما فوزية فهى لا تحب أن تتكلم كثيراً عن صديقتها روزالين ، وإذا تكلمت لا تجد فى كلامها شيئا غريباً .. كأن روزالين مجرد ضيفة عادية من أمريكا .. لذلك فلن تجد عندى ما يشبع لهفتك .. وتصبح على خير .. لا تعذبنى بإلحاحك يا ابن عمى ..

وفتحت باب السيارة وجرت إلى البيت ضاحكة كأنها تغيظنى ..

●●●

كنت أعلم أنى لن أستطيع أن أكتشف أسرار روزالين إلا إذا كشفتها لى فوزية الباجورى .. وأنا أعرف فوزية منذ كنا صبية .. كانت جارتنا .. وأهلى متعارفون بأهلها .. وكانت لها شخصية تميزها عن كل بنات الحى .. كانت شخصية أقرب إلى شخصية ولد لا بنت .. كانت تبدو دائماً عنيفة ونظراتها تنطلق فى جرأة .. وكانت إذا وجدتنا نلعب الكرة فى الشارع أصرت على أن تلعب معنا . وإذا وجدتنا فى مشاجرة مع أطفال ونضرب بعضنا بعضاً حشرت نفسها معنا فى المشاجرة .. حتى بعد أن أصبحت شابة رأيتها يوما فى النادى الأهلى تتدرب على رفع الأثقال .. ثم علمت أنها تلعب الشيش بالسيف .. ويغلب عليها دائما ومنذ صغرها طابع وذوق الأولاد .. إنها تقص شعرها دائما بحيث يصبح قصيرا كشعر الأولاد .. ودائما بالبنطلون والقميص ونادراً ما كنا نراها بالفستان .. والمهم أنها كانت دائماً تصر على فرض شخصيتها

على البنات وعلى من تعرفهم من الأولاد .. كـأنها كانت تحاول دائمـاً أن تكون الزعيـمة .. وتخـتـار بنتاً من البنات وتفـرض شخصـيتها عـليها حتى تبـدو هذه البنت كأنها قد اسـتسلمت لفوزية استـسلاماً كاملاً .. وقد يمر عـام أو عامان وهذه البنت مستسلمـة إلى أن تبتعد مرة واحدة وتكون فـوزية قد اختارت بنتاً أخرى تستـسلم لها .. من يدرى .. ربما كانت روزالين هى البنت المستسلمة الآن .. وحتـى بين الأولاد كانت فوزية تختار ولداً تستطيع أن تـفرض عليه شـخصيـتها .. وفـوزية ليست جميلة حتى تفرض شخصيتها باستغلال جمالها.. إنها سمراء قاتمة وتقاطيع وجهها ليست مثيرة وإن كان قوامها دائماً رائعاً ولكن أهم ما فيهـا أنها جذابة .. وذكية .. وبجاذبيتـها وذكائها كانـت تختـار دائماً ومنذ صـغرها ولداً ثم شـاباً تفرض علـيه شخصيتها ويلازمهـا .. وتترك الإشاعات ترسم قصة حب لها مع هذا الشـاب .. رسـمت الإشـاعـات لهـا فى يوم من الأيام صورة حب لها مع صديقنا محيى .. ثم ذهب محيى وأصبحت القصـة مع صديقنا عادل .. إنها دائمـاً مرتبطة بقصـة .. قصة مع ولد وفى نفس الوقت قصة مع بنت ..

وكـان ذكاء فـوزية يوفر لهـا النجاح فى دراسـتهـا إلى أن التحـقت بكلية الاقتـصاد والعلوم السيـاسية .. ولكنهـا بعد أن تخرجت لم تعـمل فلم يكن من أهدافها ولا مـن احتياجـاتها أن تعـمل .. وهى لا تقـدم علـى أى خطوة إلا إذا كـان لهـا هدف تحتـاج إليه .. وكانت فى حـاجة إلى الزواج ، وكانت أصـبحت فى قصة حب مع مؤنس فتزوجـته .. وتفرغت للزواج محتفظة بكل شخصيـتها وكل حريتها .. إلى أن تقـرر أن يسافر مؤنس إلى أمريكا فى بعثـة دراسية وسـافرت معـه .. وعـادا بعد أربع

سنوات وبعد أن حصل زوجها على الدكتوراه وهى أيضاً حصلت على ماجستير فى إدارة الأعمال .. وربما التحقت بالجامعة هناك لا لأنه كان من هدفها أن تعمل ولكن فقط لكى تشغل وقتها فإن الحياة فى أمريكا لا تطاق إذا لم يكن لك عمل يزدحم به الوقت .. لذلك فهى لم تحاول أن تلتحق بأى عمل بعد أن عادت ، بل إنها لا تفرح ولا ترحب بأن تنادى بلقب الدكتورة فوزية ، وقد كانوا ينادونها بهذا اللقب رغم أنها لا تحمل سوى شهادة ماجستير .. إنها كلها متفرغة لبيتها ..

هذه هى فوزية كما أعرفها وأغلب ما أعرفه سمعته عنها فإننا بعد أن تخطينا صبانا لم تعد تجمعنا صداقة مستمرة .. ربما لأنى كنت دائما أعتبرها إنسانة غريبة وإنسانة صعبة .. وربما كانت هى لا تحاول الارتباط بى بصداقة لأنى لم أكن أحقق لها هدفاً تحتاج إليه .. ولكن كان لنا من أهل الحى أصدقاء كثيرون مشتركون وكنا ندعى إلى دعوات كثيرة تجمعنا .. وكنا دائماً عندما نجتمع يفرح كل منا بالآخر فرحة ذكريات الصبا ..

وأنا الآن فى حاجة إليها .. وربما كانت تبدو حاجة تافهة فماذا يهم من معرفة أى شىء وكل شىء عن روزالين .. ولكنها بالنسبة لى حاجة ملحة لا لأطمئن على مستقبل صديقى عبد الوهاب الذى سيتزوج روزالين فحسب ، ولكن لأننى كما قلت مصاب بإدمان الكشف عن الأسرار ..

وفى اليوم التالى لزيارتنا لفوزية حادثتها فى التليفون وتعمدت أن يكون حديثاً عن ذكرياتنا وعن الأحداث التى قد تهمها وعن أهلى وأهلها دون أن أثير موضوع روزالين وزواجها من عبده .. كنت أحاول متعمداً أن أستعيد صداقتنا

قبل أن أستغلها فى الكشف عن الأسرار .. وقد أحسست بأنها سعيدة بأحاديثنا .. وتضحك كلما ذكرتها بواحد من أصدقائها القدامى .. أو كلما عايرتها بأنها لم تستطع أن تكون لاعبة كرة .. والأحاديث التليفونية تعددت إلى أن قلت لها :

– متى أستطيع أن أراك ؟

قالت فى بساطة :

– تستطيع أن تأتى لزيارتى فى أى وقت ..

قلت ضاحكاً :

– سأزورك بصفتى صديقك لا صديق عبد الوهاب كما استقبلتنى عندما زرتك فى المرة السابقة ..

قالت وهى تضحك :

– وسأستقبلك لأنك جئت لى لا للفرجة على زوزالين .. أمينة .. إنى لم أتعود بعد على أن أسميها أمينة ..

قلت مداعباً :

– إذا كان من الصعب عليك التعود فابذلى مجهوداً أكبر حتى تتعودى علىّ ..

وكنت أحس وأنا أقول هذا الكلام أنى أنافقها .. أحاول أن أجذبها إلى صداقتى حتى تطمئن إلىّ أكثر .. وقد حددت موعدا لزيارتى فى العاشرة صباحا .. أريد أن أراها وهى وحدها بعيدا عنْ زوجها حتى أستطيع أن أجذبها أكثر إلى الحديث . وليس بيننا ما يمكن أن يثير الشك إذا قابلتها وحدها .. وقالت مرحبة فرحة :

– لتكن الساعة الحادية عشرة حتى أكون قد انتهيت من مطالب البيت ..

إنها ست بيت متفرغة كأنها لا تحمل شهادة الدكتوراه أو الماجستير من أمريكا ..

●●●

وذهبت في الموعد ..

وما كدت أهم بدخول باب العمارة الكبيرة حتى وقفت مشدوهاً وعيناى تبحلقان فى دهشة ، واضطررت أن أستند على الجدار حتى لا تقذف بى الدهشة على الأرض ..

إن روزالين أمامى عند الرصيف .. وهى مرتدية ثوبها الذى يغطيها من أول عنقها حتى قدميها ، وشعرها مغطى بالطرحة الملفوفة .. وهى تهم أن تركب موتسكل تمسك بحافته بين يديها ..

ورأتنى من بعيد وصاحت :

– هاللو ..

ثم رفعت ساقها وهى تمسك بثوبها وركبت الموتسكل .. وارتفع صوت الموتور كأنه زغرودة صارخة .. وانطلقت تجرى به فى الشارع إلى أن اختفت ..

واستطعت أن أفيق من دهشتى وهززت رأسى حتى أطرد ذهولى وأتخلص من المفاجأة .. لماذا أصدم وأنا أراها تركب الموتسكل .. إن بنات أمريكا يركبن الموتسكلات حتى لو كن فى القاهرة ..



لم يكن من السهل جذب فوزية للتحدث عن روزالين .. إنها تبدو أحيانا كأنها لا تحب التحدث عنها أو كأنها تريد أن تقول لكل الناس .. مالكم ومالها .. ولكن فى أحيان أخرى كانت تستسلم للتحدث وأعرف منها أصل وفصل روزالين .. وكانت فوزية تكرر دائما كلما جاء ذكرها : مسكينة .. مسكينة ..

إن روزالين من قرية مجاورة لمدينة شيكاغو .. والقرى فى أمريكا هى مدن صغيرة .. ليست كقرانا فى مصر .. والعائلة تملك محلا متواضعا لبيع الأحذية تعتمد عليه اعتمادا كاملا .. وهى عائلة كاثوليكية متزمتة إلى حد العزلة .. فلم تكن روزالين بنتا كبقية بنات أمريكا تنطلق بكامل حريتها فى كل نواحى الحياة ولكنها كانت بنتا مقفولة كأنها محبوسة فى سجن .. وأمها هى السجانة .. إنه ليس من حقها أن تدخل أو تخرج إلا بأوامر أمها .. ليس من حقها أن يكون لها صديق كبقية البنات .. ممنوع لمس الرجل إلا فى الحلال .. وليس من حقها أن تصادق إلا البنات .. وتعودت على البنات حتى لم تعد

تحب أو يخطر على بالها أن يكون لهـا صديق شاب .. يكفـيها البنات .. وكـان كل يوم من أيامهـا مرسومـاً خطوة بخطوة .. إنهـا تذهب إلى المدرسـة فى الصـباح .. وتخـرج من المدرسـة وتذهب إلى دكان الأحذية لتساعد أباها وأمهـا .. ثم تعود إلى البيت فى السـابعة مساء ، وتبقى فيه حتى اليوم التالى وتشغل وقتها بأعمال البيت والمذاكرة ..

هكذا كـانت حـياة روزالين .. حـيـاة مـقفـولة وفى منتـهى التـزمت .. وربما كـان الدافع إلى هذا التـزمت هـو البـحث عن الأمن .. عن حـمـاية النفس .. إن كل أهل أمـريكا يعـيشـون فى خـوف .. لا أمان فى أمـريكا .. إن البنت قـد تسـير فى الشـارع فـيعـتـدى عليـها صـبـاحا أو مـسـاء لسرقـتـها أو لخـطفهـا واغـتـصـابهـا .. والذين يعـتـدون ليـسـوا الزنوج وحـدهم أو المكسيكيون أو أى ممن يقال عنهم إنهم مـعتدون .. إنك تسير فى الشـارع ولا تدرى من سـيـعـتـدى عليك .. حـتى وأنت فى البـيت .. لا تدرى ما يمـكن أن يحدث لك ولبـيـتك .. إنهم هناك حـريصـون على غلق الأبواب والنـوافـذ دائمـا ولا يكـفى غلق الأبواب والنوافـذ ، فهم يتـركون النور مـضاء طول الليل حـتى يقولوا للمعتدى قبل أن يعـتدى أن البيت ليس خاليًا من سكانه ، وحـتى إذا دخل عليـهم المعـتـدى سـاعـدهم النور المضـاء على التصدى له ..

إن الخوف فى أمـريكا أصبـح كأنه طابع الحـياة البـشرية وخـصـوصـاً خوف البنات .. الجنس الضـعيف .. وربما كـانت غـريزة الخوف هى التـى كانت تدفع روزاليـن إلى أن تتحـمل تزمت أمها .. إلى أن حدثت لهم حـادثة .. كانت تركب مع أمها وأخيـها فى سـيارة العائلة .. وكـانت أمها هـى التى تسوق ..

ووقع تصـــادم عنـيف مع ســـيـارة لـورى .. ووقع الثــلاثة مصـابين .. وقد أصيبت أمها وأخوها بارتجاج فى المخ أدى إلى أن اهتزت قـواهما العـقلية .. أصـبحت أمـها مجنونـة وأخوها مجنوناً .. أمـا هى .. روزالين .. فلم تصب إلا بكدمـات خفيـفة عوفيت منها ولكن الناس اعتقدوا أنها هى أيضا قد جنت .. كان أى تصرف من تصـرفاتها يفـسره الناس على أنهـا مجنونة .. يا ناس أنا لسـت مـجنونة .. إنهـا أمى .. ولكـن الناس كـانوا ينظرون إليها كما ينظرون إلى أمها المجنونة التى دفعها الجنون إلى التطرف فى التدين والتـزمت .. ووصل بها الجنون إلى أن قامت من نومهـا ذات صباح باكر وخرجت من البـيت كما هى وحتى دون أن تضـع حـذاءها فى قدميها وسـارت فى الشارع إلى الكنيسة .. ثم دخلت وأخـذت تحطم كل شىء .. الصلبان .. والشمعدانات .. حتى حطمت تمثـال السيد المسيح .. ثم سقطت على الأرض تصـرخ وتـبكى .. وكـأنهـا فـعـلت كل ذلك وهى نائمة ..

ولم تعد روزالين تحتمل هذه الحياة .. وكان أبوها شـفوقاً عليـها وكـان متـأكداً أنهـا لم يصـبهـا شـىء من الجنون الذى أصاب أمها وأخاها .. واستجاب لإلحاحها بأن تلتحق بالجامعة واستطاع أن يدبر لها نفقات دراستها فى المدينة الكبيرة .. وقد أقامت هناك فى حجرة من شقة من شقق عمارة ليست عالية .. ولكنها عـمارة قـديمة مريحـة لها أربعة أجنحة حول حـديقة صغـيرة يتوسطهـا حمـام سباحـة .. وكانت فوزية وزوجـها مؤنس يـقيمـان فى شقـة فى نفس العمـارة .. والتقت فـوزية بروزالين وبسرعـة تصادقا .. ربما لأن فـوزية تعودت على أن يكون لها دائمـاً صديقة من البنات وروزالين ليس لهـا أصدقاء

إلا من البنات .. وربما لأن روزالين وجدت فى فوزية طبيعة تختلف عن طبيعة الصداقة فى أمريكا .. الطبيعة السمحة الكريمة الضاحكة .. وربما جذبهما إحداهما إلى الأخرى اختلاف اللون .. فوزية سمراء غامقة .. ليست سوداء ولكنها شديدة السمار .. وروزالين بيضاء فاقعة البياض .. واختلاف اللون له تأثير فى قوة الجذب .. فمؤنس زوج فوزية هو أيضاً فاقع البياض ..

وتوطدت الصداقة بين فوزية وروزالين حتى أصبحت روزالين تقضى كل أوقات فراغها فى شقة فوزية أو معها فى حمام السباحة .. ثم أصبحت روزالين تحمل كتبها وتذاكر فى شقة فوزية .. إن الاثنتين فى الجامعة وإن كان كل منهما متخصصاً فى دراسة .. ثم تركت روزالين حجرتها وانتقلت كلها إلى شقة فوزية لتعيش فى غرفة خصصت لها وتدفع إيجارها .. لم ترفض فوزية أخذ قيمة الإيجار من روزالين رغم كل صداقتها ورغم أنها ليست فى حاجة إليه .. فهكذا فى أمريكا .. الصراحة فى التعامل ..

وعاشت روزالين مع فوزية وزوجها عامين .. حتى أيام الأجازات الجامعية كانوا دائما معاً .. لم تكن تفترق عنهما إلا أياماً قليلة خلال العام لتذهب لزيارة أهلها فى قريتها .. وخلال العامين لم تفكر أبدا فى اعتناق الإسلام .. وكانت تتحدث أحيانا مع مؤنس أو مع فوزية عن الإسلام .. وكان مؤنس أحياناً يترجم لها بعض آيات القرآن وأحياناً وفى مناسبات متباعدة كان مؤنس يصلى ركعتين لله وروزالين وراءه تراقبه .. ثم كانت فوزية تصوم فى رمضان ولو أنها لم تكن تصوم الشهر كله ، وكانت روزالين تصوم معها حباً لها ..

كأنها لا ترضى أن تأكل بينما صديقتها محرومة من الأكل ..
كل ما حدث لروزالين خلال هذه الفترة أنها لم تعد متزمتة كل هذا التزمت .. لم تعد تغالى فى أداء شعائر دينها والتردد على الكنيسة .. ولكن ما لم يتغير فيها هو غريزة الخوف .. إنها دائماً حريصة على أداء ما تتصور أنه يكفل لها الأمان .. ودائماً تعود إلى البيت فى الساعة الخامسة ولا تخرج منه إلا فى صباح اليوم التالى .. إنها تخاف الليل .. تخاف الظلام .. وكانت تبدو فى علاقاتها بفوزية كأنها تحتمى بها .. كأنها لا تهدأ ولا تضمن أمنها إلا وهى بجانبها .. وفوزية كانت أكبر من روزالين بعامين وكانت بحكم طبيعتها هى دائماً المسيطرة .. وقد كانت مسيطرة على روزالين كما هى دائماً مسيطرة على زوجها مؤنس ..

وقد انتهت فوزية ومؤنس من دراستهما بعد كل هذه السنوات وحصل كل منهما على شهادته وكانا يجب أن يعودا إلى مصر .. ولم يبد على روزالين أية ظاهرة جديدة فى الأيام التى سبقت يوم الوداع سوى أنها كانت كأنها واجمة تائهة تفكر فى شىء هى حائرة فيه .. إنها لم تقل أنها تفكر فى أن تلحق بهما فى مصر .. ولم تلح عليهما أن يبقيا معها فى أمريكا كما بقى كثير من المصريين الذين تعلموا هناك ولم يعودا إلى مصر .. بل إنها لم تكن تتكلم عما يمكن أن تتأثر به عواطفها بعد الفراق .. إنها فقط واجمة دائماً وفوزية تتبعها دائماً بعينين يحيطانها بالحب والشفقة وتحس أن روزالين مسكينة .. مسكينة ..

وتلقت فوزية خطاباً من روزالين بعد وصولها إلى مصر بأيام .. إنه خطاب طويل .. ثم أعقبه خطابات كثيرة .. كل

أسبوع يصلها خطاب من روزالين وكلها خطابات طويلة لا تقل عن ثلاث أو أربع صفحات فولسكاب ، فى حين أن فوزية لم تكن ترد عليها إلا بخطابات قصيرة سريعة ..

وسألت فوزية وهى تحكى لى :

– ماذا كانت تكتب لك ؟!

ونظرت إلى فوزية فى عتاب كأن ليس من حقى أن أسأل هذا السؤال ثم قالت :

– كلام .. إنها عندما تتكلم لا تكف عن الكلام .. وأيضاً عندما تكتب لا تكف عن الكتابة ..

وكان قد مضى أقل من عام عندما أرسلت روزالين برقية مختصرة : هل أستطيع أن آتى إلى مصر وأقيم معكم .. وردت عليها فوزية بكلمة واحدة .. تعال ..

وجاءت روزالين وهى تبدو هائمة فى الفرحة لمجرد أنها استطاعت أن تجىء إلى مصر .. هل جاءت إلى فوزية أم جاءت إلى مصر .. وقد سألت فوزية :

– ما الذى دفعها إلى المجىء إلى مصر .. مجرد سياحة ؟

وقالت فوزية وهى تتنهد مشفقة عليها :

– لا .. إنها ليست غبية حتى تفكر فى السياحة .. ولكنها كانت قد تعودت على الإحساس بالأمان وهى تقيم معنا فى أمريكا .. وبعد أن تركناها هناك عاد الخوف يسيطر عليها ويعذبها .. إنها خائفة خارج البيت وداخل البيت .. خائفة فى كل خطوة وفى كل دقيقة .. إن نشأتها مع أمها ركبت فيها عقدة الخوف .. ودفعتها هذه العقدة لتلحق بنا فى مصر لعلها تعود وتشعر براحة الأمان .. وقد جاءت وهى لا تدرى ماذا سيكون مصيرها فى مصر .. وأنا نفسى لم أكن أعلم ماذا تريد

أن تفعل فى مصر .. هل ستبقى معنا أم هى مجرد زيارة وتعود .. وقد جاءت وهى تحمل حقيبة ملابسها وكلها ملابس عادية ليس فيها ما يبهر .. ثم كانت تحمل حقيبة أخرى كبيرة اكتشفت أنها تجمع فيها عدداً كبيراً من الأحذية .. إن أباها لم يستطع أن يعطيها إلا عددا قليلا من الدولارات لتنفق منها على رحلتها فى مصر ، فاضطرت أن تجمع هذا العدد من الأحذية من الدكان الذى تملكه العائلة واشترت بعضها من شركات الأحذية التى يتعاملون معها بقروض بضمان أبيها .. كانت تعتمد على بيع هذه الأحذية كلما احتاجت إلى ما تعيش به فى مصر .. وقد باعتها كلها فعلا ..

وقلت وأنا أدعى الدهشة كأنى لا أعلم شيئا :

– ولكنها تعمل فى مصر ..

وقالت وهى تتنهد كأنها تتحسر عليها :

– إنها طبيبة متخصصة فى علاج اللثة كما لا شك أنك تعلم .. ولكنى أعتقد أنها قطعت دراستها خصيصاً لتأتى إلينا هرباً من الخوف .. خوف الحياة فى أمريكا .. كانت تستطيع أن تستمر فى دراستها حتى تتخصص فى مجالات أوسع .. ولو أن التخصصات فى الطب الأمريكى أضيق منها عندنا .. فهناك طبيب متخصص فى علاج الأذن وحدها أو الأنف وحده أو الحنجرة وليس طبيبا متخصصاً فى الثلاثة معا الأنف والأذن والحنجرة كما هو تقسيم التخصصات عندنا .. وقد جاءت معها بأدوات طبية حديثة على أمل أن تزاول تخصصها أثناء رحلتها .. ولكنها لم تستطع أن تزاولها فى مصر بصفة كاملة لأن ليس لها حق العمل كطبيبة .. وقد قدمتها إلى كثير من أطباء الأسنان حتى يستعينوا بها إذا أرادوا ، كما أن

كثيرات من صديقاتنا وأصدقائنا عرضوا لثاهم عليها وكانوا يدفعون لها كطبيبة .. ولكنها بعد أيام قلائل كانت قد تمنت الإقامة فى مصر إلى الأبد .. وحتى تضمن تكاليف الحياة استطاعت بذكائها أن تعمل سكرتيرة فى مكتب من مكاتب الشركات الأمريكية ..

وقلت وأنا أبحلق فى فوزية بشك كأن هناك سراً لا تريد أن تكشف عنه :

– وماذا دفعها لأن تقرر الإقامة فى مصر ؟!

وقالت فوزية دون أن تلحظ الشك فى نظرتى :

– نفس السبب .. لقد أحست بالراحة بمجرد وصولها إلى مصر .. إنها تستطيع أن تسير فى الشارع بلا خوف .. وتستطيع أن تسهر الليل خارج البيت بلا خوف .. وتستطيع أن تنام وتفتح كل النوافذ حولها وتطفىء النور بلا خوف .. إنها تتصور أن المصريين كلهم يعيشون فى أمان ، ولذلك فهى تريد أن تعيش معهم .. !

قلت وأنا ساهم كأنى أحادث نفسى :

– وقد أسلمت ..

وسمعت فوزية ترد علىّ قائلة :

– لقد ترددت أنا وزوجى مؤنس كثيرا قبل أن نعاونها على إعلان إسلامها .. لقد كنا نظن أن كل ما تعرفه عن الإسلام هو ما عرفته منا عندما كانت تقيم معنا فى أمريكا .. وهذا لا يكفى حتى نطمئن إلى أنها اقتنعت وآمنت فعلا بالإسلام .. ومن يدرى ربما كان كل ما يدفعها للإسلام هو حبها لنا وعيشتها معنا .. بل إن صديقنا مصطفى عندما سمع أنها تريد إعلان إسلامها قال إنها ربما كانت من أفراد المخابرات الأمريكية الذين

يدعــون كل شيء حتى يصلوا إلى مـــا يحـقق أهدافـــهم .. ولو كانت في الهند لحاولت اعتناق الدين البوذي أو الهندوكي .. ولكنى أثق فى روزالين .. لا يمكن أن تكون امرأة مخابرات .. ثم إننا اكتشـفنا أن ليس كل ما تعرفه عن الإسلام عرفـته منا .. لقد كانت تقـرأ كثيـراً عن الإسلام وخصـوصاً بعـد أن غادرنا نحن أمريكا وحفظت الكثير من آيات القرآن وتستطيع أن تتلو بعضـها بالعـربية .. واقـتنعنا أنا وزوجى أن دوافعـها إلى الإسـلام هى دوافع التـحرر من عـقـدتها .. عـقـدة الخوف .. إنهـا تؤمن بأن الإسلام هو دين الأمان وأنه يحدد للمؤمن تفاصيل الحياة بحيث يضمن لنفسه الأمان .. ومع إلحاحها بدأ مؤنس يجمع المعلومات عن إجـراءات إعلان الإسـلام .. وعـرفـها بأحـد المشـايخ .. ثم صحبناها إلى المكتب المختص فى الأزهر لإشهار إسلامها ..

وضحكت فوزية قائلة :

– لقد ذهبت معنا إلى الأزهر وهى ترتدى ثوباً عادياً قصيراً يكشف عن ساقيها حتى ركـبتيها .. ولم أتنبه لا أنا ولا زوجى إلى أن فى هذا ما ينافى التقاليـد .. تقاليد المحافظة على مظاهر التدين .. أنا نفسى كنت أرتدى مـثل هذا الثوب العادى .. ولكن الشيخ الذى كان يسـجل إسلامها نهرها وقـال لها إن الإسلام لا يبيح الكشف عمـا يثير وثوبها يكشف عما يثـير منها .. عن عورة .. فوعدت مستـجدية بأن تحرص على التقـاليد .. ومن يومها وهى تلبـس هذه الثياب التى تراها بها وتغطيـها كلها .. وأصبح اسمها أمينة .. أنا التى اخترت لها هذا الاسم لأنه اسم المرحومـة أمى وإن كنت لم أتعـود أن أناديها به حتـى اليوم .. وأمينة متـزمتة مغالية فى مظاهر إسـلامها كما كانت مـتزمتة مغالية وهى كاثوليكية مسيحية ..

قلت ضاحكاً ساخراً :

– لا يمكن أن تكون متزمتة .. لقد رأيتها تركب موتسكل ..

وقالت فوزية فى حدة كأنها تنهرنى :

– إنها لا تعتقد أن ركوب الموتسكل يتعارض مع تعاليم الإسلام ما دامت حريصة على أن يغطيها ثوبها وهى راكبة .. وقد كان النساء العرب منذ فجر الإسلام يركبن الخيل .. ثم إنها متأثرة بأن الراهبات الخالصات للدين يركبن الموتسكل أيضاً والبسكليت ويقدن السيارات .. ولكنى خفت عليها من إثارة الناس عندما يرونها فى الشارع وهى راكبة موتسكل .. ولم تقتنع بكلامى .. إنها مطمئنة اطمئناناً عجيباً على أمننا فى مصر .. وكانت تركب الموتسكل فى قريتها فى أمريكا ولكنها لم تكن تستطيع أن تركبه فى المدينة الكبيرة .. كانت تخاف أن تثير أحداً من الناس فيضع خطة ليستولى عليها .. أو ليستولى على الموتسكل نفسه فقد يكون بالنسبة له أغلى من المرأة ..

وقلت وأنا أحاول مراضاتها ونفاقها :

– على كل حال فالفضل لك .. أنت التى نزعت عقدة روزالين .. عقدة الخوف .. منذ أن دعوتها للحياة معك فى أمريكا .. ثم دعوتها إلى مصر .. وعاشت معك فى بيتك .. وكفلت لها كل ما تتطلبه الحياة ..

ولم تقل لى فوزية أن روزالين تدفع لها تكاليف حياتها معها .. تدفع إيجاراً للحجرة التى تقيم فيها ، وتدفع نصيبها من كل نفقات الحياة .. وفوزية ليست فى حاجة لأن تدفع لها روزالين .. ولكن هذه هى الحياة الصحيحة .. كل يتحمل نفقات نفسه .. هكذا الحياة فى أمريكا .. ولكن فوزية ردت قائلة :

– إنى أحب أمينة وأثق فيها وأستريح لها ..

ولم أحاول أن أسـألها عن مدى هذا الحب ولا عن نوعـه حتى أرضى لهفتى .. وحتى لا أكشف عن شكوكى فى تصور ما بينها وبين روزالين ، ولكن بعد تبادل كلمات عائمة عدت أسألها :

– هل تعتـقدين أن أمـينة ستكون سعـيدة مع عـبد الوهاب البرعى ..

وقلت اسم أمـينة كان الذى سـيتـزوجهـا عبـد الوهاب هى أمينة وليست روزالين ..

ورأيت فوزية تلوى شفتيها فى قرف ثم تعتدل فى جلستها فى عصبية وتقول :

– لا أدرى .. على كل حال لم يكن عـبد الوهاب هو أول من تقدم لها ..

وقلت فى دهشة :

– هل تقدم لزواجها كثيرون ..

وقالت وهى لا تزال تعبر عن قرفها :

– البعض .. وكانت ترفضـهم ..

وقلت من خلال دهشتى :

– لماذا يتـقدمون لهـا .. ولماذا ترفضـهم .. اسمـحى لى أن أقول لك إنها ليست رائعة الجمال ..

وقالت وهى تضحك ضحكة مرة ساخرة :

– ربما لأنها أمريكية .. والجنسية الأمريكية لها إغراء .. إن من يتزوج أمريكية يصبح من حقه أن يحصل على الجنسية الأمريكية.

قلت :

– ولماذا قبلت أن تتزوج عبد الوهاب ..

قالت وشفتاها مقلوبتان :

– ربما لأنهـا اقـتنعت بانه مـسلم مـتـدين مما يتـوافق مع إسلامها وتدينها ..

قلت كأنى أحقق معها :
- وهل وافقت أنت على هذا الزواج ..
وقالت وهى تقفز واقفة من جلستها :
- ليس من حقى أن أوافق أو أرفض .. إنها حرة ..
ثم كانت المرة الثالثة التى أزور فيها فوزية فى الصباح لأختلى بها وأجرها إلى إشباع لهفتى على كشف الأسرار .. ولم أكن قد التقيت فى المرتين السابقتين بروزالين .. كانت دائماً خارج البيت .. وفى هذه المرة وقبل أن تنتهى الزيارة فتح الباب الخارجى بمفتاح ودخلت روزالين عائدة من الخارج .. وابتسمت لى ابتسامة ضيقة من خلال شفتيها الرفيعتين قائلة بالإنجليزية :
- هاللو ..
قلت وأنا أمد يدى مصافحاً :
- كنا نتحدث عنك ..
وقالت وهى تشد يدها من يدى بسرعة كأنها لا تطيقنى :
- ليس فىّ ما يستدعى الكلام .. لست أول أمريكية تقيم فى مصر .. ولست أول أمريكية تعلن إسلامها .. عن إذنك ..
وتركتنى وجرت داخل البيت وفوجئت بفوزية تشدنى إلى باب الخروج وهى تقول بالإنجليزية أيضاً فى ابتسامة منفعلة :
- سأراك مرة أخرى يا حسين .. مع السلامة ..
وأغلقت الباب ورائى دون أن تودعنى بنظراتها كأنها فى عجلة لتلحق بروزالين ..

●●●

كانت قد مضت خمسة أيام لم أر فيها عبد الوهاب البرعى ، ورأيته بعد أن تعمدت البحث عنه وقلت له ونحن جالسان فى محل حلوانى بالزمالك :

– ما آخر أخبار أمينة ؟
قال بلا اهتمام :
– لا جديد ..
قلت مبتسماً :
– كيف لا جديد .. إن كل كلمة بينكما تقدم لك ولها جديد ..
قال فى صوت عادى :
– إننا نتحدث فى التليفون .. ولا طاقة لى على التليفون ..
قلت فى دهشة :
– ألم تلتق بها ..
قال بلا حماس :
– لماذا .. إننا سنلتقى يوم الزواج ..
وصحت وأنا مغتاظ منه :
– لا يمكن يا رجل .. يجب أن تلتقيا كل يوم حتى تعرفها أكثر وتعرفك أكثر وتتفقا على ما تريده منها وما تريده منك ..
وقال بلا اهتمام :
– لم يطرأ على بالى هذا الكلام .. إننى فى انتظار يوم الزواج .. وأحدثها فى التليفون كل يوم لأطمئن عليها ..
ربما كان عبد الوهاب يعيش أيام جده وجد جده عندما كان كل ما بين العروس والعريس لا يبدأ إلا بعد عقد القران .. بعد استكمال كل الأصول الشرعية .. إنه لا يسعى إلى لقاء خطيبته .. وطبعاً لم يقبلها قبلة واحدة .. ولا حتى تحسس يدها .. وصرخت فيه :
– اسمع يا عبده .. يجب أن تقابلها .. لتذهب إليها الليلة وأنا مستعد أن أكون معك .. فإن هناك تفاصيل كثيرة لم تتفقا عليها بعد ..

وقال فى هدوء :

– لا مـانع .. سـاتصل بالتليفـون .. وألتـقى بك السـاعـة السابعة كما تعودنا فى النادى ونذهب معاً كما سبق أن فعلنا .

وهدأت حدتى وقلت لعبد الوهاب بعد أن التقطت أنفاسى :

– إنك لم تقل لى يا عبده كيف عرفت أمينة ..

وقال هادئاً :

– لقد قلت لـك إنى كنت أقول لإخوتى البنات وهـن يلححن على أن أتزوج بأنى أريد الزواج من فـتاة لها شـخـصية الفـتاة الأوربية القـوية الكاملة على أن تكون مسلمة مـتدينة .. لم أكن أريد زواج أوربيـة ، ولكن فـتـاة فى قوة شـخـصـية الفـتـاة الأوربية .. إلى أن جاءت أختى نظيـرة وهى طالبة فى الجامعة الأمريكية كـما تعرف وقالت لى أنهـا التقت بأمينة وأنهـا فتاة أمريكية ومسلمة وأنها ترشحها زوجة لى .. وفكرت .. وانتهى تفكيرى بأنه ما دامت أمـينة مسلمة فلا يهم إذا كـانت أمريكية أجنبية .. وهكذا تقدمت لخطبتها وزواجها ..

وقفز تفكيرى كله وانحصـر فى نظيرة .. إنى منذ رأيتها لم تغب عن فكرى .. سـمـارها .. وقوامـهـا .. وجرأتـها .. ولمعـة عينيها .. وشخصيتها الأقرب إلى شخصية بنات البلد المثيرة .. وكنت أتمنى أن أراها .. بل ربما لم أكـن أبحث عن عبـد الوهاب إلا لألتقى بأخته ..

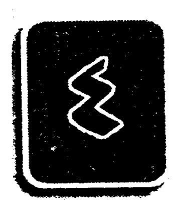
وقلت له فى حماس :

– يجب أن تأتى نظيرة معنا فى زيارة أمينة .. ما دامت هى السبب ..

وقال بلا مبالاة :

– سأقول لها ..

ومضت الساعات وأنا فى انتظار لقاء نظيرة ..



ذهبت إلى النادى قبل موعدى مع عبد الوهاب بمدة وجلست فى انتظاره .. ربما لم تكن أحاسيسى فى انتظار عبد الوهاب ولكنها كانت فى انتظار أخته نظيرة بعد أن اتفقت معه على أن يصحبها معه .. أن نظيرة بدأت تشغل بالى بشكل مثير دون أن أدرى سبباً لذلك .. بل إنى كنت أبتسم ساخراً من نفسى كلما تذكرتها .. ماذا أريد منها .. قطعاً لا أريد منها شيئاً ، أو أنى حتى هذه الأيام لم أكن قد قررت أنى أريد منها شيئاً .. إن شخصيتها هى التى جذبتنى وهى التى تشغل بالى .. شخصية بنت البلد التى استطاعت بجرأتها أن تتطور وأن تلتحق بالجامعة الأمريكية دون أن تفرط فى شخصيتها .. شخصية بنت البلد .. بكل ما فى بنت البلد من إثارة ..

وفوجئت إلى حد الانبهار عندما رأيت نظيرة تدخل وحدها إلى ساحة الليدو فى النادى حيث كنت فى انتظار أخيها عبد الوهاب .. إنها هى الأخرى جاءت قبل موعدنا .. وهى

تسير بخفة مرتدية ثوباً ليس فيه شيء من تزمت أخيها وتعاليم مظاهر الإسلام .. فهو ثوب يكشف عن ذراعيها ويرتفع إلى ركبتيها وإن كان ثوباً يعتبر محتشماً ولا يكشف عن صدرها ولا يضيق أكثر من اللازم حول خصرها .. وضفيرتها الطويلة السوداء تلتف حول عنقها وتنام فوق كتفها كأنها خيط الليل المثير .. وأخذت تصافح وتهلل مع كثير من بنات وشبان النادى الذين تزدحم بهم ساحة الليدو .. رغم أنى أعرف أنها ليست عضواً فى النادى ولم أرها تتردد عليه كثيراً .. إلى أن لمحتنى من بعيد فابتسمت ابتسامة واسعة وجاءت إلىّ وقالت فى مرح :

– أهلا حسين .. كيف حالك ؟

صافحتنى وقالت اسمى فى بساطة كأننا أصدقاء قدامى رغم أننا لم نلتق إلا مرة واحدة وفى صحبة أخيها .. وقلت وأنا أقف مرحباً وأحاول أن أضع فى صوتى رنة تعبر عن اهتمامى بها :

– كيف حالك أنت .. أوحشتنى ..

قالت من خلال ابتسامتها الواسعة :

– حالى رائع .. وقد جئت قبل الموعد .. هذه فرصة لأجالس صديقاتى وأصدقائى .. اسمح لى ..

قلت وأنا لا أزال ممسكاً بيدها التى صافحتنى بها :

– لقد التقينا بلا موعد .. فابقى معى إلى أن يحين الموعد ..

ونظرت إلىّ نظرة واسعة كأنها دهشت من شيء جديد اكتشفته ثم قالت فى لهجة مرحة كأنها قررت أن تقبل على تجربة جديدة :

– لا مانع ..

وشدت مقعداً وجلست بجانبى وهى تستطرد قائلة :

– إن كل صديقاتى وأصدقائى وكل طلبة الجامعة الأمريكية تقريبـاً يجتـمعون فى هذا النادى .. ورغم ذلك فـلا يخطر على بالى أبدا أن آتى إلى هنا .. ولا آتى إلا بالصدفة ..

وقلت وأنا أبتسم كأنى أحاول أن أغريها بابتسامتى :

– اليوم ليس صـدفة .. فأنا الذى أقنعت أخاك عـبد الوهاب لنلتقى معاً ..

قالت فى بساطة صريحة :

– لماذا كنت تريدنا أن نلتقى ..

قلت وأنا أحاول أن أكون مثلها بسيطاً مريحاً :

– لسببين .. سبب أعرفه وسبب لم أعرفه بعد أو على الأقل لا أستطيع حتى الآن أن أعبر عنه ..

وقالت ضاحكة وهى تنظر إلىّ كأنها فهمتنى :

– دعنا من السبب الذى لا تعرفـه وإلى أن تستطيع أن تعبر عنه . إنى أعذرك .. إن الإنسان فى حاجة إلى وقت حتى يعرف ما يريد ويكون صادقاً فيمـا يعرفه .. حدثنى عن السبب الآخر الذى تعرفه ..

إنها ذكـية هذه الفتـاة .. كأنها قـدرت ما أعنيه .. أو كـأنها تعودت أن يبدأ معهـا كل شاب أسطوانة الغزل .. وقد تماسكت بسرعة وتقـمصت شخصية أكـثر جدية حتى لا تعتـبرنى أحد الشبان الذين يغازلونها .. وقلت فى صوت جاد :

– لقد كنت أريد أن أعرف رأيك فى روزالين ..

وقالت فى بساطتها الحلوة :

– ليس لى رأى فيها ..

وقلت فى دهشة :

– كيف لا يكون لك رأى فيها .. إنها ستكون زوجة أخيك ..

وقالت ضاحكة :

– يكفى رأى أخى فيها .. إنه هو الذى سيتزوجها ..

وقلت كأنى ألومها :

– إنك على الأقل يجب أن تطمئنى على أخيك بعد زواجه منها .. إن أخاك صديقى ولهذا فإنى أحاول أن أعرف روزالين حتى أطمئن عليه ..

وقالت من خلال ابتسامة ساخرة :

– هذا تدخل فيما لا يعنيك .. إنى أنا وأنت نعلم أن ليس هناك جريمة ولا خطيئة أدت إلى أن يطلب عبد الوهاب الزواج من روزالين .. أما من هى روزالين ومن هو عبد الوهاب فهذا ليس من اختصاصنا .. يكفى رأى كل منهما فى الآخر .. لذلك لم أحاول أن أدوش دماغى لأحدد رأيى فى روزالين ..

قلت وكأنى أقاوم عنادها :

– ولكنها صديقتك .. ولا شك أنك تعرفين عنها أكثر مما يعرفه أخوك عبده ..

قالت ضاحكة :

– إنها ليست صديقتى ولم تكن أبدا صديقة .. كل ما هنالك أنى سمعت يوماً من إحدى زميلاتى فى الجامعة أن هناك فتاة أمريكية جاءت إلى مصر وحيدة وأعلنت إسلامها فدفعنى حب الاستطلاع والفرجة على الغرائب لأن أطلب من زميلتى أن تعرفنى بها .. وصحبتنى زميلتى إليها فى الشركة التى تعمل بها .. وقلت لها إنى أقوم بدراسة عن التأثيرات الاجتماعية

وإنى أريد أن أجلس معها حتى تساعدنى فى ناحية من نواحى هذه الدراسة فحددت لى موعد لقاء فى البيت الذى تقيم فيه .. بيت فوزية الباجورى .. وذهبت فى الموعد بلا حماس فهى لم تشدنى بشخصيتها فهى كما تعلم ليست جميلة وهى تبقى مدة طويلة صامتة فإذا تكلمت فلا تكف عن الكلام وتخرج بكلامها عما يهمك .. ورغم ذلك فقد تمتعت عندما جلست معها .. تمتعت بغرابة شخصيتها .. وقالت لى بعض الكلام الذى أثار اقتناعى واحترامى .. قالت لى مثلا إن الدين لا يورث .. وأن الفرد لا يجب أن يعشق ديناً لمجرد أنه وجد نفسه فيه .. وجد نفسه مسلماً أو مسيحياً أو يهودياً .. بل يجب أن يتحرر أولا .. أن يولد بلا دين .. ثم يبحث بنفسه ولنفسه إلى أن يجد الدين الذى يملأ إيمانه ويقنع عقله ويسيطر على أحاسيسه فيلجأ إليه ويعيش فيه .. يعيش الإسلام أو المسيحية أو اليهودية .. وهى قد ولدت ووجدت نفسها مسيحية كاثوليكية .. ولكنها استطاعت أن تتحرر وتبحث لنفسها بنفسها إلى أن آمنت بالإسلام فاعتنقته .. وهى تعيش اليوم هادئة سعيدة مطمئنة بإيمانها .. تعيش الإسلام .. أصبح إسلامها هو وجودها .. وقد أثر فىّ هذا الكلام واقتنعت به .. وإن كنت لم أستطع أن أطبقه على نفسى .. لم أستطع أن أتحرر من الإسلام حتى أبدأ فى البحث عن الدين بنفسى ولنفسى ، ولو عدت إلى الإسلام أعيش فيه بعقلية اختارته لا بعقلية توارثته .. ولكن يبدو أن الإسلام مسيطر علىّ إلى حد أنى لا أستطيع أن أتحرر بعيدا عنه لبضع دقائق .. وقد كانت طوال حديثها معى تنظر إلى فوزية كأنها تسألها رأيها

فـيمـا تقـول .. وفوزيـة تجلس بيننا تسـمع دون أن تنظر إلىّ أو إليها .. وقد أثارت فى فوزية لغزاً آخر أريد أن أعرفه .. وبدأ الشـك يعـتـرينى .. ربما لـم تعـتنق روزالين الإسـلام إيمـاناً أو اقتناعـاً إنما فقط بتأثير صـديقتهـا فوزية .. لذلك طلبت أن أقابلها مرة أخرى .. وقابلتها ..

وكانت نظيرة تتكلم بلهجة لا تتفق مع مظهرها .. مظهر بنت البلد .. إنها تتكلم بلهجة دراسـية عميقة تتغلب فيهـا شخصية الطالبة فى الجـامعة المتفـوقة فى دراستـها .. وقد أعجـبت بها فعلاً إعـجاباً له لون جديد .. وقاطـعتها وأنا أسألـها من خلال إعجابى :

– المهم كيف التقى بها أخوك عبد الوهاب ..؟

وضحكت نظيرة قائلة :

– كانت نكتة أو لعبـة لعبتها كما تعودت .. فـعبده هو أقرب إخوتى إلىّ .. بل إنـه لا يعتبـر أن له أختـاً أو أخاً إلا أنا .. وأنا الوحيدة التى يتحدث معها طويلا عن دخيلة نفسه .. وكانت من أهم أمانيه بعد أن عاد إلى أوروبا أن يتزوج فتاة مسلمة ولكنها تتميز بشـخصية أوربية .. فهو يؤمن بأن الشخـصية الأوربية للفتاة شخصية قوية تحمل مـسئولية نفسها .. وبعد أن عرفت روزالين تساءلت ساخرة .. لماذا لا تكون هى الفتاة التى يريدها أخى .. إنها شخصية أوربيـة أو أمريكية ومسلمة .. إنه لا يريد أكثر من ذلك .. كنـت أفكر كأنى أفكر فى نكتة أطلقهـا أو لعبة ألعبهـا .. وعرضت الفكرة على أخى فإذا به يقـبلها فوراً .. إنه فى حالة نفـسية تجعله يتـعلق بأى حبل يمد إليـه أو أى قطعة خشب تنقذه من الغرق .. وعندما قـابلت روزالين للمرة الثانية

قلت لها إن أخى يتـمنى أن يلقاها ، وحدثتـها عنه طويلا وقلت لها إنه مـؤمن دارس متفـرغ للدين الإسلامى .. وكنت أكلمـها جادة كأنى أتقدم لخطبتـها فعلا ولكنى بينى وبين نفسى كنت أضـحك سـاخرة .. كـنت ألعب .. ونظرت روزالين إلى فـوزية كـأنها تسـألها .. ثم وافـقت على أن تنتظر زيارة أخى .. وقـد ذهبت معه فى الزيارة الأولى .. وجـلس عبد الوهاب وروزالين أحدهما بجـانب الآخر يتكلمان حديثاً جاداً ، وكـان الحديث قد شـد أحـدهمـا إلى الآخر .. وخـرجنا علـى أن يلتـقيـا غـدا .. ولم أذهب معه بعدها .. بل إنـى كدت أنسى الموضوع كله كأن النكتة قد انتهت .. إلى أن فوجئت بعد أسبوعين بأخى يخبرنى أنه اتفق مع روزالين على الزواج .. لقـد كان يقابلـها ولم يكن يقـول لـى .. ولم أهتم .. لعل أخى يـتسلى حـتـى لو وصلت التسلية إلى حد الزواج ..

وقلت مندهشاً :

– هل أحبها وأحبته فى أسبوعين فقط ؟

وقالت ضاحكة :

– لا أدرى ..

قلت من خلال دهشتى :

– ولكنى سمعت أن روزالين تقدم إليهـا كثير من المصريين وكانت ترفض الزواج بكل من يتقـدم لها .. فلماذا قبلت الزواج من عبد الوهاب ..

وقالت نظيرة من خلال ابتسامة ساخرة :

– هل تريد رأيى .. إنى أعتقـد أن ما جمع بينهمـا هو أنهما الاثنين من الشـواذ .. لا أقصـد الشـذوذ الجنسى طبعـاً ولكنه

شذوذ فى الشخصية .. فاخى عبد الوهاب ليس فى شخصية طبيعية ولا هى فى شخصية طبيعية .. فاتفقا على أن يعيشا معاً كان كلا منهما قرر أن يبحث عن شخصيته فى الآخر .. يبحث عن الغيب ..

وأحسست بالحيرة فى كلام نظيرة .. إنى أعلم أن عبد الوهاب ليس فى شخصية طبيعية فعلا .. إن حياته كلها شاذة .. وروزالين أيضاً لا تبدو كفتاة طبيعية .. ولكن هل يكفى هذا الشذوذ للزواج .. وقلت من خلال حيرتى :

– إنه على كل حال زواج كله شاذ .. إن عبد الوهاب حتى الآن لم يحدثنى عن أى شىء اتخذه استعداداً للزواج .. أين سيقيم مع زوجته .. إنى أعلم أنه لم يؤجر شقة .. هل سيقيمان فى بنسيون أم سيعيش مع زوجته عند فوزية ..

وقالت نظيرة فى بساطة :

– إنه سيقيم هو وزوجته معنا ..

وصحت :

– فى نفس شقة العائلة ؟

وقالت نظيرة بلا اهتمام :

– إنها شقة كبيرة تشمل الدور العلوى كله من العمارة وعندنا ست غرف نوم ستخصص غرفتان منهما لعبد الوهاب وزوجته .. وقد وعده أبى بأن يخصص له شقة فى العمارة إذا خلت شقة .. وإن كان باباً لا يتمنى أن تخلو شقة ..

وقلت فى لهفة :

– هل عام أبوك بهذا الزواج ؟ وما رأيه ؟

وقالت نظيرة فى برود :

– لا رأى له ..
وصحت كأنى أكاد أجن :
– كيف لا يكون له رأى وابنه سيتزوج فتاة أمريكية وسيأتى بها لتعيش معه ..
وقالت نظيرة من خلال ابتسامة ضيقة :
– إن أبى مثلى أو إنى أنا مثله فهو لا يتعب نفسه فى تحديد رأى إلا فيما يحتاج إلى رأيه .. وزواج عبد الوهاب لا يحتاج إلى رأيه .. إن ابنه يتزوج امرأة اختارها لنفسه ولن يكلفه الزواج أو الإقامة معنا أكثر مما قدر .. فليترك ابنه يفعل ما يشاء .. ما دام ليس فيما يفعله أى إيذاء أو خسارة ..
وقلت وأنا أكبت حيرتى وغيظى من هذا الأب :
– إنى لا أريد أن أتحدث عن أبيك .. هذا موضوع آخر ..
وقالت ضاحكة :
– أحسن .. لا تتحدث عنه ولا تجعل منه موضوعاً .. لقد جاء أخى .. هيا بنا ..
وقامت منطورة فى مرح وكان عبد الوهاب قد جاء وهو يسير بين الجالسين فى حذر عكس ما جاءت هى ، وتنقلت مهللة بين الجالسين .. وأخذت أخاها من يده قبل أن يقرأ السلام وهى تردد :
– هيا بنا ..
وركبنا السيارة .. عبد الوهاب بجانبى ونظيرة فى المقعد الخلفى كما تقضى تقاليد عبد الوهاب ، وأنا تائه حائر فى كل ما سمعته من نظيرة ثم قلت كأنى أحاول أن أهرب من حيرتى :

- اسمع يا عبد الوهاب .. لا يمكن أن تبقى خمسة أيام دون أن ترى خطيبتك .. يجب أن تراها كل يوم إن لم تكن كل ساعة.

وقال وهو يضحك :

- كلها كام يوم وأعيش معها ..

وقلت وكأنى أشخط فيه :

- لقد قلت لك أنك يجب أن تعرفها كلها قبل الزواج إنى متأكد أنك حتى لم تتبادل معها قبلة واحدة ..

وقال عبد الوهاب مبتسماً فى خشوع :

- إن ما تصل إليه فى الحرام ستصل إليه لو انتظرت فى الحلال ..

وصحت :

- إنها خطيبتك وقد أصبحت كلها حلالاً لك رغم أنى لا أوصيك إلا بقبلة ..

وقال فى هدوء :

- الحلال يعلنه الشرع ..

والتفت إلى نظيرة قائلاً :

- ما رأيك فى أخيك .. هل يعجبك هذا الحال ..

قالت ضاحكة :

- دع كل واحد يعش كما يريد ..

وقلت كأنى أتعمد سؤالها :

- لو كنت أنت مخطوبة هل تحرمين خطيبك من مجرد قبلة بحجة الحلال والحرام .. إن القبلة فى حالة الخطوبة تعتبر تعارفاً فى الحلال .

وقالت نظيرة ضاحكة :

- انتظر إلى أن أخطب وبعدها سأقول لك ما يحدث بينى وبين خطيبى .. ومن يدرى ..

وكنا قد وصلنا إلى بيت روزالين ..

واستقبلتنا بفرحة هادئة .. وفوزية كما هى العادة لا يبدو عليها شىء .. لا هى فرحة ولا هى ليست فرحة .. ودار حديث عادى ..

وكان زوجها مؤنس جالساً بجانب عربة المشروبات التى كانت معدة وقال قبل أن يبدأ الحديث :

- لنبدأ ..

كأنه كان يهمه أن يطفىء عطشه هو لا عطشنا .. والعربة كما هى العادة تحمل الحلال والحرام .. عصير الليمون وزجاجات الكمبارى والجين والويسكى ..

وتعمدت أن أشرب شفطة من عصير الليمون ثم قمت قائلا :

- آسف يجب أن أعود .. عندى موعد ..

ولم يتمسك بى أحد ولا عبد الوهاب ولكنى فوجئت بنظيرة تقوم وهى تقف بجانبى :

- خذنى معك .. يجب أن أعود إلى البيت ..

ونظر أخوها عبد الوهاب إليها فى دهشة ثم نظر لى فى لوم كأنه لا يوافق على أن تخرج أخته معى وحدها ولكنه لم يعلق بشىء ..

وقلت لنظيرة وهى بجانبى فى سيارتى :

- هل يمكن أن نعود ونجلس فى النادى لنتم حديثنا ..

وقالت من خلال ابتسامة تقطر بالخبث كأنها تفهمنى :

- لا .. لا أستطيع .. يجب أن أعود إلى البيت ..

وقلت كأني أصارحها بالرجاء :

- هل لا أستطيع أن أتصل بك إلا عن طريق أخيك عبده ..

قالت ضاحكة :

- هل أنت قوى أم ضعيف ..؟

وقلت فى دهشة :

- ماذا تقصدين ؟

قالت من خلال ضحكتها :

- لو كنت قوياً فانتظر إلى أن أتصل بك وأعطنى رقم تليفونك ، أما إذا كنت ضعيفاً فسأعطيك رقم تليفون البيت وحاول أن تتصل بى ..

وسكت ..

وعادت تسألنى :

- لماذا سكت ؟

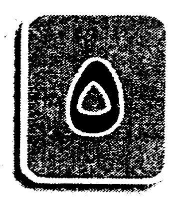
وقلت وأنا لا أنظر إليها :

- إني أفكر فى مدى قوتى وضعفى بالنسبة لك .. ولكنى أعتقد أنى ما زلت فى منتهى القوة ..

وأوقفت السيارة أمام العمارة .. عمارة أبيها .. وأخرجت ورقة وقلماً وكتبت رقم تليفون بيتى الذى أقيم فيه مع أبى وأمى وإخوتى .. ورقم تليفونى فى الشركة الهندسية التى أعمل بها .. ورغم تليفون الشقة التى أحتفظ بها والتى أسميها مكتبى الخاص .. وأعطيتها الورقة وأنا أقول متعمداً اللامبالاة:

- حاولى أن تبحثى عنى ولن أبحث عنك مهما أردتك ..

وخطفت الورقة من يدى وقفزت من السيارة دون أن ترد علىّ ..



كنت بينى وبين نفسى أكاد أطق بالغيظ من نظيرة .. خيل إلىَّ أنها استطاعت أن تسخر منى وتخدعنى .. نظيرة ابنة الحاج عبد الغفور البرعى تاجر وكالة البلح .. خدعتنى عندما قالت لى كأنها فيلسوفة زمانها أن الرجل القوى هو الذى يترك البنت تجرى وراءه والرجل الضعيف هو الذى يجرى وراء البنت ، ودفعتنى إلى أن أدعى بأنى رجل قوى فأعطيتها رقم تليفونى لتتصل بى ولم أحصل منها على وسيلة أستطيع بها أن أصل إليها .. وقد كنت غبياً .. إنى بذلك أصبحت مستسلماً لها وأعطيتها الحق فى أن تتحكم فىَّ .. إما أن يوحى لها مزاجها بالاتصال بى أو لا تتصل .. إما أن تمن علىَّ بكلمة وابتسامة وإما ألا تمن بشىء وتشوطنى بعيداً عنها .. وليست هذه هى ميزة الرجل القوى .. إنها صفة الرجل الضعيف المنهار خدام البنات .. أن الرجل القوى هو الذى يحدد ما يريد ثم يفرض إرادته ليصل إلى ما يريد .. وأنا أصبحت أعترف بأنى

أريد نظيرة .. لم أحدد بعد ما أريده منها .. ولكنى أريدها .. وصحيح أنها لم تكن تخطر على بالى أبدا وأنا أراها منذ كانت صغيرة بين بنات الزمالك .. ولكن بعد أن جمعتنا مشكلة أخيها فى الأيام الأخيرة أحسست كأنها تتسلل إلى داخل عروقى إلى أن أصبحت تسيطر على كل بالى .. ربما لأنها كبرت ونضجت وأصبح جمالها الذى ينعكس علىّ كأنه جمال بنت بلد يثيرنى ويثير أمنياتى .. ربما كان مجرد إعجاب أو لعله شىء أكثر .. ربما كانت شخصيتها الجريئة الصريحة قد رسمت أمامى صورة المرأة التى أحلم بها .. لا أدرى إلى الآن ما هى وماذا أريد منها ..

وكانت قد مرت خمسة أيام ولم تتصل بى نظيرة .. وكنت طوال هذه الأيام فى حالة انتظار .. كنت أذهب إلى عملى فى الصباح وتتعلق عيناى بالتليفون القريب .. لعلها تتكلم .. وأعود إلى البيت وأبقى فيه على غير عادتى وأنا بجانب التليفون .. وقضيت ليلتين فى شقتى الخاصة التى أسميها مكتب ، وأنا فى انتظار التليفون .. وأنا لم أتعود أن أذهب إلى هذه الشقة - أقصد المكتب - إلا وأنا على موعد .. ولكنى أصبحت أذهب وحدى فقط لانتظار التليفون لعله يرن .. إنى أتفاءل بهذه الشقة وأستبشر الخير دائماً من هذا التليفون ، فقد تعودت أن أقضى أجمل وأمتع أيام شبابى هناك .. لعلها لا تحس بما يدفعها للتحدث إلىّ .. لا تحبنى .. ولم تجد فىّ ما يغريها بى .. أن الرجل القوى الذى تخيلته ليس قوياً بالنسبة لها .. ولكنى يجب أن أكون قوياً .. يجب أن أصمم على عدم السعى إليها .. إنى أستطيع أن أتصل بأخيها عبد الوهاب لأصل به إليها ..

ولكنى لن أتصل .. لا أريدها .. فى ستين داهية .. إنها مجرد واحدة من عشرات البنات اللاتى أعجبت بهن دون أن يدفعنى الإعجاب إلى السعى وراءهن ولا حتى مجرد أن أتمناهن ..

وكانت الساعة الرابعة بعد الظهر وكنت قد قررت أن أخرج من البيت وأبدأ حياة الحرية .. ولكن التليفون رن .. وتركت أمى ترد .. إنها نظيرة تسأل عنى وكانت صريحة وأمى تسألها عمن تكون .. وقالت كل اسمها .. نظيرة عبد الغفور .. وأمى تقول لها .. ازيك يا بنتى .. وأمى لم تكن تعرفها ولكنها تعرف اسم عبد الغفور .. المليونير البخيل الذى تعرفه كل مصر .. وأمى تعرف أيضاً أنى صديق ابنه عبد الوهاب .. ولا شك أن أمى كانت سعيدة وهى تسمع اسمها .. سعيدة لأن ابنها يعرف أولاد وبنات المليونير .. وأعطتنى السماعة وما كادت نظيرة تسمع صوتى حتى صاحت :

– هل سمعت آخر الأخبار ..

وتعمدت أن أضغط على أعصابى وأكون هادئاً حتى لا أكشف عن أنى كنت فى انتظارها .. وقلت فى صوت كتمته أعصابى فخرج غليظاً :

– خيراً ..

قالت كأنها فرحة :

– لقد زارتنا روزالين فى البيت ..

قلت ساخراً :

– جاءت لتطمئن إلى الحجرات التى ستقيم فيها ..

قالت بصوتها المرح الذى ترن فيه لهجة بلدية :

– لقد دعتنا كلنا .. وتحدد الزواج يوم الخميس القادم ..

وقلت وأنا أتعمد أن أبدو لا مباليا .. أتعمد أن أكون واد تقيل :

– إذن سأراك يوم الخميس ..

وصاحت فى بساطة :

– لا .. أريد أن أراك لأحكى لك .. ماذا ستفعل الآن ..

قلت وقد أحسست بابتسامة الانتصار بين شفتى :

– لا شئ ..

قالت بسرعة :

– سأراك ..

قلت مشبعاً بغرورى بنفسى :

– فى النادى ..

قالت :

– لا .. إنى أحس فى النادى بأنى فى الجامعة .. مر على بسيارتك أمام باب العمارة .. إن سيارتك دمها خفيف ..

قلت وأنا أكثر سعادة :

– متى ؟

قالت كأنها تنهى الحديث :

– بعد دقيقتين سأكون فى انتظارك أمام الباب ..

و ألقت سماعة التليفون دون أن تنتظر ردى .. لعلها واثقة فى نفسها إلى هذا الحد .. أو لعلها لم تتعمد ولكنها طبيعتها .. لا تنتظر الرد إلا على ما يستحق الرد ..

وركبت سيارتى .. إنها فعلا سيارة دمها خفيف .. سيارة يابانية خاصة موديل ٧٥ اشتريتها مستعملة بدلاً من أن أشترى سيارة ١٢٨ التى لا أستطيع أن أدفع أكثر من ثمنها

فى أى نوع من السيارات الأخرى .. اشتريتها لأنى أيضاً أحب التباهى بالسيارات ذات الدم الخفيف ..

وقفزت نظيرة إلى جانبى فى السيارة وهى تقول من خلال ابتسامة شفتيها المكتنزتين :

– أهلاً .. أوحشتنى ..

وقلت وأنا أحس بأنى استعدت كل طبيعتى وكل مواهبى :

– أنت السبب فى الوحشة .. مضى عليك خمسة أيام ولم تتحدثى فى التليفون .. لماذا .. يبدو أننى لست الرجل القوى الذى كنت تتصورينه ..

قالت من خلال ابتسامتها الحلوة :

– كنت أفكر ..

قلت ساخراً :

– تفكرين هل أستحق أو لا أستحق ؟

قالت وهى تدير عينيها عنى كأنها تحادث نفسها :

– لا .. كنت أفكر فى مدى قوتك علىّ .. وأنا أكثر صراحة منك .. فقد صارحت نفسى بأن كل ما بيننا لم يعد موضوع أخى عبد الوهاب وروزالين .. ولكنه موضوع بينى وبينك .. ولذلك انتظرت حتى اقتنعت بأن قوتك تفرض علىّ أن أحدثك فى التليفون .. ودعنا من هذا الآن لأحدثك عن زيارة روزالين ..

وأخذت نظيرة تتحدث بلا توقف كأنها لا تريد أن تستسلم لى لأتحدث أنا خشية أن أتحدث عنى وعنها ..

إن روزالين هى التى طلبت من عبد الوهاب أن يصحبها لزيارة العائلة .. ولم يكن عبد الوهاب يريد هذه الزيارة .. إن

العائلة لا دخل لها بزواجه .. وسيعيش مع زوجته داخل بيت
العائلة كأنه يعيش فى بنسيون .. لا هو له دخل فى شئون
العائلة ولا العائلة لها دخل فى شئونه .. وتكاليف الحياة
العائلية معروفة .. أبوه يعطى الرصيد لأمه وأمه توزع على
الأفراد بالاتفاق مع كل منهم بجانب تكاليف الأكل والشرب
وإدارة باقى احتياجات العائلة .. وهو يعلم مقدماً ما سيفعله
أبوه بعد أن تدخل روزالين العائلة سيرفع من مصروف البيت
الذى يعطيه لأمه وسيرفع أيضاً من مصروفه الخاص .. إن أباه
يعطيه الآن مائة جنيه فى الشهر لعله يرفعها إلى مائة
وخمسين بعد أن يتزوج .. ولكن روزالين تصر على أن تدخل
البيت وتتعرف بالعائلة قبل أن يتم الزواج .. وقد صحبها
عبد الوهاب دون أن يبلغ أحداً بهذه الزيارة ، وفوجئت العائلة
كلها برؤية روزالين .. وفوجئوا بوجهها الجامد .. ولكنها كانت
لطيفة لا تسحب ابتسامتها من فوق شفتيها الرفيعتين ..
ودخلت الغرفتين المخصصتين لها هى وزوجها بعد الزواج ..
إنها فى الأصل غرفة عبد الوهاب التى يقيم فيها وغرفة أخيه
عبد الستار الذى يقيم فى الخارج منذ سنوات .. وأعجبتها
الغرفتان ولم تعلق بشىء حتى ولا برغبتها فى أن تبدل من
الأثاث وتشترى على الأقل فراشا جديدا هو من حق كل
عروس .. وكانت تجوب فى البيت وكل أفراد العائلة تحيط بها
وبعبد الوهاب .. أمه .. وأخته المطلقة وأخته الأخرى المطلقة
أيضاً .. ونظيرة .. وقد استطاعت بذكائها أن تدفع العائلة على
أن تطوف بها بقية الحجرات حتى المطبخ والحمام .. إن فى
البيت ثلاثة حمامات ، وقالت روزالين بالإنجليزية وهى تدخل

الحمام القريب من غرفتيها .. هكذا سيكون لنا .. وردت نظيرة بالإنجليزية أيضاً .. هذا من حقك .. ولم يرد أحد من باقى نساء العائلة .. ربما لأنهن لم يفهمن الانجليزية .. والتفوا جميعاً بعد ذلك فى غرفة الاستقبال .. وقالت الأم ضاحكة .. قل لعروستك يا ابنى أننا لا نطبخ الطعام الأمريكانى وعليها أن تدبر أمرها .. وإذا بروزالين ترد عليها فوراً وبلغة عربية سليمة .. إنى لم أعد آكل إلا الاكل المصرى .. إنه أطعم وإن كان يزيد فى الوزن .. وفرحت نساء العائلة بعد أن تأكدوا أنها تتكلم العربية .. ولكن الجلسة التى كانت تجمعهن كانت جلسة باردة حتى أصبح جميع أفراد العائلة فى انتظار أن ترحل عنهم روزالين .. وربما أحست روزالين بذلك فقالت فى بساطة كأنها لا تطلب شيئاً له قيمة .. إنى فى انتظار أن يعود الحاج عبد الغفور حتى أتشرف بمعرفته .. وسكت كل نساء العائلة وهن يتبادلن النظرات كأن كلا منهن تلعن روزالين .. وعادت روزالين تقول وهى تبتسم ابتسامة صفراء .. لا يمكن أن أتزوج قبل أن يبارك الحاج عبد الغفور هذا الزواج .. إنى أعلم أنه يعود إلى البيت فى الساعة الثامنة .. هذا ما عرفته من عبده .. وقد جاءت الساعة الثامنة .. كان نساء العائلة قد انصرفن عن روزالين ودخلت كل منهن غرفتها ما عدا نظيرة .. إنها تجلس بجانبها كأنها تدرسها .. وأذيع أذان العشاء ونظرت روزالين إلى عبد الوهاب صامتة فقام عبد الوهاب وهو يقول لها .. تعالى .. وشدها إلى غرفتها .. وقالت روزالين لنظيرة وهى تخطو مع عريسها .. ألا تصلين العشاء .. وقالت نظيرة ضاحكة .. إن صلاة العروس لا تجوز إلا للعرائس وأنا

لست عروساً .. ثم جرت نظيرة تنادى إخوتها وأمها ليتفرجن على الأمريكية المسلمة وهى تصلى .. وكانت تصلى خلف عبد الوهاب لا بجانبه .. هكذا الشرع كما حدده عبد الوهاب ..

وجاء الحاج عبد الغفور وفوجىء هو الآخر عندما وجد روزالين فى البيت .. ولكنه كأى رجل أعمال شاطر أخفى دهشته .. وجلس معها وهو لا يبدى أى رأى فيها .. هكذا رجال الأعمال لا يبدون إعجابهم ولا اعتراضهم إلا بعد أن تنتهى العملية ..

وصاحت نظيرة وهى تحكى :

– لا تتصور كيف استطاعت روزالين أن تثير اهتمام أبى .. إنه بعد دقائق وجد أنها تحدثه فى صميم أعماله .. فى تجارة الحديد والخردة وفى صناعة وإعداد وقص الحديد .. وهى تقول له عن أسماء الشركات الأوروبية والأمريكية التى تستورد الحديد الخردة وعن أسماء الشركات التى تضم آلات إعداد الحديد .. إنها تبدو وكأنها منذ قررت الزواج من عبد الوهاب قد تفرغت لدراسة أسواق ومصانع الحديد .. حتى أن أبى قال مندهشاً .. إنك ست عظيمة تستطيعين أن تقدمى خدمات كثيرة .. والله شاطر يا واد يا عبد الوهاب .. عرفت تختار .. أرينا كيف وماذا ستعمل .. كان أبى قد قرر أن روزالين ستدفع ابنه إلى العمل معه ..

وكانت نظيرة تتكلم وأنا أستمع وأقود السيارة .. ورغم غرابة ما كنت أسمعه إلا أنى كنت لا أزال أتمنى أن أتحدث مع نظيرة فى الموضوع الآخر .. موضوعنا .. وقد قدت السيارة بطول شارع الهرم .. ثم دخلت بها إلى شارع ترعة

المريوطية .. حتى سقارة .. ثم عدت .. إلى أن قلت لنظيرة :

– لقد تعبت من السواقة .. هل نذهب إلى مقهى أو محل نجلس فيه ..

وقالت ضاحكة :

– أفضل أن نبقى فى السيارة ..

قلت :

– لو وقفنا بالسيارة فسياتى عسكرى البوليس .. وندفع .. ثم ياتى خفير .. ثم ياتى كل من هب ودب .. وندفع .. وليس المهم أن ندفع ولكننا لن نكون على راحتنا .. اسمعى .. إن عندى مكتباً خاصاً فى وسط البلد .. هل نذهب إلى هناك بدلاً من الشحططة ..

وقالت نظيرة من خلال ضحكتها :

– سمعاً وطاعة ..

ودهشت لسرعة موافقتها .. إنها لا شك قد فهمت أن المكتب الذى أقصده هو شقة خاصة .. جرسونيرة .. إنها ليست عبيطة .. فكيف توافق بهذه السهولة ..

وقد أحسست بموافقتها أنى استكملت كل ما أريده .. سنذهب إلى الشقة وهناك يحدث ما هو مفروض أن يحدث .. إن البنت قبل أن تدخل الشقة تعرف مقدماً ما سيحدث وموافقة مقدماً على ما يحدث .. وبدأت أقود السيارة بسرعة أكبر .. ولكنى كان يجب أن أستمر فى الحديث حتى أثبت حسن نيتى وكأنى لا أنتظر أكثر من استمرار الحديث .. وقلت :

– إن ما يحيرنى فى كل ذلك هو موقف والدك ..

والتفتت إلىّ نظيرة وقالت وشفتاها مضمومتان كأنها فى حالة إصرار :

– إن بابا هو أعقل العقلاء ..

وقلت وأنا أقاوم لهجة ساخرة تكاد تتغلب على لسانى :

– لا شك أنه أعقل العقلاء ما دام قد نجح فى عمله إلى هذا الحد .. ولكن .. كيف يسمح أعقل العقلاء بأن يتزوج ابنه بهذه الطريقة .. وكيف يتركه دون أن يؤثث له شقة خاصة ليتزوج فيها .. بل كيف يترك ابنه يتزوج وهو بلا عمل .. فى حين أنه يستطيع أن يعطيه كل شىء .. ويفرح به ..

وقالت نظيرة فى صوت جاد :

– إنى أعرف كل ما يقال عن أبى .. الناس تقول أنه بخيل رغم أنه يملك الملايين .. بخيل حتى على أولاده .. وهذا ليس صحيحاً .. إن بابا كما حقق النجاح لنفسه يريد النجاح لأولاده .. وقد نجح أبى وهو معتمد على نفسه .. أنت تعلم وكل الناس يعلمون أنه بدأ عاملا فى وكالة البلح .. بدأ وهو لا يجيد القراءة والكتابة .. إلى أن وصل إلى أن أصبح أنجح وأغنى أغنياء وكالة البلح ، وأصبح بدراسته لعمله كأنه نال فيه أرقى الشهادات العالمية .. ولأن هذا هو أبى فقد أراد أن يربينا بأن يعتمد كل منا على نفسه وعلى كفاحه وعلى جهده كما اعتمد هو على نفسه فى تحقيق نجاحه .. كان كل ما قرره هو أن يحمينا من مرحلة طفولته التى عانى فيها الفقر والجهل فوفر لنا حياة لا نحتاج فيها إلى أحد وأدخلنا المدارس حتى لا ينقصنا العلم .. ثم ترك كلاً منا حراً .. وحتى تكون لهذه الحرية قيمتها فلا يعطى لأحد منا ما يغنيه عن العمل إنما فقط

يعطيه ما يغنيه عن الفقر وعن الشحاذة .. وثق أن بابا يعتبر مثلاً أعلى لكل منا .. أخى عبد السلام نشأ وهو يريد أن يعتمد على نفسه كما كان بابا معتمداً على نفسه .. واجتاز عدة محاولات فشل فيها كلها ولكنه ظل مصمماً على أن يعتمد على نفسه .. فلم يطلب رغم فشله أن يعمل مجرد ابن لأبى .. ابن صاحب العمل .. ولكنه سافر إلى أوروبا وعاش هناك وقيل إنه نجح وربما كان كل ما يؤكد لنا نجاحه هو أنه لم يعد فى حاجة إلى بابا ولا يرسل فى طلب أى مبلغ أو أى خدمة ..

وقلت فى هدوء كأنى أواجهها بالواقع المر :

— ولكن أخوك عبد الوهاب لم ينجح ولم يستطع حتى الآن أن يكون شيئاً ..

قالت ولهجة الإصرار ترن فى صوتها :

— إن عبد الوهاب يرفض أيضاً أن يعمل مع أبى لأنه لا يستطيع أن يتخلص من إيمانه بالاعتماد على نفسه .. وقد تقول أن عبد الوهاب يكره أبى لأنه متباعد عنه ولا يجادله فى شىء .. لا.. إنه لا يكرهه .. إنه يعانى عدم القدرة على الوصول إلى ما وصل إليه أبى .. وسيعيش هذه المعاناة إلى أن يصل .. كلنا نعانى هذه العقدة .. حتى أنا .. إنى أحب بابا إلى حد أنى اعتبره معجزة البشرية .. أعظم رجل فى مصر ، وتبلغ عظمته مستوى العالم .. ولذلك أحاول أن أكون شيئاً أنا الأخرى .. لقد دخلت الجامعة لأصل إلى شىء رغم أنى كنت أستطيع أن أكتفى من التعليم وأتزوج كما تزوجت أخواتى البنات .. ولكن أخواتى فيهن طبيعة أمى .. طبيعة المرأة القدرية المستسلمة لقدرها ؛ ولكنى أنا ورثت طبيعة أبى .. لذلك فإنى

أحاول وأصر على المحاولة إلى أن أكون مثله ..

وقلت وأنا أحاول أن أرضيها :

– إن الناس لا تفهم كل ذلك ..

وقالت بحدة :

– لأن الناس لا تفهم أسرار النجاح .. لا يفهمون كيف نجح أبى .. لو كان أبى ابن باشا وورث عن أبيه الملايين فربما كان قد تركنا نمرح فى هذه الملايين .. لأنه لم يتعب فيها ولا يريد أولاده أن يتعبوا .. ولكن لأنه صنع هذه الملايين بنفسه فهو يريد من أولاده أن يصنعوا مثله .. وأن يعملوا مثله .. ثم لا شك أن أبى يعلم أن كل ما يملكه اليوم سنرثه عنه غدا .. ولكنه لا يعطينا اليوم ما سيكون لنا غدا .. لأنه يريد أن يربينا على الكفاح والعمل .. وأكثر من ذلك .. إن أبى كتب ملكية كل العمارات التى اشتراها وكل الأراضى الزراعية بأسمائنا .. أنا أملك عمارة باسمى وأختى تملك عمارة وأخى عمارة .. و .. و .. كل شىء اشتراه بأسمائنا ورغم ذلك فالناس تعلم أننا ليس لنا حق إدارة ما نملكه .. ليس لنا الحق فى مليم واحد مما تدره هذه العمارات والأراضى لأن أبى يتولى إدارة كل شىء ويضع يده على كل شىء .. ورغم ذلك فقد كنا نستطيع أن نستولى على إدارة هذه الأملاك .. أن صغرى بناته أى أنا بلغت سن الرشد وتستطيع أن تطالب بحقها ، بل إننا نستطيع أن نجتمع كلنا ونرفع قضية واحدة نستولى بها على كل أملاك بابا .. ولكننا لا نفعل .. لماذا .. لأننا فى دخيلة أنفسنا مقتنعون بأنه على حق .. وبأنه يدير العائلة كلها بأسلوب مثالى .. ولأننا رغم كل ما يقوله الناس نحبه إلى حد الاستسلام له ..

قلت وأنا أوقف السيارة أمام العمارة التى تضم الشقة :
– إن الشىء الوحيد الذى لا نختلف فيه هو أن بابا معجزة .. كمعجزة روتشلد وفورد وروكفلر ..
وربما قلت هذه الكلمات لمجرد أن أرضى نظيرة قبل أن تدخل الشقة .. وهى لم ترد علىّ .. ولكنها بسرعة عادت إلى طبيعتها المرحة .. وركبت معى المصعد فى حالة طبيعية كأنها ليست مقبلة على شىء جديد مثير .. ودخلت الشقة ببساطة .. إنها شقة صغيرة .. غرفة نوم وغرفة مكتب وصالة واسعة .. ودخلت نظيرة تطوف بالحجرات دون أن أدعوها .. ثم وقفت تسألنى ضاحكة :
– منذ متى ؟
قلت وأنا أردد ضحكتها :
– منذ أكثر من عشر سنوات .. إنها شقة قديمة .. إيجارها عشرة جنيهات فقط ..
قالت وهى تنظر إلىّ كأنها تكتشفنى :
– إنها رخيصة .. لعلها شهدت أياماً غالية ..
قلت وأنا أقترب منها :
– إن كل ما فيها ذكريات .. وأتمنى أن أعيش فيها واقعاً لا ينتهى أبداً ..
قالت وهى تبتعد عنى :
يبدو أنها لا تحتمل الواقع فتحيله إلى ذكريات ..
وقلت وكأنى أجرى وراءها :
– إنها لم تشهد القوة التى تحيلها إلى واقع .. وأتمنى أن أكون قد وجدت هذه القوة ..

وامسكت بكفيها بين يدى وقلت مبتسماً :
– لم أسمع لك اسماً يدللونك به ..
وقالت وهى تشد كفيها من بين يدى :
– إنى أرفض أى اسم آخر .. البعض حاول أن يسمينى نينى أو ريرى .. ولكن أرفض .. إنى دائماً نظيرة .. نظيرة عبد الغفور البرعى .. إياك أن تطلق علىّ اسماً آخر .. لا نينى ولا ريرى .. أنا فخورة باسم نظيرة .. إنه اسم يحفظ شخصيتى بين كل البنات ..
ومددت ذراعى وأمسكت بها وأنا أضغط عليها كأنى أشعرها بقوتى وقلت هامساً :
– نظيرة .. هل تعلمين ..
قالت وهى ترخى عينيها عنى :
– أعلم ..
قلت وأنا أقرب وجهى من وجهها وشفتاى تطلان على شفتيها :
– هل أستطيع ؟
قالت من خلال ابتسامة هادئة :
– لا .. لا تستطيع ..
قلت فى رجاء :
– لماذا .. يجب أن نصل ..
قالت وهى تبتعد عنى مرة أخرى :
– ليس قبل أن أقرر .. إن قوتك حتى الآن أقنعتنى بأن أحادثك فى التليفون ولم تقنعنى بعد بأكثر من ذلك ..
قلت وأنا أزفر أنفاسى يائساً :

- اخشى أن تمر أيام أخرى دون أن نلتقى وقد أفقد فيها كل قوتى نحوك .. قوة إحساسى الذى يربطنى بك وقوة إحساسك الذى أتمنى أن يصل إلىّ ..

وقالت نظيرة وهى تلف على قدميها فى أنحاء الصالة كأنها ترقص :

- اسمع .. إنى ساخرج من الجامعة كل يوم وآتى إلى هنا لأذاكر .. سيكون هذا مكتبى .. هل توافق ..

وقلت فى فرحة لم أستطع أن أسيطر عليها وأخفيها :

- إنى ساحقق بذلك شيئاً واحداً ..

قالت ضاحكة :

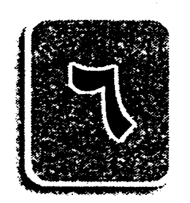
- ما هو ..

قلت دون أن أتعمد الاقتراب منها :

- إنى ساطمئن على أنى فى كل يوم سأرى ضفيرتك .. إنك لا تعلمين أنها أغلى ما فيك ..

قالت وهى تفتح الباب وتخرج :

- سأنتظر إلى أن تكتشف ما هو أغلى فىّ من ضفيرتى مهما طال انتظارى .. وانتظارك .. تعال .. خذنى إلى البيت .. يجب أن أعود ..



من يومها بدأت حياتى تتغير كأنى أولد من جديد .

بدأت نظيرة تعيش معى كل يوم .. وإنى أذكر اليوم الأول .. كانت قد اتفقت معى على أن تخرج من الجامعة الأمريكية فى الساعة الثالثة أو الرابعة وتأتى إلى شقتى الخاصة مباشرة .. لم يكن اتفاقاً ولكنه قرار اتخذته هى وأعلنتنى به دون أن تحس حاجتها إلى موافقتى .. كأنها واثقة من أنى طبعاً موافق .. ومن ساعتها وأنا أعيش كل إحساسى فى انتظارها .. وتعمدت أن أترك مكتبى فى الشركة الهندسية فى الساعة الواحدة وأذهب إلى الشقة وأبقى كل هذه المدة وحدى فى انتظارها وأنا أحاول أن أقنع نفسى بأن الشقة فى حاجة إلى تنظيف وإعداد قبل وصولها .. ولكنى لم أنظف ولم أعد شيئا ، ولكنى جلست ساهماً مع أفكارى وخيالى وتصوراتى .. ماذا سأفعل معها وبها بعد أن تأتى .. لا يمكن أن تكون ستأتى لنجلس وتذاكر كما قالت لى .. إنه مجرد كلام .. وكل فتاة

تقول أى كلام تغطى به نفسها وهى فى طريقها إلى شقة الشاب .. لا شك أنى سأصل إلى كل شىء .. سيحدث بيننا كل شىء .. لقد قالت لى إن إحساسها بقوتى .. أى بقوة حاجتها إلىّ .. دفعها إلى أن حادثتنى فى التليفون .. وأدى حديث التليفون إلى اللقاء .. وأدى اللقاء إلى أن دخلت أمس إلى شقتى الخاصة .. ولكنها لم تعط أكثر . إن إحساسها بقوة حاجتها إلىّ لم يدفعها إلى أكثر من ذلك .. ولكنه دفعها إلى أن تقرر أن تأتى إلىّ كل يوم لتذاكر .. أى أن إحساسها دفعها إلى أن تعطى أكثر وتأخذ أكثر .. وهى لن تعطى ولن تأخذ لمجرد أن تذاكر دروسها وهى جالسة بجانبى ..

وهام بى خيالى حتى وجدت نفسى أقوم إلى غرفة النوم وأحاول أن أعيد إعداد كل ما فيها ، ووجدت نفسى أقف أمام الفراش طويلا كأنى أستعيد آخر ذكرياتى ثم وجدت نفسى أنزع عنه الملاءة والغطاء وأخرج من الدولاب ملاءة نظيفة وغطاء آخر بل إنى أعدت كساء المخدات .. كل شىء يجب أن يكون نظيفاً .. إنى أبدأ كل شىء من جديد ..

وفتحت لها الباب فى الساعة الثالثة والنصف ..

واستقبلت سمرتها الخفيفة .. وضفيرتها الرائعة المدلاة فوق صدرها الذى يشبه نهدة حلوة من تنهدات ملاك من ملائكة النعيم .. وشفتاها المكتنزتان اللتان تحملان دعوة صامتة فى صمتها ضجيج .. وقوامها الرائع داخل ثوبها المحتشم وإن كان يكشف عن ذراعيها .. قوام بنت البلد .. وقوام بنت البلد يختلف عن قوام البنت المودرن حتى لو اتفق معه فى خطوطه .. إنه قوام يحمل معنى خاصاً ..

ودخلت بلا تكلف وبلا تردد وهى تقول دون أن تمد يدها لتصافحنى :

– أهلا ..

وقلت وأنا أغلق الباب وراءها وأتبعها وهى تخطو فى جرأة داخل الشقة وكأنى أجر وراءها :

– لقد انتظرت طويلا ..

وقالت ضاحكة :

– ستتعود على مواعيد الجامعة الأمريكية ..

وتعمدت أن أجلس على مقعدى فى الصالة قبل أن أدعوها للجلوس كأنى أنا الآخر أتعمد رفع الكلفة بيننا ، ولكنها صاحت فوراً :

– لا.. لن نجلس هنا .. فى غرفة المكتب .. إن معى تلالاً من العمل .. تصور أنى يجب أن أعيد كتابة بحث كامل عن التفسير الاقتصادى للإنتاج الزراعى ..

كانت تتكلم وهى تدخل غرفة المكتب كأنها صاحبة البيت تتحرك فيه كما تشاء .. وقمت أجرى وراءها .. وألقت حقيبة كتبها ثم أطلت فوق المكتب فى لفتة سريعة ثم بلا أى تعليق شدت فوطة صفراء كانت ملقاة على الأرض وأخذت تمسح بها سطح المكتب فى حركة سريعة .. إن المكتب فى حاجة فعلا إلى تنظيف .. ليس لى ذكريات قريبة فى غرفة المكتب .. ولكنها تمسح المكتب بلا أى كلمة كأنها هى المسئولة عن نظافة هذا المكتب ولسدت أذنا .. ثم جلست على المقعد وهى لا تكف عن الكلام عن أحداث الجامعة .. وبدأت تفتح حقيبتها وتخرج الكتب والأوراق وتعدها أمامها .. كأنها فعلاً ستبدأ فى

المذاكرة .. ولم أصدق .. واقتربت منها ومددت يدى أغلق الكتب التى أمامها وقلت وأنا أحاول أن أقترب أكثر :

– لن تكون هناك مذاكـرة للأبحاث الدراسية اليـوم .. اليوم نحن فى حـــاجـة إلى أن أذاكـــرك وتذاكـــرينى .. أن أدرسك وتدرسينى ..

ومددت يدى أكثر أمسح على شعرها ..

وابتعدت عنى فى رفق وقالت وابتـسامتها الحلوة تقطر من بين شفتيها المكتنزتين :

– حسين .. من أجل خاطرى .. لا تبدأ شيئاً قبل أن أبدأ أنا ..

قلت فى دهشة :

– ماذا تقصدين ..

قالت من خلال ابتسامتها :

– إنى أريد أن أكـون مـعك على طبـيـعتى لا عـلى طبيـعـة الظروف التى تجمعنا .. أنا مـعك الآن وحدك ولكن ليس معنى هذا أن نبدأ لمجـرد أننا وحدنا .. أريد أن أحس بالسعـادة معك حـتى دون أن نبدأ .. وإلى أن تدفـعنا طبـيـعتنا إلى أن نبـدأ .. وطبيعـتى الآن تدفعنى إلى التفرغ للمذاكـرة مع سعادتى بأنى بجانبك ..

ووجـدت نفسى أبتـعد عنهـا كـأنى أريد أن أثبت بأنى من القوة بحـيث لا أحتاج لأن أبدأ قبل أن تحـتاج هى .. وقلت فى غيظ :

– أنت تذاكرين .. ماذا أفعل أنا .. إنى لم أحسب حساب هذا اليوم فانتهيت من المذاكرة منذ عشر سنوات .

وضحكت ضحكتها المنغمة كأنها عزف سيمفونى وقالت :

– تستطيع أن تقرأ .. أو تستطيع أن تنام إذا كنت من هواة النوم بعد الظهر ..

وقلت وأنا أروح وأجيء أمامها فى عصبية :

– إنى لا أنام بعد الظهر إلا إذا تناولت غداء دسماً وأنا لم أتغد حتى الآن ولا أعتقد أن فى البيت شيئاً يؤكل .. إلا أنت ..

وقالت من خلال ضحكتها :

– سأعاقبك لأنك نسيت الغداء وعقابى هو أنى لن أدعك تأكلنى .. إنى تناولت ساندويتش فى الجامعة قبل أن آتى إليك وإنى رحمة بك سأتركك تنزل إلى الشارع وتشترى شيئاً تأكله وأبقى أنا وأذاكر وحدى وإن كنت لم أعد أتصور أنى أستطيع أن أذاكر وأنا وحدى ..

وقلت بسرعة :

– لا .. سأعاقب نفسى .. ذاكرى .. وعن إذنك ..

واقتربت من المكتب وبدأت أفتح أدراجه المتربة .. لقد خطر على بالى فجأة أنى منذ سنوات كنت أحاول أن أقوم بمشروعات ثم أعود وأهملها مكتفياً بعملى فى الشركة .. لقد خطر على بالى أن أراجع هذه الأوراق .. وأخرجتها من الأدراج وأخذت أزيل عنها التراب ثم حملت مقعداً وضعته على حافة المكتب بجانب نظيرة وبدأت أعمل .. ونظيرة سعيدة .. تذاكر .. ثم نتعب فترة فنتحدث عن الجامعة الأمريكية أو عن الشركة التى أعمل بها .. أو عن ذكرياتى وذكرياتها .. وأهلى وأهلها .. أو عن أخيها عبد الوهاب وزواجه من روزالين .. وقد سألتها ضاحكاً عندما جاء ذكر أخيها :

– هل دفع المهر بالدولار أم بالجنيه المصرى ؟!

وقالت جادة :

– هل تعرف أنه اتفق مع روزالين على ألا يدفع شيئاً .. لا مهر ولا شبكة ولا شىء لله ..

وقلت فى دهشة :

– وهل قبلت روزالين ؟

وقالت نظيرة فى بساطة :

– لقد قال لروزالين بصراحة أنه لا يستطيع أن يدفع إلا إذا طلب من أبيه لأن نصيبه الذى يتقاضاه حتى اليوم لا يتجاوز مائة جنيه فى الشهر .. وهو لا يصلح ليكون مهراً ولا يكفى لشراء شبكة .. وهو فى الوقت نفسه لا يريد أن يأخذ من أبيه ..

وقلت مقاطعاً :

– المفروض أن يدفع أبوك دون أن يطالبه عبد الوهاب ..

وقالت بسرعة وحماس :

– لا .. إن بابا وضع نظماً أعتبرها فى منتهى الرقى .. إنه مسئول عن ولديه ليكفل لهما الحياة إلى أن يدبر كل منهما حياته ويستغنى عنه .. مسئول عنهما إلى أن يتما تعليمهما وإلى أن يعملا ويكسبا .. ولكنه ليس مسئولا عن المطالب الخاصة لكل منهما .. إن كلاً منهما عليه أن يسعى ويكافح إلى أن يحقق لنفسه مطالبه الخاصة .. فهو لم يشتر لأحد منهم سيارة لأنه يعتبر السيارة مطلباً خاصاً يجب أن ينتظر كل منهما إلى أن يستطيع شراءها .. وطبعاً هناك سيارة للعائلة كلها ولكن لا أحد منا يستعملها كأننا نريد أن نقول لبابا إننا

لسنا فى حاجـة إليها .. وكذلك إذا أراد أحـد الولدين أن يتزوج فـعليه أن ينـتظر حتى يسـتطيع أن يدفع مـصـاريف ومطالب الزواج والحياة الزوجيـة ، وهذا طبعاً بخلاف ظروف البنات .. ودعنا الآن من الكلام .. لنعـد إلى المذاكـرة .. واحـد .. اتنين .. تلاته .. إلى المذاكرة ..

وقلت متوسلاً :

– ثانيه واحـدة من فضلك .. كيـف وافقت روزالين على أن تتزوج بلا مهر ..

وقالت بسرعة :

– قلت لك إنها ليست طبيعية وإن كنت أحس بأن فى رأسها مشروعات كثيرة لهذا الزواج ..

وعادت إلى المذاكرة وعدت إلى مراجعة مشروعاتى وقد كنا نتعـمد فـعلا ألا يأخـذ منا الحديث إلا دقـائق نعود بعـدها إلى العـمل .. وكنت قد اندمـجت فى هذا الإطار وبدأت أحس فـعلا بالسعـادة .. سعادة من نوع جـديد .. إلى أن أصبحت السـاعة السادسة وبدأت نظيرة تجمع أوراقها وكتبها قائلة فى مرح :

– المفـروض انى أستطيع أن أبقى حـتى السـاعة الثـامنة .. ليس مسـموحاً أن أبقى خارج بيت الـعائلة إلى ما بعد السـاعة التاسعة .. تقاليـد .. عائلة محافظة .. ولكنى أحس الآن بالتعب ربما لأنى أذاكـر وأحـاسـيـسى تلعـب فى ملعب جـديد .. وسامحنى اليوم .. يجب أن أذهب ..

وقامت واقـفة تحمل حـقيبـتها ووقـفت أمامهـا وقد تعلقت عينـاى بضفيـرتها .. لا يمكن أن ينـتهى اليوم بلا شـىء حتى مجرد لمسـة لضفيرتها التى يتـجمع فيها كل ضـعفى .. وقالت

نظيرة ضاحكة وكأنها اكتشفت ما يدور فى إحساسى .. وقالت :

– لا تبدأ .. إنى لم أبدأ ..

ثم فتحت الباب وسبقتنى خارجة ولحقت بها .. وركبت بجانبى فى السيارة وأوصلتها إلى باب العمارة ونحن لا نكف عن الحديث ..

وقلت وهى تفتح باب السيارة لتنزل :

– غداً ..

وقالت وهى تقفز من السيارة :

– طبعاً ..

وفى الغد طفت بمحال البقالة لأشترى للشقة خزيناً من المأكولات .. اشتريت عدة أصناف من الجبن ، واشتريت أصنافاً من اللحم المحفوظ ، وعدداً من البيضات لعلها تحب البيض ، واشتريت علبة من الفول المدمس المحفوظ .. إنى أحب الفول المدمس ولا أستطيع الاستغناء عنه ..واشتريت أنواعا من علب التونة والسردين .. ولم أنس أن أشترى البن لزوم القهوة .. اشتريت كثيراً .. ولم أكن أنتقى ما أشتريه تحت تأثير صورة نظيرة أمامى كبنت بلد وأتعمد أن أنتقى المأكولات البلدى .. لا .. إن نظيرة ليست بنت بلد إلا عندما أنظر إليها كامرأة ولكنها فى تقديرى أحس بها كفتاة راقية طالبة فى الجامعة الأمريكية ، ابنة مليونير لذلك كنت أتعمد أن أشترى أرقى المأكولات المستوردة .. ولعلنى كنت أيضاً أريد إقناعها بأنى رجل كريم لا يبخل عليها ولا على نفسه .. لست بخيلاً كأبيها .. لذلك كنت أتعمد أن أشترى الغالى .. وحملت كل هذه

المشتريات في كيسين ثقيلين منتفخين .. وذهبت إلى الشقة ودخلت توا إلى المطبخ .. وأخذت أنظف في الأرض وفي الصحون . ثم اطمأننت إلى الثلاجة .. إني بالأمس كنت قد نسيت أن أدير الثلاجة وبقينا أنا ونظيرة نشرب الماء العادى ولعلنا لم نشرب .. ولكن الثلاجة الآن جاهزة .. وجمعت فيها ما اشتريته وأنا أرتبها كان من طبيعتى أن أحتفظ بالثلاجة دائماً وهى زاخرة بما فيها .. لقد قضيت ساعات وأنا أعد كل شىء لاستقبالها .. إلى أن جاءت فى الساعة الثالثة والنصف كموعد الأمس وفوجئت بها تحمل مع حقيبتها الدراسية قرطاساً كبيراً ثقيلاً .. وقلت :

– ما هذا ؟

قالت فى بساطة ست البيت وهى تخطو بسرعة نحو المطبخ :

– خشيت أن تكون قد نسيت أن تتناول غداءك اليوم أيضاً فأشفقت عليك ..

وقلت وأنا أجرى وراءها إلى المطبخ :

– إنى لم أتناول غدائى ولكنى أعددت كل شىء ..

ووضعت القرطاس الذى تحمله ووقفت تتفرج على ما فى الثلاجة التى كنت قد فتحتها كأنى أقدم لها هدية .. وقالت كأنها فرحت بالهدية :

– هذا كثير .. اسمع .. سأطهو لك غداءك حتى تطمئن على مستقبلك .. إنى طباخة ماهرة وستشهد لى .. ماذا تريد أن تأكل من كل هذا ..

وأخذنا نحن الاثنين ننظر ونقلب فيما اشتريته ونحن نتضاحك إلى أن قلت :

– لو أردت الحق فـإنى اشتـريت كل هذا لأنى لا أعلم مـاذا تحبين .. أما أنا فأحب الفول المدمس ..

قالت من خلال ضحكتها :

– سأعد لك طبق فـول بالبيض .. وسأعد بجانبـه طبقاً من لحم اللنشن والسـوسيس وبجانبـه جبن ركفـور .. فإنى أحب اللنشن والركفور ..

وشدت علبة الفول المدمس المحفوظ وناولتها لى قائلة كأنها تأمرنى :

– افتح هذه ..

ثم أخـذت تعد الطبق وتخـرج لفافـة الزبد التى اشتـريتـها وتصل إلى كل ما تحـتاج إليه دون أن تـسألنى شيـئاً ، وتظل تبحث فى رفـوف المطبخ وأدراجه حـتى تجد ما تريـد .. لعلها تتعمد دائماً ألا تبدو غريبة عن البيت .. إنها ست البيت وتعرف كل شىء فيـه .. وكنت قد فـتحت علبة الفـول وأخذتهـا نظيرة منى وبدأت تعـد فيـها ثم قطعت الزبد ووضـعتـه فى الطبق ، ووضـعت الطبق على البـوتاجـاز وهمت أن تشعـل من تحتـه النار .. إن البـوتاجـاز لا يشتـعل .. إن الأنبـوبة فـارغة حـتى نهايتها ..

وغرقنا فى الضحك وقالت :

– لعله ليس من حقك بعد أن أطهو لك ..

وفـتـحت الـقـرطاس الذى جـاءت به .. إنه مـزدحم بقطع السـاندوتش .. وزجـاجة كـوكـاكولا .. وقـراطيس الشـاى .. وفاكـهة .. تفـاحتـين وبرتقالتـين .. وأخذنا نأكل فـى مرح .. لا نريـد أن نكف عن الأكـل .. لن نشـبـع أبدا .. ثم لم تـكن

نستطيع ان نشرب شـاياً أو قهوة لفراغ البـوتاجاز .. وشملنى صـمت هادىء وأنا أنظر إليـهـا بكل عـينى .. هل نبـدأ .. وهى صامتة أيضاً وعلى شفتيها ابتسامة تقول لى .. لا .. لن نبدأ .. وقلت لها كأنى أتوسل :

– لقد أكلت كثيراً وأستطيع أن أنام ..

كنت كأنى أدعوها للنوم معى ..

ولكنها قالت من خلال ابتسامتها وهى تبتعد عنى :

– سأبدأ المذاكرة .. لقد ضحينا بالعلم فى سبيل الأكل ..

وسـرت وراءها منهـاراً يائسـاً وقـلت كـأنى أسـخط على الدنيا :

– لن أنام .. سأذاكر أنا أيضاً ..

والتـفـفنا حول المكـتب .. وبعد دقـائق كنت كـأنى نسـيت حرمانى منها وانشغلت فـعلا فى العمل بينما هى تذاكر .. إنى أحس بحمـاس شديد لإعـادة بحث مشـروعاتى الخـاصة التى كنت قـد أهملتـهـا .. وكنا ننقطع عن العـمل دقـائق لنتـحـدث ونضحك ثم نعود ونعمل ..

وبقيت مـعى يومها حتى السـاعة الثامنة ، وقـبل أن تخرج دخلت المطبخ وأخذت تعـيد تنظيم كل شىء وتغسل الصـحون والشوك والسكاكين وقـالت ضاحكة وأنا بعيد عنهـا فى غرفة المكتب :

– كيف ستغير أنبوبة البوتاجاز ..

وقلت فى بساطة كأنها ليست غريبة عنى :

– سأقول للبواب ..

وانتـهت من المطبخ وعـادت إلىّ وقلت لهـا وأنا أجد نفـسى ملتصقاً بها دون تعمد :

- إنك تنسين دائماً مفتاح الشقة ..
ثم أمسكت بكفها ووضعت فيه مفتاح الشقة واستطردت قائلا :
- حتى لا تنتظريني ولا أنتظرك .. إننا في بيتنا ..
وفتحت كفها ونظرت إلى المفتاح من خلال ابتسامة فرحة كأنها تنظر إلى دبلة الخطوبة ، ثم مالت عليّ وقبلتني على خدي قبلة سريعة ، ودون أن تقول شيئاً شدت حقيبتها وجرت بها إلى الباب ، وأنا أجري وراءها هائماً في سعادتي رغم حرماني ..
ولم يكن قد بقي إلا يومان على يوم كتب كتاب أخيها عبد الوهاب وروزالين .. يوم الخميس .. وفوجئت بعبد الوهاب يتصل بي في تليفون الشركة التي أعمل بها .. إنه لم يتصل بي أبداً من قبل .. لقد تعودنا أن نلتقي صدفة في الشارع .. حتى أنه إذا أراد أحد منا أن يلتقي بالآخر يكتفي بالبحث عنه في الشارع .. كيف اتصل بي في التليفون وكيف عرف النمرة ..
وقال عبد الوهاب يقطع دهشتي بصوته الهادئ الخجول :
- إن العقد سيتم بإذن الله بعد غد ..
وقلت ضاحكاً :
- أعرف .. مبروك مقدماً ..
وقال متردداً :
- هل تقبل أن تكون شاهدا ؟!
قلت في مرح :
- يشرفني .. من لي أعز منك ..
قال كأنه فرح :
- هل نذهب معاً وأمر عليك في النادي .. ستكون معي أختي نظيرة ..

قلت بسرعة :
- لا .. ليس فى النادى .. سأمر عليك أمام باب العمارة ..
وقال عبده بعد أن تردد قليلا :
- فى الساعة الخامسة إلا ربع .. أو لتكن الرابعة والنصف ..
وقلت فى وقار :
- اتفقنا ..

وقد أحسست ساعتها أنى لم أرد أن نتقابل فى النادى لأنى لم أكن أريد أن تدخل نظيرة النادى .. لماذا .. ربما لأن حبى لنظيرة وصل إلى الحد الذى يصل إليه كل حب .. حد حرمانها من دخول نادى الجزيرة ..

وقالت لى نظيرة عندما التقينا يومها أن أخاها قال لها إنه يريد أن يتصل بى ويخشى ألا يلتقى بى فى الشارع كما تعود .. فقالت له أن يتصل بى بالتليفون .. وقال لها إنه لا يعرف لى رقماً من أرقام التليفون .. فسألته بذكائها .. أين يعمل .. وقال لها إنى أعمل فى الشركة الهندسية .. فقالت إنها ستبحث له عن رقم تليفونى .. وتركته ودخلت .. طبعاً لم تبحث فى دفتر التليفون ولكنها عادت وقالت له عن الرقم الذى تعرفه والذى تحادثنى به كل يوم ..

وجاء يوم الخميس .. ومررت بسيارتى على باب العمارة حيث كان ينتظرنى عبد الوهاب وبجانبه نظيرة .. وقد أخطأت نظيرة وهمت أن تركب بجانبى كما تعودت ولكنها تنبهت بسرعة وفتحت الباب الخلفى وتركت أخاها عبده يركب بجانبى .. وقد سألته فوراً :

– لماذا لم يأت والدك ليحضر كتب الكتاب ..

وقال عبد الوهاب فى حسم كأنه يشعرنى بأنه لا يريد أن أسأله مثل هذا السؤال :

– إنها مسألة خاصة لا دخل لوالدى فيها ..

قلت كأنى أهمس لنفسى :

– عجيبة .. ووالدتك وأخواتك البنات .. العائلة ..

وقال بنفس اللهجة النفورة :

– إننا ندع كلاً منا يهتم بشئون نفسه .. لا دخل لأحد فى شئون الآخر .. وقد جاءت نظيرة لأنها هى التى بدأت الحكاية كلها ..

وفضلت السكوت ..

ولم يكن فى بيت روزالين .. أقصد بيت فوزية .. أحد غريب مدعو إلى حفل عقد القران .. لم يكن فى الواقع حفلا .. لم تكن هناك سوى خيرية ابنة عمى .. ولم تكن مدعوة ولكنها جاءت عندما سمعت الخبر لمجرد أن تتفرج كعادتها مستغلة صداقتها لفوزية .. وجلس عبد الوهاب بجانب روزالين دون أن يبدو عليهما أنهما على وشك عقد القران .. بل كان كل منهما جالساً متباعداً عن الآخر .. ونحن من حولهما نحاول أن يبدو عليهما المرح ونفتعل النكات والتعليقات ، وبيننا العربة الصغيرة التى تقدم عليها المشروبات وهى تحمل الجلال والحرام .. ولكنى فى الواقع وجدت نفسى ساعتها أطيل النظر إلى نظيرة وهى أيضاً تطيل النظر إلىّ ولكنها قطعاً لم تكن تعرف ما يدور فى خاطرى .. لقد بدأت من ساعتها أتساءل .. لماذا لا أتزوج أنا الآخر .. أتزوج نظيرة .. ولم ينته تساؤلى بى إلى قرار .. إلى

أن جاء المأذون .. ولم يكن المأذون يستطيع أن يعقد قراناً بين مصرى وسيدة أجنبية فالعقد فى هذه الحالة يتم فى مكتب الشهر العقارى .. ولكن عبد الوهاب صمم على أن يقوم مأذون بكتابة العقد حتى يحتفظ بالمظاهر الشرعية .. ويكفى أن زوجته مسلمة حتى لو كانت أجنبية .. أما الشهر العقارى فسيذهبان إليه بعد أيام ليعيدا تسجيل زواجهما مراضاة للرسميات التى تفرضها الحكومة .. وأتم المأذون إجراءات العقد والإحساس بالشرعية يطغى على كل كلمة يقولها عبد الوهاب وتقولها روزالين .. إن كل ما يحسان به هو الشرعية .. ووقعت أنا كشاهد ثم وقع مؤنس زوج فوزية كشاهد آخر .. .. وأحسست أن كل شىء قد انتهى . وقلت للعريس عبد الوهاب :

– هل ستأتيان معى لأحملكما إلى البيت .. بيت العريس والعروسة ..

ولاحظت أن روزالين نظرت إلى فوزية كأنها تسألها أو لعلها كانت تستغيث بها .. وقالت فوزية ضاحكة ضحكة مفتعلة :

– لا.. أنا سأوصلهما إلى البيت .. لا تنس أنى أم العروس ..

وقلت ضاحكاً :

– أختها ..

وقالت فوزية من خلال ابتسامة كأنها رثاء :

– إنى أمها وأختها وأحيانا أكون ابنتها أيضاً ..

وقلت واقفاً وأنا أتقدم إلى العريس والعروس :

– إذن أستأذن .. واعملا حسابكما أنكما مدعوان يوماً إلى العشاء .. فى شهر العسل لا بعده ..

وسمعت نظيرة تقول كأنها تقبض عليّ :
– خذنى معك ..
ونظر إليهـا أخوها عبد الوهاب دهشاً .. إنـه دائماً لا يقر أن تكون نظيرة معى وحدها .. ولكنه لم يتكلم ..
وخرجت أنا ونظيرة ..
وقلت لهـا وهى بجـانبى فى السيـارة وقـد بدأت أتكلم فى لهجة جادة كأنى قررت أن أواجه المشكلة :
– إننا لم نصل بعد إلى الساعة التاسعة .. نستطيع أن نبقى معا قليلا ..
قالت ضاحكة :
– إنى أسـتطيع أن أسـتـغـل زواج عـبـده وأدعى أنى كنت سهرانة فى الفرح وأبقى معك طويلا ..
وقلت دون أن أبدى فرحتي :
– إنى أريد أن أذهب إلى البيت .. بيتنا ..
قالت من خلال ابتسامتها :
– وأنا أيضاً .. وأعدك ألا أذاكر ..
وأخذت أقـود السيارة وأنا صـامت وهى أيضاً قد صـمتت كـأنها أحـست بأنى سـأثيـر مـشكلة ولكنهـا ظلت محـتـفظة بابتسامتها التى أحبها ..
ووقفنا أمام باب الشقة وقلت لها بلا ابتسام :
– افتحى ..
كنت أريد أن أشـعرها أكثـر بأنها تدخل بيـتهـا .. واتسعت ابتسـامتـها وزغردت يـدها بفرحة وهى تمدهـا إلى حقيـبتـها وتخرج المفتاح وتفتح الباب ..

وسبقتها داخلا إلى أن تخرج مفتاحها من قفل الباب وجلست فوراً على المقعد فى الصالة ولحقت بى وجلست على المقعد المقابل وهى تنظر إلىّ كأنها تتعجلنى لأقول سرى ..
وقلت لها وأنا أنظر إليها بكل عينى :
– نظيرة .. لقد قررت أن أتزوج ..
وانكمشت ابتسامتها وقالت فى دهشة :
– تتزوج من ؟
قلت كأنى ألومها :
– طبعاً أتزوجك ..
وأرخت عينيها وقالت كأنها تتنهد فى ضيق :
– أنا لن أتزوج ..
قلت فى صوت عادى كأنى أنهرها :
– تقصدين إلى أن تنتهى من الجامعة ..
قالت كأنها تتنهد نهدة أخرى :
– ربما لن أتزوج أبداً ..
قلت فى صوت مرتفع :
– إنى أتكلم جادا ..
قالت فى هدوء وقد عادت ترخى عينيها :
– وأنا أيضا أتكلم جادة ..
وارتفع صوتى كأنى أصرخ :
– ما هذا الجنون .. كيف ترفض بنت الزواج من حبيبها .. أنا واثق ومتأكد من حبك .. فلماذا لا نتزوج .. لماذا ؟
وقالت ورأسها يسقط فوق صدرها كأنها تستسلم لمصيبة :
– لأنى ابنة عبد الغفور البرعى ..

قلت فى دهشة :

- وماذا فى ابنة عبد الغفور البرعى أو فى الحاج عبد الغفور نفسه ؟

وقالت وهى تبتسم ابتسامة ضيقة كأنها ترثى بها نفسها :

- إن بناته معقدات من الزواج ..

وصحت وأنا أتعجلها حتى نصل إلى نتيجة :

- ما الذى يجعلكن معقدات .. إنه أب تفخرن به ويفخر به أولاده ..

وسكتت برهة كأنها تعد محاضرة ستلقيها ثم رفعت رأسها إلىّ واعتدلت فى جلستها وقالت فى صوت خفيض كأنها تحادث نفسها :

- إن بابا مليونير .. وهو مليونير صنع نفسه .. أى أنه لا شىء إلا أنه مليونير .. ليس واحدا من مجتمع المليونيرات .. وليس من عائلة كبيرة .. وليس له نفوذ أو منصب حكومى .. وجاهل لا يجيد القراءة والكتابة ولا يتكلم إلا فى عمله .. وكل من يتقدم إليه من الغرباء عنه يتقدم إلى المليونير المشهور .. صاحب الفلوس .. وكل من يفكر فى الزواج من إحدى بناته يكون فكره محصورا فى الزواج من ابنة الرجل الغنى وعلى طمع فى أن يحقق له هذا الرجل الغنى حياة كلها فلوس .. إن أختى الكبيرة سنية تقدم لها شاب خريج كلية الحقوق ويعمل فى وظيفة محترمة فى الحكومة ومن عائلة كبيرة معروفة .. أبوه كان وزيرا .. ثم إنه هو نفسه شاب رائع وسيم يفتح النفس .. ورحبت به سنية .. أعجبها إلى حد الإصرار عليه .. ووافق بابا اعتماداً على الحسابات التى أجراها عقله .. ثم كانت

أول أزمة عندما فوجىء الشاب بأن عـليه أن يبحث عن شقة .. كيف يبـحث عن شقـة وحمـاه يملك أربع عمارات فـى الزمالك بينها عـمارة باسم خطيبتـه .. لا يمكن .. ولكن بابا أصر .. إن الشقـة تدخل فى مسـئوليـة الزوج .. الرجل .. ثم إنه يجب أن يثبت أنه قـادر على أن يكون رجلا .. وكثر الكلام حـتى كادت الزيجة أن تفشل .. وأختى سنية تريد هذا الشاب وتبكى .. لقد اسـتطاع أن يقنعهـا بنفـسه إلى أن أحـبتـه .. وتدخلت أمى .. وبذلت كل ما تسـتطيع بأسلوبها الذى تربت عـليه مع أبى إلى أن أقنعـته بأن يتولـى هو تخصـيص الشقة .. هـل تدرى ماذا فعل .. إنه لم يترك لهـما شقة فى إحدى العـمارات التى نملكها ولكنه اشترى شقة فى عـمارة لا يملكها ولم يكتب الشقة باسم العريس ولا باسم العروسة ولكنه كتبها باسم أخى عبد السلام الذى يقـيم فى انجلتـرا .. وتم الزواج رغم قرف العـريس ، بل إنه استسلم لرأى أبى فى ألا يقيم فرحـاً كبيراً وأن يكون زفافاً عائلياً فى البيت .. وأصبح أبى بعد ذلك يدفع لأختى سنية مائة جنيه فى الشـهر .. ولا مليم زيادة .. لم يكن بخـيلا على عكس ما يقـوله الناس ولكنه كان عـاقلا .. إنه يدفع لابنتـه مسـاعدة رمـزية وعلى زوجهـا أن يثـبت أنه رجل يسـتـطيع أن يتحـمل مسئولية عائلته وعلى زوجـته أن تتحمله مهما قل دخله .. هذا هو الزواج .. وأبى نفسـه تـزوج وهو لا يربح سوى القـروش وتحملـته زوجتـه إلى أن أصبح مليـونيرا .. ولكـن زوج أختى سنية لم يسـتطع أن يثبت أنه رجل .. وصدم فى أطمـاعه التى اعتمد عليها فى زواجه .. فطلق أختى بعد عام واحد .. هو الذى طلقها ورمـاها لتتعذب وسط ملايين أبـى .. وكان أبى مطمئناً

إلى أن هذا الزوج لن يخرج منه بشيء .. فقد ترك الشقة وأسرع أبى بتأجيرها .. وهو لا يمكن أن يوافق على عودته كزوج لابنته لأنه لم يثبت أنه رجل يستحق إعجاب أبى وزهوه به ..

وتنهدت نظيرة وأنا ساكت أحس كأنى فوجئت بواقع جديد .. ثم عادت نظيرة تقول وبين شفتيها ابتسامة مسكينة :

– ونفس الأسباب ونفس الحكاية تكررت عندما تزوجت أختى الثانية بهيرة رغم أنها تزوجت ابن أحد أصدقاء أبى .. إنه هو الآخر ابن لأحد تجار وكالة البلح .. كان هناك تقارب كبير بين المجتمع الذى تعيشه أختى ومجتمع عريسها .. ولكنه هو الآخر تقدم إليها لأنها ابنة مليونير .. وقد أقيم حفل زفاف هائل فى قاعة هيلتون رغم معارضة أبى الشديدة .. فوالد العريس رغم أنه صديق لبابا إلا أنه يختلف عنه اختلافا تاما فهو رجل اجتماعى يحب المظاهر ويعيش المجتمعات ويتفاخر بثرائه وينفق الكثير فى إشباع هذه الشهوة .. ولم يستطع أبى أن يستمر فى معارضته لإقامة حفل الزفاف الهائل لأنه لم يدفع نفقات إقامته ولكن الذى دفع كل شىء هو صديقه والد العريس . إن إقامة حفل الزفاف تدخل فى مسئوليات العريس .. وكأن بابا كان يتعمد الانتقام من صديقه بأن يجعله يدفع أكثر ، فدعا إلى الحفل كل العاملين معه وكل من لهم علاقة بعمله من كبار الموظفين والشخصيات ، وتركنا نحن أيضا ندعو إلى الحفل من نريد ، وقد دعوت أنا إلى الحفل كل صديقاتى وكثيرا من أساتذة الجامعة الأمريكية .. وقد ذهب أبى إلى الحفل وهو مرتد جلبابه وعلى رأسه لبدته التى

يحيطها بشال ملون ، ولم يحاول أن يغير أى شىء من مظهره الذى عـرف به .. ووقف مع صديـقه يسـتقـبل المدعـوين وهو قـرفـان من كل هذه المظاهر ثم انـزوى على مـائدة يحـيط به العاملون معـه فى مكتبه وأرسل أحدهم إلى الخـارج وعاد إليه بشيشة كاملة تفرغ لتدخينها طول الحفل .. أما أمى فقد تعمدت أن تصنع ثوباً جديداً للحـفل ولكن ذوق أمى فى اختيار ثـيابها لم يتغـير أبدا منذ كـان زوجهـا عاملا ومنذ قـبل أن يصل إلى نجـاحه وإلى ثـرائه .. ولا تتصـور حـالنا وأبونا يجلس بهـذا المظهـر الشـــاذ وسط هذا المجـتـمع وفى الهـيلتـون .. وربما أحسست بابتسامات الناس وهمساتهم وهم ينظرون إلى أبى .. ولكنى كنت كـأنى أتحداهم فكنت أصـحب كل صديقـاتى وكل أساتذتى فى الجـامعة وأقدمـهم إلى بابا وماما .. كأنى أتعـمد التفاخر بأبى رغم أنه يختلـف فى مظهره عن أفراد هذه الطبقة وعن مظهـر صديـقه أبى العـريس الذى كـان يتعـمـد التظاهر بالمظاهر المودرن .. على كل حال فإن صداقة أبى بأبى العريس لم تكن صداقة شخـصية خاصة ولكنها صداقـة عمل وصداقة الارتباط بمجال واحد هو مـجال وكالة البلح .. ولم يكن الزواج مجرد زواج .. كان للعـريس هدف .. وكان هدفه من الزواج أن يدخل مع أبى فى مشـروع جديد كبـير لصناعة البلاسـتيك .. ولكن أبى رفـض أن يدخل مـعــه فى أى مـشــروع ربما لأنه اكتشف أن هذا الشاب لم يكتسب ثقة أبيه فيما يتحدث عنه من مشروعـات .. فكيف يرفضه أبوه ويقبله أبــى .. وظل أبى كما هى العادة لا يمد أختى بعد زواجها إلا بمائة جنيه فى الشـهر .. وقـد دام هذا الـزواج أطول مما دام زواج أخـتى سـنيـة .. تم

الطلاق بعد عامين لا بعد عام واحد .. أما أختى الثالثة نفيسة فشىء آخر .. إنها شخصية مختلفة عنا حتى أنها لم تقبل منذ كانت صغيرة أن تعرف باسم نفيسة وأصبحت تحمل اسم نوفا .. وقد تقدم لها مصطفى وهو شاب من خريجى كلية التجارة وذكى إلى حد أنك تستطيع أن تحس بذكائه فى كل كلمة يقولها .. وقد استطاع بسرعة أن يكتشف كل عقلية وشخصية بابا ، بل استطاع أن يتسلل إليه حتى أخذه أبى للعمل معه فى الحسابات رغم أن أبى يتردد طويلا قبل أن يختار من يعمل معه وخصوصاً فيما يخص الحسابات .. وأعتقد أن مصطفى بلغ من ذكائه أنه لا يعيش واقع اليوم ولكنه يعيش المستقبل .. بعد أن يموت أبى ويصبح مسيطراً على ما ترثه زوجته .. وأنا لا يعجبنى مصطفى لأنى لست كأختى نفيسة ..

وقلت لها مقاطعاً وقد بدأت أخمن ما تقصده :

– لماذا تحكين لى كل هذه الحكايات ..

قالت فى أسى :

– حتى تعرف أنى فتاة معقدة ..

قلت صارخاً :

– هل تريدين أن أؤكد لك أنى لا أطمع فى أموال أبيك .. ومن يدرى .. حتى لو أكدت لك فربما تقولين عنى ما قلته عن روزالين .. أنها قبلت أن تتزوج أخاك بلا مهر ودون أن يعتمد على أبيه ولكنك تؤكدين أن لابد فى عقلها مشروعات .. وربما تتصورين أن فى عقلى مشروعات أنا الآخر .. ولا يمكن أن تكونى تحبيننى فعلاً ما دمت تشكين فى أن لى أطماعاً فيك ..

قالت وهى تنظر إلىّ فى حب من خلال ابتسامتها الحلوة :

– إنى أحبك .. ولست فى شك فيك .. ولكن وحتى أكون صريحة فإن أخشى ما أخشاه إذا تزوجنا أن تعايرنى بأنك استغنيت عن أبى .. وأحس كأنك مننت علىّ بهذا الاستغناء .. إنى لا أقبل أن أحس بأنك تمن علىّ بشىء .. فالحب لا يحتمل أن يكون واحداً منا منوناً على الآخر ..

قلت كأنى أسخر من كلامها :

– إن ما لا يصدقه عقل هو أن تقولى أنك لن تتزوجى أبداً مهما كانت الأسباب .. قولى أنك لن تتزوجينى أنا ..

وتركت مقعدها وجلست على الأرض تحت أقدامى وذراعاها مستندان على ركبتى وقالت وهى تبتسم :

– إذا تزوجت فلن أتزوج إلا أنت .. ولكنى أريد أن أنتظر حتى أتم بناء شخصيتى .. أنجح وأعمل وأكسب .. حتى تصبح شخصيتى منفصلة عن شخصية أبى .. حتى لا أكون مجرد ابنة عبد الغفور البرعى .. وأعيش فى غنى عنه لأكون أنا وزوجى فى غنى عنه ..

وصحت :

– وأنا لا أستطيع أن أحبك كل هذا الحب وأعيش محروماً منك كل هذا الحرمان .. إنى حتى هذا اليوم لم أقبل حبيبتى إلا هذه القبلات الخاطفة السريعة .. ليست قبلات الحب ..

وقالت وهى تسند رأسها على ركبتى :

– لن تعيش محروماً ..

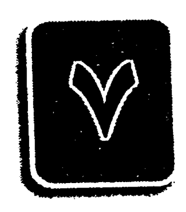
وعدت أصيح :

- إنى لن أستطيع أن أنتظر حتى تبدئى أنت قبل أن أبدأ .. لن أعيش تحت أمرك .. سأبدأ أنا حتى لو لم تبدئى ..

ومددت يدى وقبضت على ضفيرتها فى قسوة وشددت رأسها إلىَّ فى عنف حتى أصبح كل وجهها ملتصقاً بوجهى وشفتاها ملتصقتين بشفتى .. وسمعتها تهمس :

- لقد قررت أن أبدأ ..

وكل شفتيها المكتنزتين بين شفتى ..



كانت معظم وأمتع الأحاديث التى تدور بينى وبين نظيرة هو الحديث عن أخيها عبد الوهاب وزوجته روزالين بعد أن أصبحا يعيشان فى غرفتين داخل بيت عائلة البرعى .. الغرفة التى كانت دائماً غرفة نوم برعى وقد تركاها كما هى لم يضيفا إليها شيئاً ولا حتى فكرت روزالين فى تغيير وضع قطع الأثاث فيها .. والغرفة الملتصقة التى كانت سابقاً غرفة نوم أخيها عبد الستار الذى هاجر إلى انجلترا وقد خصصاها كغرفة جلوس وزحماها بكل ما يعبر عن الدين الإسلامى .. أصبحت حوائطها مغطاة بلوحات تحمل آيات القرآن وصوراً لرجال الإسلام القدامى المعروفين كان من بينها صورة للشيخ حسن البنا مؤسس جماعة الإخوان المسلمين رغم أن عبد الوهاب لم ينضم أبدا إلى هذه الجماعة .. ربما كان عبده يتبرك ويزداد تقربا إلى إيمانه بتعليق صورة حسن البنا .. كما وضعا فى الحجرة مسندين يحمل كل منهما مصحفا كبيرا من

مـصاحف القـرآن .. مصـحف لكل منهمـا .. وفى جانب آخـر أسندا سـجادتين للصلاة .. سجادة لكل منهما .. وكان يواظبان على أداء الصـلاة كاملة .. وربما كـانت روزالين أكثـر حرصـاً على مواعـيد الصلاة من عـبد الوهاب .. إنها تصلى الفـجر فى موعده .. والظـهر .. والعصر .. والمغرب .. والعـشاء .. كل فى موعده تماماً عقب الأذان به .. بل إنها بعد أن عقدا القران وجاءا إلى البيت ودخلا غـرفتيهمـا قاما أولا بالصلاة ركـعتين شكراً وابتهالا إلى الله أن يوفقهمـا .. ثم أعطى كل منهما نفسه للآخر كزوج وزوجة ..

وقلت لنظيرة وأنا فى حيرتى من شخصية عبد الوهاب :

– هل تعلمـين أن أول امـرأة يلمـسهـا أخـوك هى زوجتـه روزالين ..

وقالت نظيرة من خلال ابتـسامتها وفى عينيـها نظرة كأنها نظرة إعجاب بأخيها :

– أعرف .. لم تكن فى حـياته نساء قـبل أن يتزوج .. ولكن هل تعرف ما هو أغرب ؟

وقلت فى لهفة من خلال لهفتى على معرفة كل أخبار عبده :

– ماذا ؟

قالت ضاحكة :

– لقد كانت الزوجة عذراء ..

قلت كأنى ألومها :

– وماذا يدهشك فى ذلك ؟

قالت مبتسمة ابتسامة ساخرة :

– إنها أمـريكية .. عـاشت طفولتـها وشبـابها فى المجـتمع

الأمريكى .. وهناك لا يعتبرون العذرية كشرط من شروط الزواج .. إن العذرية هناك لا تحمل أى معنى .. ومن حق الفتاة أن تبدل عذريتها فى سن البلوغ كتبديل الأسنان فى سن الطفولة ..

وقلت كأنى أنهرها :

– إن المجتمع الأمريكى لا يدعو البنات إلى فقدان عذريتهن .. ولكنه مجتمع يترك للبنت حريتها فيما تريد .. إما أن تريد أن تكون بكراً أو تريد أن تكون امرأة .. ولكن العذرية لم تفقد معناها فى أمريكا .. معنى الطهارة .. ومعنى النظافة .. فهذه البنت لم يمسها رجل .. وأنا واثق أن الزوج الأمريكى يفرح الفرحة الكبرى عندما يكتشف أن الفتاة التى تزوجها لا تزال عذراء .. إن الفتاة فى أمريكا مثلك وخصوصاً أنك طالبة فى الجامعة الأمريكية .. لماذا تصرين على الاحتفاظ ببكارتك ولا تسمحين لى إلا بالقبلات رغم كل ما بيننا .. لأنك تريدين أن تبقى عذراء رغم أن بيننا فتيات كثيرات لم يتمسكن بعذريتهن .. وهن أحرار وأنت حرة فى الحياة بإرادتك ..

وقالت نظيرة كأنها تتحدانى :

– لا ليست الحرية .. إنى مقيدة بإيمانى بأن ليس من حق أن أفرط فى عذريتى إلا بإذن من الله .. إلا بالزواج .. وإيمانى لا يزال أقوى من حبى ..

وقلت ساخراً :

– وأنا الضحية .. لا تريدين الزواج ولا تستطيعين التفريط فى إيمانك ..

وقالت محتدة :

– وأنا أيضاً ضحية .. ضحية إيمانى .. أنا أيضاً محرومة ..

كلانا محروم من الآخر ويتعذب .. ولكنه عذاب لذيذ ..

وقلت وأنا أحس بأنى أتنهد كأنى أرثى نفسى :

– عذاب الرجل أقسى وأضعاف عذاب المرأة .. ولا أريد أن نتحدث عن الفرق السيكولوجى والفسيولوجى بين الرجل والمرأة .. وقولى لى .. كيف عرفت أن روزالين عذراء ؟

وقالت ضاحكة :

– أنت تعلم أنى الوحيدة التى تستطيع أن تصارح أخى عبد الوهاب بكل ما يخطر على بالى كما أنى الوحيدة التى يصارحها .. وقد قمت فى صباح ليلة القران وأنا مصرة على أن أعرف .. هل هى عذراء .. واختليت بأخى وسألته .. وأجابنى فى دهشة من سؤالى :

– طبعاً .. لماذا تسألين ؟

وقلت له :

– لأنها أمريكية ..

وقال أخى فى غضب وسخط :

– مهما قيل عن الأمريكان .. فأمينة شىء آخر .. إنها مسلمة ..

وكأنها لو لم تكن عذراء لما أسلمت .. وبالمناسبة .. إن أخى عبد الوهاب يغضب كلما سمع أحداً ينادى زوجته باسم روزالين . وله حق .. ولماذا نناديها باسمها المسيحى وكأننا ننكر عليها إسلامها .. تعال نناديها باسمها الذى أسلمت به .. أمينة .. ولو أننا فى البيت حيارى كيف نناديها .. أمينة أم روزالين . كأننا لا نستطيع أن نحس بها كمسلمة ولا نستطيع أن نجاهرها بأنها أمريكية غريبة عن الإسلام .. وانتهينا إلى

أننا أصبحنا لا نناديها بأى اسم .. إننا نناديها بالصفات .. يا حبيبتى .. يا أختى .. يا عزيزتى ..

وكان عبد الوهاب وروزالين ـ آسفة .. أقصد أمينة ـ مختلين دائماً فى غرفتيهما ما داما فى البيت لا يخرجان إلى بقية أنحاء البيت إلا إذا كانا فى حاجة إلى شىء .. كان يخرجا ليجلسا مع بقية أفراد العائلة على مائدة الغداء .. وكانت أمينة تخرج وحدها أحيانا وتدخل المطبخ لتأكل فى غير مواعيد الغداء أو العشاء .. وكانت تحمل من المطبخ ما تجده إلى غرفتيهما .. ولم يحدث أبدا أن اقترحت علىّ أى صنف من الطعام أو علقت بشىء أو اعترضت أن تقوم بإعداد لون خاص من الطعام .. بل إنها لا تشترك فى أى عمل من أعمال البيت خارج الغرفتين .. كأنها غريبة تعيش فى بنسيون .. ومنذ صباحية يوم الزواج الأول خرجت أمينة من البيت ، وركبت الموتسكل الذى تملكه واختفت حتى الساعة الخامسة بعد الظهر .. لابد أنها استأذنت زوجها .. لقد ذهبت إلى عملها .. لم تحس أن الزواج يفرض عليها أن تأخذ أجازة من العمل .. إن الاجازة لا تكون إلا للقيام بعمل آخر .. والزواج فى رأيها ليس عملا يستحق أجازة .. والغريب أن عبد الوهاب وافق .. ووافق أيضاً على أن تستمر فى ركوب الموتسكل بين الشوارع .. إنه من معدات التنقل حتى لو كانت تركبه امرأة وليس فى ذلك أى حرام ما دامت المرأة لا تكشف عن المحرمات من جسدها .. ربما كانت هى التى أقنعته بهذا الكلام .. بل إنه لم يعترض عندما قالت له إنها مرت فى طريقها لزيارة صديقتها فوزية .. ما هذه الصداقة التى تدعو عروساً إلى

زيارة صديقتها فى صباحية ليلة زفافها !!

وكانت نظيرة هى الوحيدة التى تستطيع أن تتجرأ على خلوة عبد الوهاب وأمينة وتفتح عليهما غرفتيهما .. وكان قد مر ثلاثة أيام على زواجهما عندما دخلت نظيرة إليهما فوجدتهما جالسين فى غرفة الجلوس وكل منهما ساهم مبلم متباعد عن الآخر .. وسألتهما نظيرة ضاحكة كعادتها :

- ماذا بكما .. هل انتهى شهر العسل . أم وجدتما فى العسل مرارة ؟!

وظلا صامتين برهة إلى أن انطلقت روزالين - أقصد أمينة قائلة فى ثورة :

- اسمعى يا نظيرة .. إنى أعلم أنك أقرب أخوات عبده إليه .. فساعدينى على إقناعه .. إنى منذ اليوم الأول الذى التقينا فيه وأنا ألح عليه ليعمل وهو لا يريد أن يعمل ..

وقال عبد الوهاب فوراً :

- اسأليها أين تريدنى أن أعمل ..

وقالت أمينة وهى توجه كلامها إليه رداً عليه :

- إنى أريدك أن تعمل مع أبيك .. أى خطأ فى أن تعمل مع أبيك ؟

وقال عبده كأنه تجاهل وجود نظيرة بينهما ويعيد المناقشة من جديد :

- قلت لك إنى لا أريد أن أعمل مع أبى كما أنك أنت رفضت العمل مع أبيك رغم أنه يملك متجر أحذية كبيراً فى بلدكم ..

وصاحت روزالين .. آسف .. أمينة :

- إنى لم أعمل مع أبى لأنى أريد أن أدرس .. ونلت شهادة

وأصبحت متخصصة فى علاج اللثة .. أما أنت فإنك ترفض العمل مع أبيك دون أن تحدد لنفسك طريقاً يحقق مستقبلك .. إنك حتى لم تتم دراستك ولم تدخل الجامعة ولم تتخصص فى شىء ..

وقال عبده ساخراً :

– إن أبى لم يدخل الجامعة ولا أى مدرسة ولا حتى روضة الأطفال .. إن العمل مع أبى لا يحتاج لدراسة ولا لشهادات ..

وعادت أمينة تصيح :

– إنى أعرف كل شىء عن أبيك .. إنه لم يهرب من المدارس ولم يحرم نفسه من التعليم فاعتمد على نفسه وعلى ذكائه وعبقريته حتى حقق لنفسه المعجزة .. ولكنك أنت لست محروماً من التعليم ولكنك حرمت نفسك منه .. وأنا مثلك لا أعتبر أن الشهادات الدراسية هى التى تحقق مستقبل الإنسان .. وكثير من العباقرة وأصحاب الملايين عندنا فى أمريكا لم يدخلوا الجامعات ولم يحصلوا على شهادات .. وأنا لا أريدك أن تتم تعليمك ولكنى أريد أن تعمل وتحاول لعلك تحقق المعجزة التى حققها أبوك أو على الأقل تستمر فى إحياء معجزته .. فهل أنا مخطئة .. هل أتجنى عليك لأنى أريدك أن تملأ فراغ حياتك وتعمل ..

وقال عبده وهو أيضاً يصيح :

– قلت لك إنى منذ سنوات وأنا أفكر وأبحث حتى أستطيع أن أعمل بعيدا عن أبى .. وقلت لك أنى مستعد أن أسافر معك إلى أمريكا وأبدأ العمل هناك حتى لو عملت مع أبيك فى تجارة الأحذية .. بل إنى فكرت أن أحولها مع أبيك من تجارة إلى

صناعة .. وأستطيع أن أدبر رأس المال الذى يكفينا لإقامة هذا المشروع هناك ..

وقاطعته أمينة وهى تلوى شفتيها الرفيعتين فى قرف :

– لو كنت أستطيع أن أعود إلى أمريكا وأترك مصر لما تزوجت مصرياً .. لما تزوجتك ..

وقال عبد الوهاب موجهاً كلامه إلى نظيرة وكأنه كان قد نسى وجودها :

– إنها لا تستطيع أن تفهم وتقدر .. وكل ما يسيطر على مخها استغلال أبى ..

ثم عاد والتفت إلى أمينة واستطرد صائحاً :

– اسألى نظيرة .. هل ترضى أن تعمل مع أبى رغم أنها ستنتهى من دراستها وتصبح إنسانة كاملة ..

وقالت لهما نظيرة وهى تضحك :

– استمرا فى المناقشة أسبوعاً أو شهراً أو شهرين إلى أن تتفقا .. وستتفقان لأنكما زوجان .. والمناقشة تحيى وتملأ الحياة الزوجية .. وسأترككما ..

وخرجت نظيرة من الغرفة كأنها تهرب منهما ..

وسألت نظيرة بعد أن حكت لى هذه الحكاية بكل تفاصيلها :

– وماذا كان رأيك أنت ؟

وسكتت نظيرة برهة ثم قالت فى صوت مسكين :

– إن أخى عبد الوهاب على حق .. وروزالين معذورة .. إنها لا تستطيع أن تقدر العقدة التى نعانى منها تجاه أبى .. العقدة التى دفعت أخى عبد السلام للهجرة إلى انجلترا والتى تدفع

عبده إلى الهـجرة هو الآخر .. لقد سبق أن حـاول الهجرة ولم يفلح فى الحيـاة بعيداً عن أبيـه ، ومن حقه أن يحاول الهـجرة مرة أخـرى بعد أن تزوج أمريكية .. إنـها عقدة عـجيبة غـريبة كخيوط العنكبوت ومن الصعب على من لا يعانيها أن يفهمها .. ولكنك لا تدرى ما حدث بعد ذلك ..

وسكتت كأنها تتحسر وقلت أتعجلها فى لهفة :

– ماذا حدث ؟

وقالت نظيرة وهى متحسرة :

– لقد فوجئنا بعبد الوهاب يخرج من حجرته ويأتى ليجلس معنا وحـده على مائدة العشاء .. وصـحنا جميعـاً مندهشين .. أين زوجتك .. ما عدا أبى فـهو لم يردد معنا هذا السؤال .. إنه لا يحب أن يتدخل فى حياة ابنه ما دام لم يجد ما يمسه ..

وقال لنا عبد الوهاب دون أن ينظر إلينا :

– ستنام الليلة عند صديقتها فوزية ..

ثم استطرد ضاحكاً :

– إن كلا منا فى حاجة إلى ليلة راحة ..

ولم ينطق أحـد منا بكلمـة .. وأخـذنا نتـبـادل النظرات فى صمت ربما لوجود أبى بيننا .. ولكن أبى ضحك ضـحكة كبيرة وهو يقول لعبد الوهاب :

– هذا هو الفـرق بينى وبينك .. لقـد عشت مع أمك أربعـين سنة ولم آخـذ ليلة راحة واحـدة .. أما أنت فقـد احتـجت لليلة راحة ولم يمض على زواجك أيام ..

وقال عبد الوهاب فى وجوم :

– إن أمى نعمـة يمن الله بها كزوجـة على من يرضى عليهم

من عباده .. ولم يتم رضا الله عنى حتى يمنحنى مثل أمى ..
وقال أبى كأنه ينهر أخى :
– إن الله يرضى عن العاملين الذين يعملون ليصلوا إلى ما كتبه لهم من رزق ..
ولم يرد عبده على أبيه إنما ابتلع لقمة من الطبق الذى أمامه ثم قام من حول المائدة دون استئذان ودخل حجرته بسرعة .. لقد كان غريباً أن يجلس معنا على مائدة العشاء فهو لم يتعود أن يتعشى معنا حتى بعد أن تزوج كانت زوجته أمينة تدخل المطبخ وتعد له ولها صينية العشاء وتعود بها إلى حجرتهما .. وقد دخلت إلى أخى عبده فى حجرته بعد العشاء وقلت له مشفقة عليه :
– أصدقنى .. لماذا ذهبت أمينة لتنام عند صديقتها ..
وقال ساهماً :
– صدقينى .. لقد أردنا أن نرتاح من مناقشاتنا .. وأمينة أوربية أمريكية فلا تنتظرى منها التقاليد التى تحكم عاداتنا وتحرم عليها المبيت بعيداً عن زوجها ..
وقد قضيت معه ساعات طويلة من الليل متعمدة دون أن أشعره بانى أخفف عنه ..
وقلت لنظيرة وأنا متعجب حائر مما أسمعه :
– إنى لا أستطيع حتى اليوم أن أجد ما يقنعنى باسباب زواج عبده من روزالين ..
وقالت نظيرة وهى تهز رأسها فى أسى :
– إنى أعتقد أنها مجرد تجربة قرر عبده أن يخوضها ..
وبعد يومين عدنا فى لقائنا أنا ونظيرة نتحدث كعادتنا عن

أخيها وزوجته الأمريكية ، وقالت نظيرة وهى تبتسم وتهز رأسها كأنها متعجبة من الأحوال التى تشهدها :

– لقد عادت أمينة إلى البيت فى اليوم التالى .. لم تقض مع صديقتها إلا ليلة واحدة .. وقد عادت متغيرة .. إنها تقضى كل وقتها وهى فى البيت خارج غرفتها .. وتقبل على الجلوس معنا ولا تكف عن الكلام وتشترك مع أمى فى أعمال البيت .. إلى أن عاد أبى فى المساء إلى البيت كعادته .. وكأنها تفرغت له .. جلست معه فى الصالة قبل تناول العشاء وأخذت تحدثه عما جمعته من معلومات حول تجارة الحديد الخردة وعن تصنيع الحديد .. إنها تروى معلومات قيمة فعلا .. ربما كان بعضها جديداً بالنسبة لمعلومات أبى وخبراته .. وكان يستمع إليها أحيانا بجدية .. وأحيانا يعلق ضاحكا .. إلى أن قالت له بعد الكلام الطويل :

– لقد وعدتنى أن أعمل معك ..

وضحك أبى ضحكة كبيرة وقال كأنه لا يعنى ما يقول :

– بإذن الله ..

وقالت أمينة وعيناها تبرقان :

– إنى أريد أن أعمل معك من اليوم .. لقد درست كل ما يتعلق بالعمل دراسة واسعة .. ضعنى فى أى مكان من العمل وأنا واثقة متأكدة أنى سأحقق لك الكثير وسنبنى وأنا معك مستقبلاً باهراً واسعاً ..

وسكت أبى فترة ثم قال وهو يبتسم وإن كان صوته جاداً :

– إنى لا أستطيع أن آخذك من زوجك ..

قالت فى دهشة :

- ماذا تقصد ..

وقال أبى فى هدوء :

- إن عبد الوهاب لا يريد أن يعمل معى .. فاقنعيه أولاً بالعمل وسأرحب بك معه لتكونا معاً ويكون مسئولاً عنك ..

وصاحت أمينة كأنها دهشت :

- مالى ومال عبد الوهاب .. إن لكل منا عمله .. إنه لا يعمل معى فى مكتب شركة البترول ، ولا يعمل معى وأنا أكشف على مرضى اللثة .. وأنا لا أعمل معه فيما لا أدرى ما يعمله .. إن لكل منا عمله الخاص ..

وقال أبى من خلال ابتسامته :

- إنه زوجك ..

وعادت أمينة تصيح :

- وما دخل زوجى فى هذا الموضوع .. هل تريد أن أستأذنه ..

وقال أبى وهو ينظر إليها كأنه يطلب منها أن تنهى هذا الموضوع :

- إنه ابنى .. ولا أستطيع أن تعمل معى زوجة ابنى وأنا حائر فى ابنى .. إنه وضع غريب .. واسمعى يا ابنتى .. إنى رجل عجوز .. دقة قديمة .. ولى طبيعتى الخاصة .. وما تجدينه عادياً عندكم فى أمريكا قد يكون غريباً عجيباً عندنا .. كيف تعمل معى زوجة ابنى ولا يعمل ابنى .. إنى لا أستطيع كلما رأيتك أمامى أن أتخلص من إحساسى بابنى فكيف أرتاح لك إذا رأيتك معى فى عملى ..

ورغم هذا ظلت أمينة تلح وأبى مصمم على الرفض إلى أن

قامت من أمامه غاضبة ودخلت غرفتها إلى زوجها الذى لم يحضر هذه الجلسة ولم يسمع كل هذا النقاش ولم يبد رأيه .. ولم يتناولا معنا هما الاثنان طعام العشاء ..

وتنهدت نظيرة فى أسى وقالت فى صوت حزين :

– لقد تأكدت وأنا أسمع هذا الكلام أن أخى ضحية أبى .. ويضيع فى تضحية جديدة .. ماذا تفهم من كلام روزالين أو أمينة .. إن كل ما فهمته هو أنها لم تتزوج أخى لأنها تحبه .. أو لأنها استراحت إلى تدينه وتطرفه فى الإسلام .. أو أنها أعجبت بشخصيته .. أبدا .. لقد تزوجته فقط لأنه ابن الحاج عبد الغفور البرعى .. وكانت قد جمعت كل المعلومات عن ثراء الحاج عبد الغفور فتزوجت ابنه لتستغل هذا الثراء .. وقد حاولت أولاً أن تقوم بهذا الاستغلال عن طريق ابنه الذى تزوجته .. وعندما خيب الابن أملها حاولت أن تستغل الحاج عبد الغفور مباشرة بأن تعمل معه .. إنى لم أعد أطيقها .. بل إنى لم أعد مقتنعة بأنها أسلمت من أجل الإسلام .. لعلها أرادت أن تستغل الإسلام أيضاً ..

قلت كأنى قررت أن أجادلها وأتحدى آراءها :

– ومن أدراك أن أخاك نفسه لم يتزوجها لأنه أحبها .. أو لأنها أسلمت .. أو لأنه أعجب بها .. إنها ليست مجرد امرأة جميلة تثير الإعجاب .. بل إنه لم يتزوجها لحاجته إلى امرأة .. أى امرأة .. فقد قضى عمره كله دون أن يمس امرأة .. إنه تزوجها هو الآخر لتحقيق أطماعه .. قد يكون كل ما دفعه إلى الزواج هو أن يسافر معها إلى أمريكا ويحقق مستقبله هناك بعد أن يحصل هو نفسه على الجنسية الأمريكية بحكم الزواج ..

وقالت نظيرة وهى تنظر إلىّ فى لوم :

– لا يهـمنى مـاذا يريد أخى .. إن مـا يريده خـاص به وأطماعـه لا تمسنى ولا تؤثر فىّ .. ولكن أطماع زوجـته تمس كل عائلتى لأنها أطماع فى استغلال أبى .. وهى أطماع حرمتنا أنا وإخـوتى من أن نستـطيع أن نعيش حـيـاة عادية مـثل كل الناس .. حرمتـنا أن يتزوج أى واحد فينا من أجل شـخصه .. إننا لا نتزوج إلا من أجل فلوس الحاج عبد الغفور ..

وقلت مشفقاً :

– هذه عقدتكم كلكم ..

قالت كأنها تهم أن تبكى :

– هذا صحيح ..

قلت وأنا أقترب منها وأحتضنها :

– لقـد فكرت فى مشـروع لأخلصك من هذه العقـدة .. بأن أحررك من أبيك .. ونتزوج ..

قالت بلا مبالاة :

– كيف ؟

قلت وأنا أضـمهـا إلى صـدرى وأرفع رأسـها وعـيناى فى عينيها :

– أتزوجك بلا أبيك .. أى أتزوجك الآن دون أن نـخبـر بابا وتتـركيـن البيت كـأنك تهـربين .. ونعـيش هنا مـعاً .. زوجـاً وزوجـة .. وطبعـاً سـيثـور بابا بعـد أن يعلم وسـيطردك من عائلته .. لن يمـدك بأى مساعدة .. وسـيـقطع عنك مصـروفك .. وقـد يحـرمك مـن الميـراث .. وبذلك تتـأكـديـن أنى تزوجـتك لشخصك لا لأنك ابنة الحاج عبد الغفور البرعى .. فلن أنال منه

شيئاً فى حياته ولا بعد وفاته .. وستبنين كل شخصيتك الحرة بعيداً عن أبيك وتتحررين من عقدتك .. وتكونين لحبيبك .. لى..

ولم أقل هذا الكلام لمجرد إرضائها وتهدئتها فى أزمتها ولكنى كنت أتمنى فعلاً زواجها حتى لو هربنا بزواجنا عن أبيها .. لقد أصبحنا نعيش كزوجين بلا زواج .. فهى تحمل مفتاح الشقة وتذهب إليها سواء كنت أنا فيها أو لم أكن .. لقد قلبت الشقة .. غيرت كل أثاثها واهتمت أكثر بتغيير غرفة النوم حتى أنها أعادت طلاءها بلون أخضر فاتح كأنها كانت تمسح كل الماضى الذى عشته فى هذه الغرفة مع الأخريات .. وكنت أنا الذى أدفع كل النفقات .. وربما كانت تتعمد أن تتركنى أدفع تحت تأثير عقدتها بأن الناس تنظر إليها لمجرد أنها ابنة رجل غنى .. وإن كانت تدفع بجانب ما أدفعه .. تشترى أصنافاً من المأكولات أو تحفة صغيرة من التحف التى تزين بها الشقة .. أنا دائماً الذى أدفع أكثر .. وكل هذا وأمنيتى تشتد يوماً بعد يوم بأن أتزوجها .. إنى أحبها ..

وابتعدت نظيرة عن صدرى وسحبت عينيها من عينى وقالت كأنها تحدث نفسها :

– ليس مما يثبت حريتى وقدرتى على أن أستقل بشخصيتى عن أبى أن أهرب منه ونتزوج بعيدا عنه .. بالعكس .. هذا سيجعلنا أكثر استسلاماً له .. ونعيش زواجنا كأننا هاربان من القوة الأعظم التى هزمنا أمامها .. قوة أبى .. وبالعكس .. إن والدى قد يوافق على زواجنا بلا مبالاة لأن ليس من طبيعته فرض إرادته على أولاده .. ولكن ما يجعلنى أقيم شخصيتى الحرة هو أن أستقل عن أبى وأنا حرة .. أن

أعـيش ولست فى حـاجـة إليه .. وأن يـكون لى اسم ليس فى حاجة إلى اســمه .. أن أنادى باسم نظيرة عبد الغـفور البرعى فلا يتذكر أحد أبى عبـد الغفور البرعى .. ولا زلت فى حاجة إلى وقت حتى أستطيع أن أحقق الشخصية التى أريدها لنفسى ..

وقلت فى يأس :

– لقد أصبحت أنا الآخر معقداً من أبيك ..

قالت وهى تلتصق بى :

– لأنك أصبحت أنا ..

وأعطتنى كل شفتيها المكتنزتين بين شفتى كأنها تسكتنى ..

●●●

ومرت أسابـيع قليلة .. أسبوعان أو ثلاثة .. وجـاءت نظيرة يوماً ووقفت أمامى تقول وكأنها تتعمد أن تكون ساخرة :

– خبر جديد .. روزالين سافرت إلى أمريكا ..

وقلت فى دهشة المفاجأة :

– لماذا ؟

قلت من خلال ضحكة ساخرة :

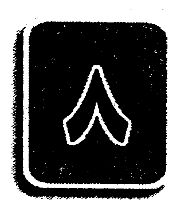
– قالت لأخى أنها تريد أن ترى أمها ..

قلت من خلال المفاجأة :

– وهل سافر أخوك معها ؟

قالت وهى تجرى إلى المطبخ :

– لا .. أصرت على أن تسافر وحدها ..



كانت نظيرة قد تناقشت مع أخيها عبد الوهاب مناقشة حادة كأنهما يتشاجران .. كيف يسمح لزوجته روزالين أن تسافر وحدها إلى أمريكا ولم ينقض على زواجهما أكثر من أسبوعين أو ثلاثة .. أين الزواج .. أين ما تطلبه الحياة من أن يعيش الزوج مع زوجته .. متقاربين .. ملتصقين .. إلى أن يصل كل منهما إلى أعماق الآخر .. وقد رد عليها أخوها فى فتور :

– إن من حقها أن تسافر لترى أمها .. على الأقل لتحكى لها حكاية زواجها ..

وصاحت نظيرة ثائرة :

– لماذا لم تكتف بأن تحكى لأمها فى خطاب أو برقية .. أو لماذا لم تدع أمها إلى مصر لتراها وتعيش معها دون أن تتركك وتفسد الحياة الزوجية وأنتما فى شهر العسل .. كانت تستطيع أن تدعو أمها وتقيم معكما هنا فى البيت وتخصصا

لها الحجرة التى تتخذانها حجرة جلوس .. ولم يكن أبى أو أحد فى البيت سيعترض على تشريفها .. هذا إذا كنتما تريدان توفير نفقات إقامتها فى فندق ..

وقال عبد الوهاب وهو لا يزال فاتراً :

– قلت لك إن شخصية الفتاة الأجنبية أو الأمريكية تختلف عن شخصية الشرقية .. إن شخصية أمينة تختلف عن شخصيتك أنت مثلا .. وكل ما تعيشين فيه من آراء وتقاليد وأحاسيس لا تعيشه أمينة .. وأنا أعاملها بشخصيتها لا بشخصية الفتاة الشرقية وتقاليد الحياة الشرقية ..

وعادت نظيرة تصيح :

– ولماذا تركتها تسافر وحدها .. لماذا لم تسافر معها .. إنى أعلم أن من أعز أمانيك أن تسافر إلى أمريكا ..

وقال عبد الوهاب وهو يتنهد كأنه يتذكر أحلامه :

– إنها لن تغيب طويلا .. وقد وعدتنى أن نسافر معاً فى المرة القادمة ..

وتركته نظيرة وهى ساخطة ناقمة لا عليه ولكن على روزالين . لقد أصبحت تناديها باسم روزالين لا باسم أمينة ..

ولم تنقض سوى عشرة أيام أو أكثر بيومين حتى جاءت إلىّ نظيرة وقالت وهى تلهث مبهورة وإن كانت مبهورة فى غل :

– تصور ماذا حدث ..

وسكت برهة وقلت ضاحكاً :

– اعملى معروف لا تعذبينى بالتصورات ..

وقالت كأنها لم تسمع كلمتى :

– لقد عادت روزالين من أمريكا ..

ثم ألقت نظيرة بنفسها على المقعد كأنها مهدودة وبدأت تحكى الحكاية ..

لقد عادت روزالين إليهم فجأة دون أن ترسل برقية ليستعد زوجها لاستقبالها وانتظارها فى المطار .. عادت فى بساطة كما سافرت فى بساطة وكأنها لم تسافر إلى أقصى الدنيا .. إلى أمريكا .. كأنها ذهبت إلى خان الخليلى فى مصر وعادت .. وقد عادت دون أن يبدو عليها أى تغيير .. نفس الوجه المصوص الساطع البياض .. والشفتين الرفيعتين كأنهما خطان على وجهها .. والعينين الضيقتين اللامعتين .. كان كل ما يبدو عليها من تغيير أن ثوبها الذى كان يتدلى حتى قدميها مغالاة فى تتبع تقاليد الإسلام قد ارتفع وإن لم يكشف عن ركبتيها .. كما أن الثوب كشف عن ذراعيها وإن لم يصل حتى كتفيها .. لاشك أنها عادت وتأثرت هناك بالمجتمع الأمريكى . وقد عادت وهى تحمل هدايا لكل أفراد العائلة وإن كانت كلها هدايا رخيصة .. جاءت لكل بنت من البنات ببلوزة فاقعة اللون .. وجاءت للأم بزجاجة عطر رغم أن الأم لا تتمسك بالعطور .. وجاءت للحاج عبد الغفور بعدة حلاقة كاملة غالية نسبياً .. ولم ير أحد ماذا جاءت به لزوجها .. ومنذ جاءت وهى تتقرب وتجامل كل أفراد العائلة وتحكى لهم حكايات عن أمريكا وعن أمها وأبيها .. ونظيرة تحس بأن هذا التقارب متعمد مفتعل .. لابد أن هناك شيئاً عادت به وتريده لنفسها .. إلى أن عاد أبوها فى المساء واستقبلته روزالين فى فرحة لعلها أيضاً فرحة مفتعلة .. ورد عليها أبوها بترحاب وحنو وابتسامة

طيبة حلوة .. إنه رجل طيب وإن كانت طيبته لا تؤثر فى ذكائه .. وجلست روزالين معه فى غرفة الجلوس كما هى العادة قبل العشاء وكل أفراد العائلة حولها ما عدا زوجها عبد الوهاب الذى بقى منعزلا فى غرفته .. وقدمت له روزالين هديتها وأخذت تحكى له هو الآخر عن أمريكا وعن أبيها وأمها ، وقالت ضاحكة :

- لقد كانت صورتك التى عرضتها على أبى وأمى هى أكثر الصور التى أعجبوا بها .. لقد أحسا بأنك تمثل الشرق كله ..

وقال الحاج عبد الغفور ضاحكاً :

- إنى أدعوهما إلى الشرق حتى يكونا منا ويستشرقوا .. لقد أصبحنا نسايب .. مصر وأمريكا ..

وبعد كلام كثير سكتت روزالين برهة ثم قالت فى لهجة جادة وعيناها الضيقتان تزدادان بريقاً :

- لقد عدت من هناك بمشروع أعتقد أنه يهمك ..

وقال الحاج عبد الغفور بلا اهتمام :

- خيراً ..

وأدارت روزالين عينيها بين أفراد العائلة الجالسين معها كأنها تتردد ، ولمح الحاج عبد الغفور بذكائه ترددها فقال لها مبتسماً ابتسامته الطيبة :

- هل تفضلين أن نكون منفردين بعيداً عن هذا الزحام ..

وقالت روزالين كأنها قررت :

- لا .. لا يهم .. إنى أعلم أنه مشروع لا يهمهم ولا يدخل فى اختصاصهم .. ولا مانع من أن يسمعوه لعل لهم رأياً فيه ..

ولكن الأم ما كادت تسمع هذا الكلام حتى قامت من الغرفة

ولحقت بها ابنتها الكبرى .. إنهما تعودتا ألا يسمعا أى كلام خاص بأعمال الحاج عبد الغفور .. أما نظيرة فقد قررت أن تبقى وتشبثت بمقعدها لأنها تريد أن تعرف .. وأختها الأخرى بقيت أيضاً لتتسلى .. وكانت روزالين تسكت قليلا كأنها تلتقط أنفاسها لتستعد لعرض مشروعها ثم استطردت قائلة :

– إنى أقدر الأسباب التى دفعتك إلى أن ترفض أن أعمل معك ما دام عبده لا يعمل معنا .. لك حق .. ولكنى من يومها وأنا أفكر فى شىء جديد أستطيع أن أقدمه لك لأنى مبهورة بنجاحك .. أقدمه لا كعاملة معك ولكن كعمل خاص بى قد أستطيع فيما بعد أن أتعاون فيه مع زوجى عبده .. وكان أول ما اكتشفته أن الحكومة المصرية تبيح للقطاع الخاص أن يستغل القروض الأجنبية ويعمل بها لحسابه الخاص .. والقروض الأجنبية تتميز بشروط سهلة لا يمكن أن تتحقق من خلال القروض العادية .. إنها توفر فترة سماح لا ترد خلالها شيئاً مما اقترضته لمدة خمس أو عشر سنوات .. كما أن فوائد هذه القروض بسيطة إلى حد لا يحسب حسابها .. وتساءلت .. لماذا لا تستغل أنت هذه القروض وتقيم بها مصنعا كبيرا رائعاً .. وبدلاً من أن تقتصر على جمع الحديد الخردة وبيعه تتطور بمشروعاتك إلى تصنيع هذا الحديد .. ولا شك أنك تعلم أن استغلال هذه القروض يجب أن يكون من داخل الدولة التى أقرضت .. أى أنك إذا أخذت من القروض الأمريكية فيجب أن تتعامل بما أخذته من داخل أمريكا .. أى أن يكون الاستيراد من أمريكا .. ولذلك سافرت إلى أمريكا .. لم أسافر لأرى والدتى كما ذكرت وإن كنت قد فرحت برؤيتها .. ولكنى سافرت

لأستكمل المشروع الذى تمكن من خدالى وأدرس مجالات الاستيراد من أمريكا .. وقد وصلت هناك إلى العجب .. إننا لا نستطيع أن نستورد الآلات فحسب .. ولكننا نستطيع أيضاً استيراد كتل من الحديد نصنعها هنا .. وقدرت أننا نستطيع أن نبدأ لو حصلنا من القروض الأجنبية ولو على عشرة ملايين دولار فقط ، وأنا واثقة أن لك من الاتصالات والنفوذ ما تستطيع أن تصل به إلى كل ما تقتنع به .. وقد أعددت كل ذلك فى دراسة مكتوبة سأضعها أمامك ..

وكان الحاج عبد الغفور يستمع إليها وهو دهش وإن كان لا يبدو عليه الاهتمام الشديد ، بينما نظيرة تستمع إليها كأنها تستمع إلى نصابة تبدأ عملية نصب .. وقال الحاج عبد الغفور من خلال ابتسامته الطيبة :

– إنك مدهشة .. رائعة .. كنت أتمنى أن تكون إحدى بناتى أو حتى أولادى فى مثل ذكائك ونشاطك ..

وقالت روزالين تتعجله متفائلة :

– ما رأيك فى المشروع ؟

وقال الحاج عبد الغفور وهو يبعد عنها عينيه :

– إنه مشروع رائع مضمون ولكنك جئت متأخرة .. فمنذ عام دخل صديقى بهنس فى مثل هذا المشروع واستطاع أن يأخذ لنفسه من القروض الأجنبية وبدأ فعلا فى إقامة أعمال جديدة وعندما سمعت بدأت أنا الآخر فى محاولة الحصول على نسبة من القروض مع شريك يفهم فى هذه العمليات .. ولم نأخذ من القروض الأمريكية ولكن من القروض اليابانية .. وقد تطلب الحصول على هذه القروض جهداً كبيراً ومتاعب

استمرت شهوراً طويلة .. ولا شك أنك تقدرين متاعب التعامل مع الحكومة والمبالغ الضخمة التى يكلفها هذا التعامل .. ورغم ذلك أقدمت بعد أن أقنعنى شريكى .. ولم نصل إلى استكمال المشروع إلا منذ شهر واحد ..

وصاحت روزالين كأنها تصرخ :

– إنى لم أعلم أنك دخلت فى مثل هذا المشروع ..

وقال الحاج عبد الغفور فى هدوء :

– إنك لم تسألينى قبل أن تبدئى فى مشروعك ..

قالت .. كأنها تبكى :

– إن زوجى عبد الوهاب لم يقل شيئاً ..

وقال الحاج عبد الغفور وهو يتنهد تنهيدة كأنه يزفر متاعبه :

– إن عبد الوهاب لا يعلم شيئاً عن أى شىء ..

وقالت فى حدة :

– أى أنك ترفض أن تأخذ منى هذا المشروع ..

وقال كأنه يواسيها :

– إنى لا أرفضه .. وأعلم أن عمولتك منه تصل إلى نسبة كبيرة تحقق لك ربحاً ضخماً .. ولكنى سبقتك إليه .. لا أستطيع أن أبدأ مشروعاً وقد بدأته فعلا ..

قالت ورأسها يسقط على صدرها :

– أى لا أمل ..

وقال أبى مشفقاً عليها :

– فكرى فى مشروع آخر وأنا مستعد للتعاون معك .. أو خذى هذا المشروع واعرضيه على أحد آخر .. وأنا معجب بك

إلى حد أنى لا أستطيع أن أصدق أن امرأة تستطيع أن تهب نفسها وتبذل كل هذا الجهد فى تحقيق مشروعات لرجال الأعمال .. بل إنى من دهشتى أحس أنك تظلمين نفسك .. فقد كنت أعتقد أن كل نساء العالم حتى فى أمريكا ليس لهن ما يشغلهن ويحقق لهن السعادة إلا البيت والأولاد ..

وقالت روزالين فى سخط :

– إنك تعيش أيامك .. إن كل نساء العالم يعملن فى كل المجالات التى كانت قاصرة على كل الرجال ..

ثم ابتسمت ابتسامة مسكينة كأنها تذكرت شيئاً واستطردت قائلة فى صوت خفيض كأنها تحادث نفسها :

– ما عدا صديقتى فوزية .. إنها رغم كل ما تعلمته ورغم كل الشهادات التى تحملها لا تحب أن تعمل ..

وقال أبى مبتسماً وهو يرفع اللبدة عن رأسه :

– ربما لأنها أعقل وأكثر واقعية من بقية النساء .. وأحب أن أقول لك كلمة .. إن رجل الأعمال لا ينجح أبداً من أول محاولة .. ولا الثانية .. ولا الثالثة .. إنه قد يفشل فى عشرات المحاولات إلى أن يوفق فى محاولة ويبدأ فى بناء مجده .. أنا نفسى فشلت فى محاولات كثيرة قبل أن يوفقنى الله .. هل تسمعين عن رجل الأعمال الرائع محمود عبده محمود الذى وصل إلى أنه أصبح يحكم كل مشروعات مصر .. لقد بدأ بالفشل .. فشل فى عمليات كثيرة منها عملية كان يريد أن يشركنى فيها ..

وقامت روزالين واقفة وقالت فى انهيار :

– عن إذنك .. أسعدت مساء ..

وسارت إلى غرفتها فى خطوة مترنحة كأن إحساسها بالفشل سيهدها ، وصاحت وراءها نظيرة وصيحتها فيها رنة الشماتة :

– العشاء ..

وقالت روزالين ساخطة دون أن تنظر إليها :

– لن أتعشى ..

واختفت داخل غرفتها ، ولعلها بكت على صدر زوجها ..

●●●

وسكتت نظيرة وهى تتنهد كأنها تلتقط أنفاسها بعد أن حكت كل هذه الحكاية وأنا أسمعها غارقاً فى الدهشة والتعجب .. وقلت لها :

– لم أكن أعتقد أن هذه المرأة يمكن أن يصل بها طموحها إلى هذا الحد حتى ولو أنها أمريكية ..

وقالت نظيرة فى قرف كأنها تصحح معلوماتى :

– إنه ليس مجرد طموح .. إنه شذوذ .. إنها تعيش كل حياتها فى شذوذ .. لقد تركت عائلتها التى تتاجر فى الأحذية لتتعلم الطب .. وبعد أن تعلمت الطب تركت أمريكا كلها وجاءت إلى مصر لتعمل فى مكتب إحدى الشركات وتبيع أحذية حملتها معها من بلدها وتكشف على مرضى اللثة رغم أنها لا تستطيع أن تمارس الطب ، ثم تزوجت أخى لأنها عرفت أنه ابن رجل أعمال مليونير وقررت أن تمارس الأعمال .. امرأة غريبة شاذة .. وستبقى دائماً تعيش شذوذها .. وأنا لم أنته من حكايتها مع أخى بعد .. إنك لا تدرى ما حدث بعد ذلك ..

وتنهدت نظيرة فى أسى ثم استطردت قائلة :

- إنى فى الصباح فوجئت بأن رأيت روزالين تخرج من البيت وهى تحمل حقائبها .. وقد رأتنى ولكنها لم تقل لى كلمة واحدة ولا حتى كلمة صباح الخير .. ولم أقترب منها وجريت إلى أخى صائحة :

- أين تذهب زوجتك ..

وقال ورأسه منهار وعيناه تكادان تنطلقان بالدموع :

- ذهبت إلى فوزية ..

وقلت أتعجله ليفصح لى :

- متى تعود .. لقد خرجت وهى تحمل حقائبها ..

وقال كأنه يبكى :

- قد لا تعود ..

وصحت فى دهشة :

- لماذا لا تعود ..

وقال أخى وهو منهار :

- طلبت الطلاق ..

وصرخت :

- هل طلقتها ..

وقال وهو ساهم :

- لقد طلبت منها مهلة لأفكر ..

ثم انهار أخى راقداً على وجهه كأنه يبكى ولو أنى عندما جلست بجانبه أربت على كتفيه وجدته لا يبكى ولكنه فى حالة انهيار .. وبدأت أحس بالغيظ والغل يهرسان أعصابى .. كيف تتجرأ هذه المرأة على طلب الطلاق من أخى قبل أن يمر شهر ونصف الشهر على زواجهما .. أخذت أخى كأنها تتذوق طعمه

وعندما لم يعجبها طعمه تلقى به فى الشارع تحت أقدامها .. إن أخى يجب أن يعتز بشخصيته .. يجب أن يكون هو الذى يتحكم ويبقى عليها أو يلقيها .. كيف تكون هذه الأمريكية هى صاحبة الحق فى التحكم .. كل أمريكا بجلالة قدرها ليس لها الحق أن تتحكم فى أخى .. ولكن أخى منهار .. إنه يصدم بصدمة أخرى من صدمات الفشل .. لقد عاش الفشل طول حياته وقد يقضى عليه هذا الفشل الأخير .. لا .. لن يطلق روزالين .. وأحسست أنى لا أريد الطلاق لأنى أتخيل سعادة أخى معها ولكن لأنى لا أريد أن تفرض عليه إرادتها .. سيعود بها إلى البيت ويبقى معها شهوراً أو أكثر أو أقل ثم يكون هو الذى يفرض إرادته عليها .. هو الذى يطلقها ليست هى التى تطلقه .. ولكن .. كيف يستطيع أن يعود بها إلى البيت .. وفكرت .. وفكرت .. ثم تركت أخى وخرجت أجرى من البيت .. وبدلا من أن أذهب إلى الجامعة ذهبت إلى أبى فى مكتبه .. وفوجىء أبى بى حتى خيل إليه أن مصيبة قد وقعت لنا فإن أحداً منا لا يذهب أبداً إليه فى مكتبه .. ولكنك تعلم أنى أكثر إخوتى جرأة عليه وصراحة معه ، لذلك استطعت أن أتجرأ على الذهاب إليه فى مكتبه .. وقال أبى وقد صدمته المفاجأة :

– ماذا حدث ؟

وقلت وأنا أجلس على المقعد بجانبه قبل أن أحييه أو أستأذنه وأبتسم له ابتسامة تخفف عنه وقع المفاجأة :

– لا شىء .. ولكنها ليست مجرد زيارة ..

قال وقد بدأ يستريح :

– خيراً .. ماذا وراءك ؟

قلت وأنا أقرب وجهى منه وأنظر إليه فى استجداء :
– أخى عبد الوهاب فى أزمة .. ويجب أن ننقذه ..
قال وقد ازداد اطمئناناً وارتاح أكثر كأن أى موضوع لعبد الوهاب لا يهمه :
– إنه فى أزمة مستمرة .. ما هى آخر أزماته ؟
قلت كأنى أنعى عزيزاً :
– إن زوجته تطلب الطلاق وهو لا يحتمل الطلاق ..
قال فى حدة :
– ليطلقها أو لا يطلقها هذا لا دخل لى فيه ..
قلت بلهجة الاستجداء :
– حضرتك تعلم لماذا تريد زوجته الطلاق .. لأن حضرتك لم تعطها فصه للعمل معك .. وأنا واثقة أنها لو عملت فى مكتبك كسكرتيرة أو مترجمة أو مستشارة فستعدل عن طلب الطلاق . فما رأيك يا بابا لو وضعتها عندك فى أى وظيفة ..
وصاح بابا :
– مستحيل .. إن شكلها لا يريحنى ولا يطمئننى على أن أعهد إليها بأى عمل ..
وقلت وأنا أتظاهر بأنى أكاد أبكى :
– لقد رأيت عبد الوهاب بعد أن تركته زوجته .. إنه منهار انهياراً كاملاً .. لقد صدم بالفشل .. وحضرتك تعلم أنه كان دائماً فاشلاً .. وأخشى أن يقضى عليه هذا الفشل الجديد .. ثم إنى متأكدة أن هذا الزواج لن يستمر ولكننا لو عينا روزالين فى وظيفة فإننا نمد فى أجله فترة ثم يقع الطلاق بعد أن يكون عبد الوهاب أقوى على احتماله ..

واعتدل أبى فى جلسته وقال وكأنه يلقى علىّ محاضرة :

– يا ابنتى .. ما هو الزواج .. هو أن يستطيع رجل وامرأة أن يعطى كل منهما ما يريده الآخر .. لقد تزوجت أنا وأنا أريد من أمك أن تفتح لى بيتاً وأن تعد لى الطعام وأن تنجب لى الأطفال ، وكانت هى لا تريد إلا الستر والأمان والبيت والأمومة .. لهذا وفقنا فى الزواج واحتملتنى كثيراً واحتملتها .. أما عبد الوهاب وزوجته فلم يستطع كل منهما أن يحقق ما يريده الآخر .. لقد أخطأ منذ البداية فى فهم وتقدير كل منهما للآخر .. إن هذه الأمريكية تزوجته لأنها اعتقدت أنها تستطيع أن تستغل أباه .. تستغلنى .. وهو تزوجها لأنه يريد أن يكون كأخيه عبد السلام .. يتزوج أمريكية كما تزوج أخوه إنجليزية لعله يصل إلى تكوين نفسه ولكن الأمريكية لم تفتح له الأمل .. إنى خمنت هذا منذ اليوم الأول الذى سمعت فيه بهذا الزواج ولهذا يجب أن ينتهى هذا الزواج .. أن يقع الطلاق واليوم أفضل من الغد ..

وقلت له فى توسل :

– يا بابا افهمنى .. أنا لا أريد أن يستمر هذا الزواج ولكنى أريد أن يكون عبد الوهاب هو الذى يطلق وليست هى التى تطلقه .. هذا أشرف له وأشرف للعائلة .. وسمعة أخى من سمعة العائلة .. ستعود إليه الآن بعد أن تفرح بالعمل معك وأنا واثقة أنه بعد شهور وربما أسابيع سيطلقها عبد الوهاب .. هو الذى يطلقها .. وأنا أضمن لك هذا .. وبعد الطلاق ستطردها أنت طبعاً من العمل ..

وصاح أبى :

– لا يمكن .. مستحيل .. هـذا كلام نسوان ولعب عيال وأنا لا يمكـن أن ألوث نفــسى بمثل هـذه التــحــايلات .. وطلاق عـبد الوهاب اليـوم لا يمس العائـلة .. ما دخل العـائلة فى كل هذا.. إنى أريد أن يتـحمل عـبـد الوهاب نتائج المحـاولات التى يجـريهـا حتى لو فـشلت كل تجـاربه .. وهذه تجـربة فـشلت فلنتـركـه يبـحث عن تجـربة أخـرى .. هذا ما أتبـعـه نحـوكم جـميـعاً .. ولا أريد مـن أحد من العـائلة أن يثـير أمـامى هذا الموضــوع .. اتركــوه وحــده .. وهو وحـظه ولا أقــول هو وشطارته لأن نصيبى كان ابنـاً ليس شاطراً .. ومع السلامة .. أريد أن أتفرغ للعمل ..

وقالت نظيرة وهى تبدو وكأنها منهارة :

– وخرجت من عند أبى يائسة .. مغتاظة .. إنى لن أستطيع أسترد شرف أخى الذى حطمته هذه الأمريكية ..

ثم ألقت نظيـرة رأسـهـا بين ذراعـيهـا وبكت .. بكت فعـلا بدموع متشنجة ..

والواقع أنى أنا الآخر أصبحت مـغتاظاً من هذه المرأة .. لماذا تطلب هذه الأمـريكية الطـلاق ما دام زوجـها سـاكتـاً على كل ما تفعله لـتحقيق طموحـها .. ساكتـاً على شذوذها .. وقررت بينى وبين نفسى أن أذهب لملاقاة صديقتـها فوزية .. صديقتى فوزية ..

واستقبلتنى فوزية بابتسامة خبيثة قائلة :

– أين أنت .. إنى أعرف من أخذك منا ..

وقلت ضاحكاً :

– من ؟

وفوجئت بها تقول ساخرة وبصراحة :
– نظيرة ..
وبلعت ريقى الذى اهتز داخل حلقى من المفاجأة وقلت :
– من دراك .. كيف عرفت ؟
قالت ضاحكة :
– إنى أعرف كل شىء خصوصاً ما يخص أصدقائى ..
وقلت وهى تجلسنى على المقعد وقد قررت أن أكون صريحاً معها :
– على كل حال لا يهمنى أن أحتفظ بنظيرة سراً لنفسى .. والواقع أنى جئت إليك لموضوع يهم نظيرة .. لماذا تريد صديقتك أمينة الطلاق من عبد الوهاب ..
واستعملت اسم أمينة لمراضاة فوزية ..
واختفت ابتسامة فوزية واعتدلت فى جلستها قائلة :
– هذا ما يجب أن يتم ..
وقلت وأنا أغالى فى ادعاء الدهشة :
– لماذا .. لقد كان يطاوعها فى كل ما تريده .. كان يتركها لعملها .. ويتركها تبيت معك .. وتركها تسافر وحدها .. فماذا تريد أكثر من ذلك حتى تطلب الطلاق ..
وقالت فى لهجة جادة كأنها هى المسئولة :
– لقد جاءت أمينة إلى مصر وقررت أن تقيم فيها لأنها أحست فيها بالأمان .. والمرأة عندما تتزوج وهى تريد الأمان فإنها تبحث عن رجل قوى مكافح يجاهد حتى يضمن لها أنه يستطيع أن يصونها ويؤمنها على حياتها ومستقبلها .. لقد اعتقدت أمينة أن عبد الوهاب رجل قوى .. هكذا خيل إليها ربما

لتدينه .. ولكنها بعد أن بدأت تعيش معه اكتشفت أنه رجل عاجز عاطل يعيش أوهامه ولا يعيش الحياة .. وقد حاولت أن تقنعه بأن يعمل مع أبيه .. ولكنه لم يقتنع .. وحاولت هى أن تعمل مع أبيه لعله يلحق بها فلم تستطع .. وحاولت أكثر من ذلك .. حاولت أن تكون وسيطه لأبيه فى تحقيق مشروع ضخم ففشلت .. ووجدت نفسها ستعيش العمر كله مع هذا العاطل العاجز .. تعيش خائفة لا تستطيع الاطمئنان على حياتها ولا على أمنها ولا على متطلبات معيشتها .. فقررت أن تهرب من هذا الجو المخيف .. وأن تطلب الطلاق .. ولها حق .. إن السعادة الزوجية لا تتحقق للمرأة إلا مع زوج قوى مكافح عامل يحفر الصخور ليفتح أبواب المستقبل الزاهر ..

كانت تتكلم بحماس كأنها هى التى حرضتها على الطلاق ..

وقلت كأنى رافض كلامها :

– إن روزالين تعلم أن عبد الوهاب فى خلاف مع أبيه .. وقد قال لها إنه مستعد أن يسافر معها إلى أمريكا ويعمل هناك ويقيم مشروعاً ضخماً وأنه يستطيع أن يأخذ معه إلى هناك رأس المال الكافى .. فلماذا لا تستجيب لمشروعات زوجها وطباعه وأحلامه ..

وقالت فوزية فى حدة كأنها تشتم عبد الوهاب :

– إنه يعلم أن أمينة لا تريد أن تعود إلى أمريكا بل لم تعد تستطيع .. وقد سبق أن تقدم إليها خطاب كانت تعلم أن كلا منهم يريد أن يسافر معها إلى أمريكا ويحصل على الجنسية الأمريكية هناك بحكم الزواج من أمريكية .. فكانت ترفضهم فوراً .. ولكن خدعها عبد الوهاب ولم يقل لها شيئاً قبل

الزواج .. إن من طبيعته الصمت الطويل ، وكانت تعتقد أن صمته هو دليل عبقريته إلى أن خاب أملها فيه ..

وقلت كأنى أتحداها وأرد على اتهامها لعبد الوهاب باتهام روزالين :

– لقد قيل إنها تزوجته لأنها كانت طامعة فى أموال أبيه الحاج عبد الغفور ..

وصاحت فوزية :

– إنه ليس طمعاً ولكنها حاولت أن تعيش بالحق الذى يكفله لها الواقع .. إن أموال عبد الغفور هى أموال ابنه عبد الوهاب وبالتالى أموال زوجة ابنه .. ومن حق ابنه وحق زوجته أن يتدخلا فى كل هذه الأموال ويفهما كل قرش فيها حتى يستطيعا الاستمرار من بعده .. إن هذه الأموال والمصانع والشركات ستكون لهما ولأولادهما من بعد وفاة الحاج .. فكيف لا يعيشان ويعملان فيها حتى يضمنا المستقبل ، وحتى يخلد اسم عبد الغفور بعد موته واسم شركاته ومصانعه بل واسم أمواله .. هذا ليس طمعاً ولكنها مسئولية .. مسئولية الوراثة .. ولكنها لم تستطع أن تحس بهذه المسئولية .. زوجها لا يعمل وهى لا تستطيع أن تعمل ..

كانت تتكلم بحماس صارخ عن روزالين دفاعاً عنها ..

وقلت وأنا فى يأس :

– هل هناك أمل فى أن تعود إليه ..

وقالت فى حدة كأنها هى التى اتخذت القرار :

– لا .. لن تعود وأنا لا أتمنى لها أن تعود ..

وسمعت المفتاح يدور فى قفل باب الدخول ودخلت روزالين .. ونظرت إليها كأنى أنظر إلى إنسانة أخرى .. ليست

الإنسانة الغريبة الشاذة إنما أراها إنسانة قاسية تحقق طموحها بقسوتها .. وقلت لها بعد أن صافحتها باللغة الإنجليزية كأنى لا أريد أن أسمعها وهى تتكلم بلهجتها العربية المكسرة :

– هل أستطيع أن أتحدث إليك ؟

وقالت وهى تصافحنى ببرود وبالإنجليزية أيضاً :

– إذا كنت ستحدثنى عن الطلاق الذى أريده من عبد الوهاب فلا داع ..

قلت وأنا أتعمد أن انظر إليها فى احتقار :

– فعلا .. إنى أريد أن أحدثك عن هذا الطلاق الذى تريدينه..

وقالت بعصبية :

– إذن .. لا داع ..

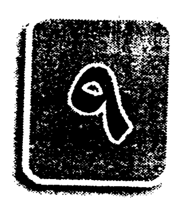
وتركتنى دون أن تودعنى بكلمة وجرت إلى داخل البيت وفوزية تنظر إلىَّ كأنها شامتة فى خيبة أملى ..

وخرجت وأنا مقتنع بأن عبد الوهاب يجب أن يطلق فعلا دون البحث عن الأسباب .. لأن هذه المرأة لا تستحق الزواج .. والسؤال القديم عاد يتردد فى رأسى .. ترى ما الذى يجمع بين روزالين وفوزية ويربط الواحدة بالأخرى كل هذا الرباط.. إن كلاماً كثيراً يتردد حول علاقتهما .. امرأتان فى حالة حب إحداهما بالأخرى .. ورغم ذلك فإنى لا أستطيع أن أصدق ..

وقد نقلت كل ما جرى من كلام بينى وبين فوزية إلى نظيرة .. وقالت نظيرة فى غل وغيظ بعد أن بقيت صامتة طويلاً :

– لك حق .. سأحرض أخى على توقيع الطلاق .. إن هذا الزواج يعيبه ويعيب العائلة أكثر مما يعيبنا الطلاق حتى لو كان بناء على طلبها ..

وتم الطلاق ..



أصبحت نظيرة منذ تم طلاق أخيها من زوجته الأمريكية وهى فى حالة شاذة .. إنها تبدو فى حالة عصبية عنيفة دائمة .. وهى تجلس معى ساهمة أحيانا .. وأحيانا تتكلم كلاماً غريباً كأنها ثائرة علىّ .. كأنها أصبحت تخافنى أو تشك فى .. أو كأنها أصبحت تعتبر نفسها ضحية لى .. كأنها تحس أنها أصبحت تعطينى دون أن أستحق العطاء .. دون أن يحقق عطاؤها أى مستقبل لها .. بل إنها تغيرت حتى فى تصرفاتها .. فيأتى يوم لا تعد لى طعام الغداء كما عودتنى ثم فى يوم آخر تعده وكأنها عادت كما كانت .. وأحياناً كنت أطلب منها ونحن جالسان إلى المكتب .. هى تذاكر وأنا أعمل فى مشروعاتى .. أطلب منها أن تعد لى فنجان قهوة كما عودتنى .. فترد بسرعة :

– آسفه يا حسين .. أعد قهوتك لنفسك .. إنى تعبانة ..

وأقوم صاغراً لأعد القهوة لنفسى .. وحتى قبلاتها .. إنها أحياناً تقبلنى قبلة بكل إحساسها وكل حلاوتها .. وأحيانا

تعطينى شفتيها دون أن تقبلنى .. وحتى وهى تذاكر .. إنها لا تلقى نفسها بين الكتب فى حماس ومرح كما كانت دائماً .. إنى ألاحظ أنها تفتح الكتب وتسرح بعيدا عنها .. وكانت أحيانا تغلق الكتاب وتعتذر لى بأنها تريد أن ترى والدتها ثم تغلق الكتاب وتخرج والساعة لم تصل إلى الخامسة بعد أن كانت لا تتركنى قبل الثامنة .. وقد قلت لها مرة :

– ماذا بك .. إنك لست طبيعية ..

وقالت فى صوت ضعيف :

– ليس بى شىء ..

وقلت مشفقاً عليها :

– إنك متغيرة وكأنك تعانين شيئاً تخفينه علىّ ..

وقالت فى حدة وهى تنظر إلىّ ثائرة :

– لا .. أبداً .. إنى على طبيعتى فإما أن تتحمل هذه الطبيعة أو لا تتحملها ..

وسكت وأنا متأكد أنها ليست فى حالة طبيعية .. ولم أكن دائماً أسكت .. كنت أحياناً أجادلها فى عنف يصل إلى حد كأننا نتشاجر إلى أن كان يوم واتصلت بى نظيرة فى التليفون وقالت لى إنها لن تستطيع أن تأتى إلى الشقة لأنها مريضة بالانفلونزا ..

ولم أصدقها .. لا شك أنها تدعى المرض لأنها لا تريد أن ترانى واحترت ماذا أفعل .. ولم أفعل شيئاً .. وكانت كل يوم تتصل بى بالتليفون ومهما ألححت عليها فهى مصرة على أنها مريضة .. ومر أكثر من أسبوع وهى مصرة على أن تكون مريضة ..

وعدت أتردد على نادى الجزيرة كل يوم بعد الظهر وبعد أن تحادثنى نظيرة فى التليفون ، وفوجئت فى أحد الأيام بصديقى طبيب الأسنان الدكتور عطا الله ومعه روزالين .. ودهشت .. ووقفت مذهولاً .. ما الذى جمع الدكتور عطا الله بروزالين .. ولم تكن روزالين ترتدى الثوب الإسلامى الذى ينسدل حتى يغطى قدميها ولا يكشف عن ذراعيها .. إنه الثوب الذى عادت به بعد سفرها إلى أمريكا والذى يرتفع إلى تحت ركبتها ويكشف عن ذراعيها وإن كان يغطى كتفيها .. إنها لم تعد إلى التطرف فى المظاهر الإسلامية ..

ونادانى الدكتور عطا الله وبعد أن تصافحنا قدمنى إلى روزالين فى زهو كأنه يتفاخر :

– الدكتورة أمينة ..

ثم قال بعد أن رآنى أبحلق فيها وأنا أصافحها :

– إنها دكتورة أمريكية مسلمة ..

وقلت وأنا أبتسم له ولها ابتسامة مفتعلة :

– لقد سبق أن التقينا وتعارفنا ..

وقال الدكتور عطا الله كأنه تذكر شيئاً حرمه من لذة المفاخرة ومفاجآتى بصديقته الأمريكية :

– صحيح .. لقد كانت زوجة لصديقك عبد الوهاب عبد الغفور ..

ثم استطرد مبتسماً ابتسامة ساخرة :

– ابن الحاج عبد الغفور البرعى مليونير وكالة البلح ..

وتوقف كأنه يتمتع بسخريته ثم استطرد قائلا :

– لقد حكت لى الدكتورة أمينة كل حياتها .. ولا شك أنك

تعلم أنها دكتورة متخصصة فى علاج اللثة .. وهى تعمل الآن معى فى عيادتى ..

وقلت هامساً فى دهشة :

– هل حصلت على إذن بممارسة الطب فى مصر ..

وقال الدكتور عطا الله وهو ينظر إلىّ كأنه يلومنى على هذا السؤال :

– إن من حقى أن أختار المساعدين فى العيادة .. وهى تساعدنى .. وقد استطاعت فى أيام قلائل أن تكسب ثقة كل مرضاى من المترددين .. بل أصبح هناك زبائن لا يأتون إلى العيادة إلا لها ..

ولم يطل الحديث بيننا الذى لم تشترك فيه روزالين ولا بكلمة واحدة .. هذه هى كما عرفتها .. لا تتكلم أبداً إلا إذا كانت وراء مشروع يتطلب منها الكلام .. وقد تركتهما منصرفاً وأنا فى دهشة من هذه السيدة .. إنها لا تكف عن المحاولة حتى لو فشلت .. وكانت آخر محاولة لها أن تكون سيدة أعمال عن طريق استغلال عبد الوهاب وأبيه الحاج عبد الغفور .. وفشلت .. وهى الآن تحاول أن تحترف ممارسة الطب عن طريق صديقها الجديد الدكتور عطا الله .. ومن يدرى .. لعلها تتزوجه هو الآخر .. وقد كان عبد الوهاب صادقاً فى حكمه على الفتاة الأوربية والأمريكية .. إنها لا تكف أبداً عن محاولة استكمال شخصيتها والاعتماد على نفسها واستغلال ذكائها .. ولا شك أن نظيرة ستدهش عندما تسمع هذه الأخبار الجديدة ..

ولكن نظيرة لم تحادثنى فى التليفون ..

مر يوم .. ويومان .. وثلاثة .. وأربعة .. وهى لا تتحدث .. وأنا أكاد أجن .. وقد حاولت أن أتصل بها أنا فى التليفون فلم أستطع .. إنى كلما اتصلت بها فى تليفون البيت يقولون لى أنها ليست موجودة وكنت أتعمد أن أقول اسمى لمن يرد من أفراد العائلة كأنى أتعمد أن أصارح بعلاقتنا وأفضحها .. وكنت أذهب كل يوم وأقف أمام باب الجامعة الأمريكية لعلى أراها خارجة .. ولكنى لم أرها أبداً .. والجنون يكاد يعصف بى .. كيف تتصرف مع هذا التصرف .. حتى لو كانت قد قررت أن تنهى علاقتنا فكان يجب أن تقول لى وأنا نتفق معاً لا أن تطردنى كالكلب الذى ضاقت به .. وكنت أقضى كل أوقات فراغى .. كل النهار وكل الليل .. وأنا أطوف فى الشوارع وحول العمارة التى تقيم فيها كأنى أبحث عنها .. إنى أبحث عنها فعلا ..

وفى صباح اليوم الخامس فوجئت بنظيرة تتصل بى بالتليفون وتقول فى صوت سريع كأنه لم يحدث بيننا ما يستحق الكلام :

– حسين .. سأكون هناك اليوم .. فى بيتنا .. مع السلامة وإلى اللقاء ..

وألقت سماعة التليفون فى وجهى دون أن تنتظر ردى عليها .. وتركتنى ساعات وأنا أعانى غيظى وتوتر أعصابى .. وكنت فى الشقة قبل أن تأتى بساعات إلى أن سمعت قفل الباب يتحرك ..

ودخلت .. يبدو عليها أنها متوترة الأعصاب .. وقبّلتنى قبلة سريعة على خدى ثم ألقت نفسها على المقعد .. وقلت لها وأنا واقف فى مواجهتها وعيناى تنطقان بالغيظ :

– أين كنت ؟
ونظرت نظيرة إلىّ وهى تبتسم ابتسامة مسكينة وقالت فى رجاء :
– حسين .. اجلس واهدأ ..
وجلست وأنا أحاول أن أبتسم لها ابتسامة ساخرة كأنى أتعمد أن أشعرها بأنى لا أبالى وقلت :
– جلست .. ماذا ستقولين ..
وسكتت برهة وهى تتنهد كأنها تزفر آلامها ثم قالت فى صوت خفيض :
– حسين .. سأتزوج ..
وصحت فى فزع :
– تتزوجين من ؟
وقالت وهى تبتسم ابتسامة ضعيفة وتنظر إلىّ ثم تعود وتبعد نظراتها عنى :
– أنت طبعاً ..
واسترحت بمجرد أن قالت هذه الكلمة وتنهدت كأنى أطلق أنفاسى حمداً لله ، ثم عدت أقول فى دهشة :
– لماذا .. لقد كنت ترفضين الزواج ..
قالت فى هدوء دون أن تنظر إلىّ :
– لأنى قررت الزواج .. سنتزوج حتى قبل أن أنتهى من الجامعة ..
وقلت وأنا أستعيد كل غرورى وثقتى بنفسى :
– ما الذى دفعك إلى هذا القرار .. رغم أنى الح عليك منذ شهور .. وبعد أن ابتعدت عنى كل هذه الأيام وادعيت المرض .. ثم انقطعت حتى عن محادثتى فى التليفون ..

والقت راسها بين كفيها برهة ثم رفعته وقالت وهى تتكلم بصوت خفيض هادىء وتنظر إلىّ بكل عينيها :

– حسين .. أنت تعرف عقدتى .. العقدة التى أعانيها طول حياتى .. العقدة التى بذرت فى نفسيتى لأنى ابنة الحاج عبد الغفور المليونير .. ثم كان طلاق أخى من روزالين .. إن الطلاق وقع كاثر للعقدة التى نعانيها كلنا .. العقدة التى تحطم كل زيجاتنا حتى لو كان أخى قد تزوج من امريكية .. وحطمنى طلاق أخى .. اشتد ضغط عقدتى على نفسيتى حتى نقلتنى إلى هاوية اليأس .. لن اتزوج أبدا .. أختى الكبيرة تزوجت وفشلت فى زواجها بسبب العقدة التى بذرها أبى .. وأختى الثانية طلقت وتعذبت لنفس السبب .. وأختى الثالثة نفيسة تنازلت عن كل شخصيتها هى وزوجها وعاشا زواجهما عبدين خادمين لأبى .. وأخى الأكبر هاجر إلى انجلترا هرباً من عقدته النفسية وربما لا تعلم زوجته هناك أى شىء عن أبيه .. وها هو أخى الأصغر اضطر أن يطلق وهو يتعذب رغم أنه تزوج أمريكية .. وربما اختارها أمريكية ظناً منه أن عقدة أبى لن تؤثر على زواجه بها كما لو تزوج مصرية .. وأنا .. ما الذى يميزنى عن إخوتى .. وأنت ما الذى يميزك عن بقية الأزواج .. وأحسست كان صراخاً حاداً ينطلق فى صدرى .. لا .. لن أتزوج أبدا .. لو أنهيت دراستى وكونت شخصية خاصة بى فلن أتخلص أبدا من شخصية أبى .. لن أتخلص من العقدة .. وإذا تزوجت فساتعذب وأطلق حتى لو تزوجتك أنت .. ولكنى كنت أعود ويهدأ الصراخ فى صدرى وأحس كانى إذا استسلمت لعقدتى ولم أتزوج فكانى أضحى بنفسى وأحرم نفسى من طبيعة

الحياة لمجرد خوفى من أوهام .. ثم كيف أعيش إذا لم أتزوج .. هل أعيش عشيقة لك .. لا .. إنى لا أرضى أن أعيش محرومة .. بل كانت تمر علىّ لحظات أجد نفسى مقتنعة بالكلام الذى قالته لك صديقتك فوزية .. لماذا لا نعيش أنا وزوجى فى ثراء أبى حتى لو كان بخيلا كما يقولون عنه .. إن كل ما يملكه من حقى ومن أملاكى .. بل إن ثراء أبى يضفى على أولاده وعلىّ أنا نوعاً من الجمال .. لولا هذا الثراء لما كنت أعيش هذه الحياة التى أعيشها والتى تجعلنى أجمل من كل البنات .. ولأعتز وأفخر وأتباهى بأنى ابنة عبد الغفور البرعى التى يجرى وراءها كل الشبان حتى لو كانوا طامعين فى ثراء أبيها .. ولأقدم على التجربة دون خوف .. لأتزوج .. حتى لو فشلت فإن الفشل أرحم من الهرب .. والاستسلام أرحم من الحرمان .. كان كل هذا يدور فى خاطرى ثم لا يلبث الصراخ أن يعود ويرتفع فى صدرى .. لا .. لن أتزوج .. وقد قضيت هذه الأيام وأنا معذبة بحيرتى بين عقدتى ووحدتى .. ولعلك لاحظت أنى كنت آتى إليك وأنا فى حالة عصبية تشتد ساعة وتخف ساعة .. إلى أن وجدت نفسى أحاول أن أبتعد عنك فادعيت المرض ثم هربت منك وتعمدت ألا أحادثك فى التليفون ولا أترك لك وسيلة للوصول إلىّ .. وكنت أتعذب واشتد عذابى إلى أن هدأ .. كأنه بركان أطلق حممه ثم استراح منها .. ووجدت نفسى أتخذ قراراً نهائياً كاملاً هادئاً بأن نتزوج ..

وقلت كأنى ألومها :

– كنت أعتقد أن الحب هو الذى يدفعك إلى الزواج وليس الهرب من عقدتك ..

وقالت وهى تميل نحوى وعيناها تقطران الحب :
– إن الحب هو الذى انتصر على عقدتى .. لولا حبك لما تعذبت كل هذا العذاب بأعاصير نفسيتى ..

وسكت ساهماً .. ووجدت نفسى أفكر فى الزواج كأنى متردد وكأنى لم أكن أتمنى هذا الزواج ولم يسبق أن ألححت عليها أن تتزوجنى .. وبسرعة تخلصت من هذا التردد .. إنى أحبها .. وأحبها كزوجة ..

وأمسكت بيدها بين يدى وقلت وأنا أحس بكل كلمة تصدر من كل قلبى :
– نظيرة .. إن كل ما كنت أقوله لك عن أبيك هو واقع أعيش فيه أنا أيضاً وأصابنى بعقدة نفسية .. إنى لا أحب أن يقول الناس أنى تزوجتك طمعاً فى ثراء أبيك .. ولا أسمح بأن يشعر هو نفسه بأنى أتزوجك بتأثير شخصيته وثرائه .. ولذلك عرضت عليك أن نتزوج دون أن نقول له أو نستأذنه وننتظر موافقته وبعد أن يعلم بزواجنا فليتصرف كما يريد حتى لو طردك وحرمك من الميراث .. وأنا ما زلت مصراً على ذلك ..

وقالت نظيرة وهى تبتسم وأصابعها تقفز فوق أصابعى وتضغط عليها :
– لا .. يجب أن نكون أقوى من أبى ونواجهه بحقيقتنا وسنتزوج سواء وافق أو لم يوافق ، وإن كنت واثقة من أنه سيوافق على زواجنا ..

قلت :
– وما أدراك ..

قالت وابتسامتها تتسع :

- هذه هى طبيعته .. إنه يترك كل بناته وأولاده يخطو كل منهم فى حياته الخطوات التى يريدها .. يترك كلاً منهم حراً ما دام ليس فى حريته ما يمسه أو يمس العائلة .. إنه يؤمن بأن الحياة تجارب فليجرب كل منهم حياته .. وهو سيعلم أنى أريد أن أتزوجك وإن كنت لا أعتبر زواجنا مجرد تجربة .. أبداً لا أنا ولا أنت يجرب كل منا زواجه بالآخر ..

وعدت أحس بالتردد ولكن نظيرة أقوى علىّ من ترددى وقلت بعد برهة صمت :

- إذا كان أبوك يجب أن يعلم فليعلم أن زواجنا لن يكون عادياً كزواج بقية الناس .. إنى مثلا لن أدفع له مهراً فإنى لا أحب أن أحس بأنى كأنى أضع نقودى فى بنك وأنتظر الأرباح من أموال أبيك .. ونظير ذلك لن أقبل منه أن يشترى لنا أى شىء لتجهيز بيتنا كما هى العادة ..

وصاحت نظيرة فى فرح :

- موافقة ..

وقلت فى صوت جاد كأنى أفرض إرادتى :

- وليعلم بابا أنى حتى لن أشترى شبكة ليقدر بها قيمة ثروتى ولتتباهى بها ماما وإخوتك أمام صديقاتهن .. وأنت تعلمين أنى لست بخيلا .. وتستطيعين أن تعتبرى أى هدية سبق أن أهديتها لك كأنها الشبكة .. إنى أريد أن أحس بأن زواجنا ليس مناسبة لتقديم هدية ولكنه استمرار لحبنا الذى نعيش فيه .. وكل ما معى سيكون معك نخصصه لمشروعنا الجديد وأنا واثق أنك لن تستغلى ما نملكه خارج المشروع إلا وأنت مطمئنة على المشروع نفسه .. إنه المشروع الذى كان لك

أنت الفضل فى أن أفكر فيه ..

وقفزت نظيرة تقبلنى قبلة سريعة وهى تقول :

– موافقة ..

وقلت وأنا أكثر غروراً بنفسى :

– ولن أبحث عن شقة لنقيم فيها بعد زواجنا .. ولن أقبل من أبيك أن يخصص لنا شقة فى إحدى عماراته أو يشترى أو يستأجر لنا شقة .. سنقيم فى هذه الشقة .. صحيح أنها قديمة وفى شارع مزدحم وفى وسط البلد .. إنه ليس شارعاً إنه حارة .. ولكنها الشقة التى التقينا فيها ونما حبنا بين جدرانها .. ونحن نعيش الحب حتى بعد الزواج .. ولا تنس أن ليس لدينا فى هذه الشقة إلا غرفة نوم واحدة ومعنى هذا أننا يجب أن نحرم أنفسنا من الأولاد حتى نستطيع بعد أن ننجح أن نجد بنجاحنا شقة أخرى ..

وهللت نظيرة :

– موافقة .. إنى لا أريد أن يكون لى أولاد إلا بعد أن أنتهى من الجامعة .. إنك موافق على استمرارى فى دراستى ..

قلت وأنا فرح بها :

– طبعاً .. مشروعاتنا فى حاجة إلى أن تنمى دراستك .. وأنا لست فى حاجة الآن إلى أن أكون أباً حتى أحتفظ بشبابى ..

وقالت وهى تقبلنى هذه القبلة السريعة :

– إنه شباب دائم ما دمنا معاً .. شبابك وشبابى ..

وشددتها إلىّ واستعدتها إلى صدرى وقبلتها قبلة تكاد لا تنتهى إلى أن شدت شفتيها المكتنزتين اللتين أحبهما من بين

شفتيّ .. وقالت وهي تلقي نفسها على مقعدها :

-متى ستقابل بابا ؟

وصمت في حدة كأني غضبت :

– لن أقابله .. لا أريد أن أحس أمامه بأني شحاذ جاء يشحذ منه ابنته .. ماذا أقول له .. هل أقول إني أريد أن أتزوج ابنته دون أن أدفع ولا مليم ولا حتى أن نقيم حفل زفاف لأن الحب هو زفاف خاص لا يحتاج إلى حفل يشهده الناس .. إني لن أقابل أباك ولن يرى وجهي أو أرى وجهه إلا بعد أن يوافق فعلا على زواجنا وأذهب إليه كما أذهب إلى المأذون ..

وقالت : نظيرة كأنها تحادث نفسها وكأنها لا تدهش من أي كلام لي :

– سأعتمد على ماما لتبدأ الكلام مع بابا ..

وقد مرت أكثر من عشرة أيام ونظيرة تروي لي في كل يوم ما يدور في البيت من أحاديث .. إن أمها وافقت وأباها لا يزال يفكر ويبحث .. وكنا خلال هذه الأيام في قمة السعادة .. نضحك ونمرح ونعمل .. ونظيرة تعطيني أكثر حتى أني في لحظة من اللحظات التي رفعتني إلى قمة النشوة حاولت أن تكون هذه هي ساعة الدخلة .. ولكن نظيرة بمرحها استطاعت أن تهرب مني .. إنها بإيمانها ومعتقداتها لا تزال مصرة على ألا تكون الدخلة إلا بعد كتب الكتاب ..

إلى أن ذهبت يوماً إلى الشقة ووجدت نظيرة قد سبقتني إلى هناك وما كادت تراني حتى أطلقت زغرودة عالية .. زغرودة بلدي .. وأنا واقف أمامها مذهولاً أحس كأني أريد أن ألتقط لسانها الذي يرقص داخل فمها المفتوح وهي تزغرد ..

وقالت ضاحكة بعد أن انتهت الزغرودة :

- إنى أزغـرد للعريس .. لقـد وافق بابا .. وهو فى انتظارك غداً ..

قلت فرحاً وكأن الفرحة تزغرد فى داخلى أنا الآخر :

- وسنكتب الكتاب ..

قالت ضاحكة :

- حرام عليك .. دعه يراك ويعرفك أولاً ولو ليوم واحد ..

قلت وأنا أميل عليها وأحتضنها وأضمها إلى صدرى بقوة :

- المهم لقد وصلنا وانتهينا وتزوجنا ..

وقالـت وهى تنزع نفســها من بين أحـضانى وتجـرى إلى غرفة النوم مع ضحكتها :

- هذا بعدك .. سنـنتظر كتب الكتـاب .. وأمامنا أيام .. والله حرام .. حرام أن ننتظر ولو أياماً ..

ثم وقفت تقبلنى ونحن واقفان بجانب الفراش ثم عادت إلى غرفة المكتب قائلة من خلال ضحكتها :

- دق الجرس .. لنبدأ المذاكرة ..

●●●

وذهبت فى اليوم التالى للقاء الحاج عبد الغفور البرعى وقد تعمدت أن أكـون فى حالة رسمية مـرتدياً حلتى الكاملة وجاداً متـجهمـاً فى كل تحركاتى ، ولكنه اسـتقبلنى بتـرحاب كبـير وابتسامة تلمع عن شفتيه وتكلم قبل أن أتكلم قائلا :

- لقد سمعت عنك كل ما يطمئنى بل كل ما يشرفنى لنكون عـائلة واحدة .. إن الزواج الذى أتمـناه لبناتى هو الزواج الذى يقـوم على أن يحـقق كل من الزوجيـن ما يريده الآخـر .. وأنا

واثق أنك ستحقق لنظيرة كل ما تريده منك .. إنها صغرى بناتى وأعزهن لدىّ وأعتقد أنها أذكاهن .. وعلى بركة الله ..

قلت وأنا لا أزال فى حالتى الرسمية :

– وفقنا الله ببركة دعواتك ..

وقال ضاحكاً وترن ضحكته فى أذنى كأنها ضحكة نظيرة :

– هل تريد أن تعرف أكثر ما أعجبنى فيك .. إنه ما قالوه لى أنك لا تريد حفل زفاف ..

قلت وأنا جاد :

– إنى لست مقتنعاً بحفلات الزفاف .. يكفى أفراد العائلتين كشهود ..

واستمر الحديث بيننا إلى أن تحررت قليلاً من إحساسى بصفتى الرسمية ثم قال لى ، ولا أدرى هل كان يختبرنى أم كان صادقاً :

– هل تفضل التفرغ للعمل فى الشركة الهندسية التى تعمل بها .. إنى فى حاجة إلى مهندس ..

قلت كأنى أتباهى أمامه :

– إنى لست متفرغاً للعمل فى الشركة .. إنى أعد مشروعاً خاصاً ..

وقال فى حماس كأى رجل أعمال :

– أى مشروع ؟

قلت وأنا لا زلت متباهياً :

– إنى على وشك أن أنتهى من رسم وإعداد بناء عمارة كبيرة .. اثنان وثلاثون من الأدوار .. وسأبيعها قبل أن أبدأ فى بنائها .. وأقنعت الشركة التى أعمل بها أن تشترك فى

المشروع .. وأنا كبير الأمل فى أن أجد المشترين ..

وقال فى حماس :

– سأشترى فى عمارتك عدداً من الأدوار ..

وقلت وأنا أتعمد أن أثبت له أنى فى غنى عنه :

– آسف .. لا أنا ولا زوجتى نظيرة سيكون لنا شىء فى هذه العمارة .. أفضل أن نكون أصحاب مشروعات لا ملاكاً ..

وقال كأنه دهش منى :

– ليست زوجتك التى تشترى .. أنا الذى أشترى ..

قلت كأنى أصدمه :

– إنك والد زوجتى .. أفضل ألا أعرض العائلة للمجازفة فى مشروع لم يتم بعد ..

قلتها كأنى أقول له إنى أرفض أمواله ..

ونظر إلىّ ساكتاً فى إعجاب واحترام كأنه تأكد أنى لا أتزوج ابنته طمعاً فى ماله وثرائه ..

وقد تم الزواج بعد أكثر من شهر فقد كانت نظيرة مصممة على أن تصنع ثوب العرس لنفسها .. وأن تعد استقبالاً خاصاً لعائلتى ساعة كتب الكتاب ، وأن تلتقط لنا صوراً فوتغرافية .. إن أكثر ما أعتز به هو هذه الصورة الفوتغرافية لنا نحن الاثنين وهى بثوب الزفاف وأنا أبدو رشيقاً فى حلتى التى أعددتها خصيصاً لهذه الساعة بعد إلحاح نظيرة ..

●●●

لقد مضى على زواجنا ثلاث سنوات ونحن فى قمة السعادة .. ونحن تقريباً متباعدان عن عائلتها وعائلتى وإن كان كل أفراد العائلتين معجبين بنا ، وأشدهم إعجاباً الحاج

عبد الغفور .. إنه يعرف أنى أقوى من أن أحتاج إليه .. ونقيم فى نفس الشقة القديمة ولو أننا بدأنا نبحث عن شقة أخرى واسعة لننجب أولادنا بعد أن نجح مشروع بناء العمارة وبدأت أعد لبناء عمارة أخرى .. ونظيرة تخرجت فى الجامعة الأمريكية وألححت عليها بأن تتفرغ للعمل معى إنى أعتمد عليها اعتماداً كاملاً فى كثير من الأبحاث والاتصالات التى أحتاج إليها .. وهى تبذل كل جهدها فى معاونتى وإن كانت لا تزال تحتفظ بما أحبه فيها وهى طبيعتها المتأصلة كامرأة بلدى ..

لا يثير الحساسية بيننا إلا عندما نتحدث أحياناً وفى فترات متباعدة عن الميراث .. ميراثها من أبيها الحاج عبد الغفور ..

إن نظيرة سترث إرثاً هائلاً يكفى لتغطية مشروعات ضخمة ..

ولكننا كلما تعرضنا لهذا الموضوع ننهيه بنكتة ..

ونضحك ..

وتذوب ضحكتى وأنا أفكر فى المشاريع الضخمة التى يمكن أن نحققها بعد أن ترث زوجتى نظيرة أباها الحاج عبد الغفور ..

الدراسة الأدبية والنقدية
لقصة إحسان عبد القدوس
(لن أعيش فى جلباب أبى)

الأدب صورة صادقة حية للحياة حيث ينقل ملامحها وعواطفها ويصور سلبياتها وإيجابياتها ويعرض آمالها وأحلامها وطموحها وأحزانها ونظراتها في محاولة جادة لرسم المجتمع المثالى لأفراد أمته بما يناسب ظروفها البيئية فالأدب يمثل الحياة وانطباعها الداخلى والخارجي لأنه تعبير عنها وانعكاس لها عبر الألوان الفنية المختلفة المتجسدة فى الشكل ، والصوت ،واللون ، واللفظ والتى تخضع بدورها لقانون تنظيمى يرمى إلى تقدير درجة الإجادة أو الإخفاق وتعليل الأسباب وربطها بالمسببات من خلال دراسة اللون الفنى المترجم لمجتمعه والراصد لطبيعة ذوقه ويتمثل هذا القانون التقعيدى التنظيمى فى النقد الذى يرمى إلى الارتفاع بالأداء الفنى فالأدب ترجمة وصورة وانعكاس للحياة والنقد تحليل وتعليل وحكم عليه بالنجاح أو الإخفاق من خلال قوانين فنية وقواعد جمالية نابعة من وحى البيئة .

ومما سبق يتبين أن الأدب والنقد الأدبى صنوان الأدب تسجيل وتصوير لرؤية والنقد تقدير وتقييم وتقويم لكيفية التصوير والتسجيل وكشف لأسباب الإجادة أو التقصير مما يؤدى إلى التجديد والتطوير الأدبى فالنقد عين ساهرة فاحصة لنتاج الأدب وبهذا لا يوجد أدب فى أمة بدون نقد ولا نقد بدون أدب فالأدب نداء وإشباع للاحتياجات والمطالب الإنسانية والنقد استجابة فعالة وإيجابية للاستمرار والإضافة

التجديدية من أجل الوصول إلى الإبداع الأدبى فى صورة فنية واعية يرتبط قانونها النقدى بطبيعةالأثر الأدبى فالمقال له أدوات وقواعد نقدية تختلف عن عناصر نقد المسرحية مثلاً ... الخ كما أن نقد موضوع وجدانى يختلف عن نقد موضوع أجتماعى وهكذا فلكل قضية مقاييس وأصول ومتطلبات وسوف يتجلى هذا - بإذن الله - فى الدراسة الأدبية والنقدية لقصة إحسان عبد القدوس **(لن أعيش فى جلباب أبى)** من خلال المحاور الفنية البنائية الآتية:

واقعية الحدث وأبعاده :

صور الحدث فى قصة **(لن أعيش فى جلباب أبى)** قضية أجتماعية يكمن معيارها فى المحور الأساسى الذى شكل سلوكيات الأبطال وتكوينيهم النفسى وهو الحاج **(عبد الغفور البرعى)** وقد بدأ القاص كشف طبيعة الموضوع وفكرة الحدث من قوله :

(وعبد الوهاب منذ كان معنا فى المدرسة الأبتدائية وهو مشهور حتى اليوم بأنه ابن الحاج عبد الغفور البرعى ولم يكن عبد الوهاب سعيدا ابدأ بهذه الشهرة ، وكان يتعمد ألا يتحدث عن أبيه ويهرب من أى سؤال يوجه إليه عن أبيه كأنه يستعر منه وذلك رغم أنى أعتبر أباه الحاج عبد الغفور معجزة خارقة من معجزات الزمن إنه لا أحد يعلم شيئا عن أصله وفصله ، ولم يعرف عنه أنه من المعجزات المثقفة ، بل قيل عنه إنه لم يدخل مدرسة فى حياته وأنه الآن لا يجيد القراءة والكتابة - وهو إلى الآن

يرتدى بين الناس الجلبـاب الواسع وفـوق رأسـه لبـدة ملفوفة داخل لفافة ملونه تفرقها عن لفافة العمه وعبد الغفـور بدأ كمـايحكى عنـه عـاملاً فى مـخزن من مـخازن وكـالة البلح ينقل على كتفيه قطع الحديد الخردة ، ولكنه أخـذ يكتـشف بسـرعـة أسـرار وكـالةالبلح ... ويدأ يجـازف بعمليات بيع وشراءصغيرةكم أخذ يكبر ويكبر إلى أن أصبح من أكـبـر تجـار الحـديد الخـردة فى الوكـالة ...وأصـبح مليـونيـرا ..بل إنه وصل إلى استـيراد آلات حديثة لصـهر الحديد وقطعه مما درعليه عمليات ضخمة تدر عليه مزيدا من الملايين ...وكـان يشـاع عن الحـاج عـبـد الغـفـور مـا يشـاع عن كل أصحاب الملايين إنه يرشو ويهرب ويسرق حـتى قيل إنـه لم يؤد فـريضـة الحـاج ولكنه اغـتـصب لقب حـاج وأسبغة على نفسه .....) (١)

لإلقاء الضوء النقدى على السطور السابقة من القصةيجب الربط بين العنوان والصور الوارادة فيها لفهم طبيعة الحدث والخطوط الدرامية المحركة لتصاعد الأحداث ونموها وأثرها الاجتماعى والنفسى والفكرى على الشخصيات والأبعاد الواقعية .

فـالعنوان : (لن أعيش فى جلبـاب أبى) يفـهم من اللحظة الأولى أنه يعنى الرفض والاعتراض كما يشعر بالحالة نفسها لشخصية أو أكثر من شخصيات العمل تعلن نفورها من المنهج الذى

١ - القصة - دار أخبار اليوم - ص ٧، ٨

انتهجه الأب أو رفضها للمورث وتعطشها للتجديد والتطور والتغيير وبعد تناول بداية العمل القصصى وتذوق تراكيبه التعبيرية وما ترمى إليه .

من دلالات درامية أولها الجفوة التى بين الابن والأب والتى شب عليها الصغير وذلك فى التعبير (**ولم يكن عبد الوهاب سعيدا أبداً - وكان يتعمد ألا يتحدث أبداً عن أبيه ويهرب ...**) يقف المتلقى على درجةالصراع النفسى للابن تمثل فى الحزن والصمت والهروب وهى اعتبارات نفسيه مهدت للمتلقى المنهج النفسى لشخصية(**عبد الوهاب**)كما بلورت طبيعة سلوكه تجاه نمو الأحداث وتصاعدها وربطت بين العنوان وطبيعة شخصية عبد الغفور البرعى التى رسمها القاص فى :

(**لأحد يعلم شيئا عن أصله وفصله ، لا يجيد القراءة والكتابة ، وهو الآن يرتدى بين الناس الجلباب الواسع وفوق رأسه لفافةملونة تفرقها عن لفافة العمة ، بدأ كما يحكى عنه عاملاً فى مخزن من مخازن وكالة البلح ، أنه يرشو ويهرب ويسرق**) فالعبارات السابقة منذبداية القصة رسمت الخطوط الفعالة لشخصية عبد الغفور البرعى وكشفت عن درجة تفاعلها وتحريكها للأحداث فهو رجل جاهل ، يركن إلى القديم ، يرفض التجديد ، جشع ، مرتشى ، متهرب ، سارق ، صاحب ثروة طائلة ...وهى مجموعة من الصفات الاجتماعية والنفسية أبرزت الملامح الأساسية لشخصية عبد الغفور البرعى وأثرها فى تطور

الحدث وسيره وقد أستطاع القاص الكشف عن طبيعة عبد الغفور البرعى من السطور الأولى فبين للمتلقى كيفية تصرفها وطبيعة تفاعلها مع الأحداث فهى شخصية مسطحة من الطراز الجاهز ثابتة التكوين .

كما يقف المتلقى من الأقوال الأولى لعبد الوهاب ووصف عبد الغفور البرعى بدرجة واقعية الحدث والموضوع مع طبيعة المجتمع المصرى وعلاقة أفراد الأسرة بعضها ببعض مع تجسيد لواقعية الصداع .

فقد أجاد القاص فى تصوير الحدث وإبراز درجة واقعيته وحيويته فى قطاع من قطاعات المجتمع المصرى وليتذوق ويتخيل القارىء الأدبى هذا المشهد :

(ولا يستطيع أحد أن يحدد كم يملك الحاج عبد الغفور ....وكان قد أنتقل منذ سنوات من الشقة التى كان يسكنها فى بولاق هو وزوجته وولداه عبد الوهاب وعبد الستار وأربع من البنات وأقام فى شقة واسعة فى أعلى عمارة يملكها فى الزمالك ثم أشترى منذ سنوات فيلا أو قصرا من القصور القديمة فى شارع حسن صبرى بالزمالك أيضاً واعتقدنا فيما بيننا أنه سينتقل هو و العائلة إلى هذا القصر حتى يمتع نفسه ويمتع أولاده بما وهبه الله ولكننا فوجئنا بأن القصر قد أستأجرته إحدى السفارات وظل الحاج عبد الغفور كما هو فى الشقة

العاليةإنةليس معروفا بشخصه فى المجتمعات الراقيه إنه لا هو ولا أولاده أعضاء فى نادى الجزيرة رغم أنه تاد أصبح يجمع كل من هب ودب ، إنه بجلبابه ولبدته لا يتحرك ولا يقول السلام عليكم إلا إذا وجدكل ما تقوم عليه دنياه خذ وهات ... ماذا تساوى الدنيا بلا خذ وهات) .

ينكشف للمتذوق من الصور والمشاهد السابقة واقعية الدراما وما فيها من طبيعة اصطدام بين محورالعمل الأدبى (**عبد الغفور البرعى**) وبين أولاده ونظرة المجتمع لسلوكه الاجتماعى فهو منهم بالحرص الذى قد يصوره نجيلاً نجيلا كما يتصف بالجمود ورفض مسايرة الروح التجديدية لدرجة تجعله من الأنماط المتحجرة بل أنه صاحب مشاعر جافة غليظة فلا تحركه إلا الماديات ومن الصور والمشاهد الواردة فى الفقرة يتجسد للمتلقى العمق الدرامى الذى انبثق من واقعية الحدث مماجعل شخصية محورالعمل ذات تأثير مباشر داخلى وخارجى فى سلوك ونفسيةكل من يحيط به وجعل عبد الغفور البرعى بماله من سلوك ورؤية فى الحياة من النماذج البشرية التى تبرز بعض الملامح الثابته الراسخه لأ فراد الشعب المصرى الذين يمثلون شريحة من شرائح الاقتصاد كما تعكس بدلالات رمزية انتشار الجهل وتحكم الجهلاء فى تلك الأونة فى الاقتصاد كما أن الصور دعوة للعلم ونشره فى كافة المستويات للارتقاء بالمفاهيم الاجتماعية والفكرية .

ولعل المتلقى يقف على درجة إجادة القاص فى تحليل طبيعة

نوعية حرص محور العمل (**عبد الغفور البرعى**) وذلك من وصفه التالى :

(ولكن ماكان يقوله الناس عن الحاج عبد الغفور أنه بخيل فى منتهى البخل حتى أنه يخاف على ما يملكه من ولديه فلا يقول لهما كم يملك ولا ماذا يملك ولا أين يحتفظ بما يملك حتى لا يثير طمع أحدهما فيه ... بل ربما كان يتعمد إبعادهما عنه كنوع من الحيطة واتقاء خوفه من شرهما وكان بجانب مصروفات العائلة يخصص لكل منهما مصروفا أسبوعياً .. وكانت الأم هى الوحيدة التى يتعامل معها مالياً يعطيهامصروف البيت ويعطيها مصروفات الأولاد والبنات ويتركها تتصرف وهو واثق أنها لن تزعجه أبداً ...)

(كما أن بخل الحاج عبد الغفور لم يؤثر فى حرصه على تعليم أولاده ولاشك أنه يعانى عقدة نفسية ذاتية لأنه لم يتعلم ولم يدخل مدارس فى حياته وهى عقدة تغلبت على بخله فكان حريصاً على تعليم أولاده دون أن يسأل نفسه ماذا يريد من تعليمهم[1]) . يتجلى من الوصف السابق البعد الاجتماعى الدرامى للحدث فالأب يخفى عن أولاده حقيقة وضعه المالى من منطلق الخوف والحذر والحيطة فهو يعانى من انفعالات واضطرابات وصراعات داخلية منبعها ظروفه

---

١ - القصة ص ١٠ ، ١١

الاجتماعية منذ طفولته حيث تجرع من ألوان الفقر والحرمان ما جعله يرفض الاستجابة للشعور بالأمان حتى تجاه أولاده وقد صرح القاص فى وصفه لشخصية عبد الغفور البرعى بقوله (**إنه عاش مسئولا عن نفسه وكل ما وصل إليه لم يكن لأبيه فضل فيه هذه هى الحياة)** [1].

وبهذا الوصف التحليلى للحدث كشف القاص عن السبب المباشر لسلوك الأدب فظروفه الاجتماعية والنفسية ووقفته فى الحياة بمفردة وشعوره بالاغتراب الأسرى دفعه إلى الحرص من أولاده فقد خرج للحياة وحيداً وأصبح رجلاً فظروف أولاده أذن أفضل !! حيث وجدوا من يصرف عليهم وهذا يكفيهم وكأن علاقته بهم لا تقتضى الروابط العاطفية فهى من وجهه نظره مهلكة للرجولة إن أولاده من زاويته نالوا شرف التعليم الذى حرم منه وهذا أعلى عطاء قدمه لهم .

ومن تسلسل الحدث الاجتماعى السابق يدرك المتلقى صدق واقعيته وترابط المقدمات بالنتائج كمايقف على نظرة المجتمع المصرى للعصامى وشعوره تجاه مجتمعه فالحدث يعكس ظاهرة سادت فى مجتمعنا تمثلت فى عمالة الأطفال وتقطع أواصر الأسرة وكان سببها الجهل والفقر والأمراض الاجتماعية التى غرسها الاستعمار فى المجتمع المصرى

ومما سبق يتكشف للمتلقى أن القاص استطاع بمهارة فنية استبطان العالم النفسى لمحور العمل (**عبد الغفور البرعى**) وأجاد فى الربط بين نفسيته وسلوكياته وتجلى ذلك فى تصوير علاقة عبد

١ – القصة ص ١٠

الوهاب بأبيه وما يشعر به الابن تجاه الأب من جفاء وغربه .

كما يقف المتلقى على دقةوصف المؤلف للحدث مما دفع إلى تحقق الترابط الاجتماعى النفسى بين عناصر العمل وجعل الحركةالدرامية تنمو بصورة منطقية تطابق سلوك الشخصيات وانطباعاتهم تجاه المواقف بواقعية .

*** نمو الحدث عبر الثنائية البيئية (الزمان والمكان)**

يتكون الحدث من مجموعةمتشابكة متلاحمة من المواقف والأفعال يرتبط بزمان ومكان يفصح من خلالهما عن عادات وتقاليد وقيم تصور معايير الأبعاد الاجتماعية والأخلاقية والفكرية الموجودةلدى طبقة من طبقات المجتمع وقد رسم المؤلف مشاهد ومناظر لأسرة مصريةمكونة من أب عصامى وزوجة مسالمةبسيطةوأبناء تفتحت عيونهم على ثراء مادى ووضع اجتماعى مرموق فهم من سكان حى متميز ويتمتعون بشرف تحصيل العلم وتزوجت بناته من شباب العائلات الراقية وقد استطاع الحدث لما فيه من مصداقيه تجسيد طبيعة الزمان والمكان وما يصاحبهما من تطوروتغير وليقرأ المتذوق هذه الفقرات:

(إن أولاده وهم قطعةمنه ويحملون اسمه يدخلون المدارس ويجيدون القراءة والكتابة لذلك حرص على أن يدخلهم المدارس حتى بناته الأربع وقد وصلت نظيرة وهى صغراهن إلى الجامعة بل إنها اختارت الجامعة الأمريكية ..إن نظيرة أقدر أولاد عبد الغفور على التحرر من العقدة

التى يسيبها لهم أبوهم ... وقد دخلت الجامعة الأمريكية ربما لمجرد إثبات شخصيتها كبنت راقية من بنات المجتمع ......أما البنات الثلاث فقد تزوجن دون أن يستكملن التعليم الثانوى وكان أزواجهن من شباب العائلات الراقية ولا شك أن أقوى ما دفعهم إلى الزواج منهن هو ما يعرفونه عن ثراء عبد الغفور ... وعبد الغفور لا يهمه من كل من يتقدم إلى إحدى بناته إلا أن يعرف عنه ماذا يعمل وكم يكسب ومن هو أبوه وماذا يملك .. ولكن لقد طلقت اثنتان من البنات بعد أن فوجئ زوجاهما بمدى بخل عبد الغفور لماذا يعطى بناته بعد أن تزوجن ... إن لكل منهن زوجاً مسئولا عنها يتولى أمرها وكان زوج البنت الثالثة هو الذى استمر بزواجه فقد كان خبيثاً صابراً ...استطاع أن يقنع عبد الغفور بأن يعمل معه فى شركاته بصفته محاسبا من خريجى التجارة والأهم أنه قادر على انتظار الإرث ....)

من الصور الوصفية السابقة للحدث يتبين أن القاص عالج زمانه ومكانه من زاويتين إحداهما نفسية والأخرى اجتماعية وعلى سبيل المثال تصريحه بدخول نظيرة الجامعة الأمريكية فصور زمان نفسى لنظيرة فهى شباب طموحة تعمل على التخلص من عقد الجهل والسيطرة والتملك وتنعم بمكان متفرد تقضيه بين أركان الجامعة الأمريكية التى تتسم بطراز جمالى خاص وتقع عينيها على الأماكن

١ – القصة ص ١٢

الراقية المحيطة بالجامعة وعندماتعود لمنزلها يتجدد الجمال المكانى فى رحاب منزلهابالزمالك فقد ركز المؤلف على عالم نظيرة الزمانى والمكانى ليمهدللمتلقى كيفية تفاعلها مع الحدث وطبيعة استقبالها للمواقف مما يبلور شخصيتها التى تجلت بوضوح فى نهاية العمل .

ويرى القارئ أيضاً توفيق المؤلف فى الربط بين نمو الحدث من خلال الزمان فى حديثه عن عبد الوهابالذى رسم له صورة حية أثناء حوار نفسى وذلك فى هذه المشاهد : (**وكنت دائماً أتساءل لماذا لا يترك المدارس ويتفرغ لمشاركة أبيه فى تجارته ربما كانت له مواهب أبيه ...وأبوه كان يعتمد على ذكائه ولم يكن فى حاجة إلى الدراسة أو المدارس ولكن ربما كانت عقدة عبد الغفور أنه لا يريد أن يكون كأبيه ولذلك يصمم على أن يدخل المدرسة ويحصل على شهادة وكنا كلما كبرنا وأنا أزداد حيرة فى عبد الوهاب وأفاجأ منه بتصرفات تجعلنى أحيانا أعتبره مجنوناً أو شاذاً وقد التقيت به مره ونحن فى عمر الصغار وهو يصير فى الشارع مرتديا اللبس الكامل للاعبى كرةالقدم ...وقلت له وأنا أكتم ضحكتى الساخرة : إين ياكابتن وقال فى جدية : عندى تمرين عندى تمرين ... قلت ساخراً : هل أصبحت لاعب كرة ... طول عمرك كابتن يا كابتن ولكن أين تلعب ؟ وقال فى صوته الجاد وهو ينظر إلىّ كأنه يلومنى ويشير إلى القميص الذى يرتديه .. ألاترى .. إنى ألعب**

فى الترسانة طبعاً وقد صرت معه حتى نادى الترسانه ....لاشك أنه يعانى عقدة وبما كانت عقدته أنه يريد أن يشتهر بشئ أو يعرف بشئ ....وقد كنا أيامها فى الخامسة عشرة من العمر ... وبعد عام واحد وجدت عبد الوهاب فى حالة أخرى ...لقد أصبح يتردد كل يوم بعدالظهر إلى بار فى حى الزمالك وهو بار مغلق الأبواب بحيث لا يستطيع من يمر به أن يرى بداخله وهو الذى صحبنى إلى هذا البار وطلب بمجرد جلوسه زجاجة من البيرة لنفسه ولم يسألنى ماذا سأطلب أنا ... كل منا يطلب لنفسه ويدفع حساب نفسه .. وقد شرب زجاجة البيرة بسرعة وطلب زجاجة ثانية ثم زجاجة ثالثة ثم زجاجة رابعة دون أن يستمع إلىّ وأنا أنصحه بأن يكف عن شرب البيرة... وقد علمت أنه يذهب إلى البار كل يوم فى الظهر ولا يشرب إلا البيرة إلى أن يشبع فيعود إلى البيت وينام إلى أن تتبخر البيرةمن رأسه)[1]

يرى المتلقى لما سبق أن المواقف والأفعال والأقوال توحدت مع سير الزمان وحدود المكان مما جعل شخصية عبد الوهاب واضحة الملامح وقد تعمد المؤلف فى محاور الوصف للشخصية استنباط ملامح البناء من داخلها كما يقف المتلقى على منهجه فى تصوير نمو الحدث مع الثنائية البيئية حيث جعل لكل شخصية من شخصيات

١ – القصة نهاية ١٣ وأول ١٤ ، ١٥

العمل عوالم تخصها وتستقل بها مكانية وزمانية وكأن الأستقلالية سمةواضحة لأفراد هذا العمل الأدبى فبرغم اتحادهم فى مكان وزمان يربط بينهم بحكم الأنتماء لأسرة واحدة إلا أن رباطهم هش الخيوط وقد أجاد المؤلف فى تصوير التقطع والتمزق الأسرى حين جعل لكل فرد زمانه ومكانه عبر ذاتية مطلقة واضحة فنظيرة لها عالمها الزمانى والمكانى الذى يترجمه الحدث وكذلك عبد الوهاب الذى بدأ يستقل بعالمه منذ الصغر فأختار مايميزه عن غيره من أترابه حين ارتدى زى نادى الترسانة وقد استطاع المؤلف من نقطة انطلاقه التعبيريه عن عقدته ورغبتة فى الشهره أن يدفع عجلة الحدث للنمو الزمانى والمكانى مع ربط دقيق بين طبيعة الشخصية وسلوكها وانفعالاتها التى تجسدت فى ذهابه إلى بار وهو فى السادسة عشرة فى حى الزمالك ليشرب زجاجات البيرة ثم يعود إلى البيت لينام حتى تتبخر البيرة من رأسه ومن هنا رسم المؤلف لعبد الوهاب كيفية نمو الحدث وسيره فجعل له زمانه النفسى الذى يحاول فيه الهروب عن طريق شرب البيرة وكأنه يحاول قتل الإحساس بالوقت إلى جانب تحديد الملامح المكانية التى أثرت فى تشكيله الاجتماعى والنفسى وأهمها النادى والباروالبيت وقدوفق القاص فى تعبيره [**كل منا يطلب لنفسه ويدفع حساب نفسه**]

حيث كشف المنشئ شعور عبد الوهاب منذ حداثه سنه بالاستقلالية الذاتيةالنابعة من ظروف البيئة الاجتماعية فالمحور النفسى والاجتماعى للأب كان مؤثرا تأثيرا مباشر على تكوين الأبناء

ورؤيتهم للحياة فقد :

(عاش مسئولا عن نفسه وكل ما وصل إليه لم يكن لأبيه فضل فيه هذه هى الحياة كل ابن يولد وهو مسئول عن نفسه ولذلك تركهما دون أن يحاول أن يشدهما إلى دنياه .. إلى العمل معه وفهم أسرار وكالة البلح إنه اكتشف بنفسه أسرار الوكالة فليكتشفها ولدآه أيضاً لو أراد أحدهما اكتشافها) . فلكل فرد من أفراد الأسرة استقلالية ذاتية البنات والبنين ولكل عالمه الزمانى والمكانى الذى نمت خطوطه من خلال تحركها الجيد داخل حدود اجتماعية ونفسية يحكمها رؤية كل فرد لزمانه ومكانه .

---

١ – القصة ص ١٢

الدلالات الرمزية لدارامية الشخوص :

صور القاص شخوص قصته بإسلوب واضح الملامح من خلال التعبير التشكيلى الذى يعكس فكرهم وسلوكهم وطبيعتهم حيث استخدم الوصف التصويرى الذى يجعل المتلقى يستحضر أشكالهم وحركاتهم ويكشف ظروفهم النفسية وخواطرهم ومشاعرهم وما يختلج في صدورهم من صدام عاطفى وصراع داخلى يؤثر على الاتجاهات السلوكية الاجتماعية والنفسية وقد كان لنوعية الحدث الأثر الإيجابى فى نجاح درامية العمل وخاصة لأنه يمس طبقة واقعية من طبقات المجتمع المصرى عاشت فى فترة ماقبل الثورة وامتد بها الزمان إلى مابعدها مما جعل المؤلف يستطيع بمقدرة فنية ومهارة درامية تشكل طبيعة الشخوص فجعلها ناطقة معبرة عن نفسها من تسلسل المواقف والأعمال والأقوال مما جعل تصويره لهم يعكس بذكاء فنى تضارب الانفعالات وتصارع القيم داخل نفوسهم وقد أحسن فى ربطه بين الصدام النفسى وبين سلوكهم الذى تقيده الظروف الاجتماعية ورؤية المجتمع المصرى للمعايير الأخلاقية كما أجاد فى بلورة الشحنة الدرامية لهم إلا أنه ركزها على الشخوص الآتية :

عبد الوهاب – نظيرة – حسين

الدرامية التشكيلية **لعبد الوهاب** الابن : تتمثل فى القيود الدرامية التشكيلية **لنظيرة** الابنة : تتمثل فى التحرير الدرامية التشكيلية **لحسين** صديق عبد الوهاب :تتمثل فى الؤية الناقدة للصراع بين القديم والجديد وبين التمسك بالقيود والرغبة فى التحرر .

أولا : عبد الوهاب : من أبناء عبد الغفور البرعى يمثل شخصية الرجل المصرى الذى يعانى من الحرمان العاطفى المتجسد فى الجفاء بينه وبين أبيه وقد أستطاع المؤلف ترجمة هذا الصراع الدرامى بالرمز والتصريح فى العبارات الآتية **(ولم يكن عبد الوهاب سعيدا بهذه الشهرة) ، (ولم يكن ابنه عبد الوهاب -من معاونيه) ، (كان بينهما وبينه إحساس بالجفاء الصامت) .**

فالصور التعبيرية السابقة تصرح بطبيعة العلاقة بين الابن والأب وما تثيره من صراع يساعد على تكوين العقد النفسية التى تعلن الرفض الداخلى لمنهج الأب فى علاقته بالأسرة ومايتولد عن هذا الصراع من سلوكيات لها دلالات رمزية ومن هذه السلوكيات ماقام به عبد الوهاب فى محاولة لجذب الأنظار بقصد الشعور بالتميز والتفرد عن طريق الانتماء لنادى مشهور فى تلك الأونة وماهذا إلالشعورة الحقيقى بالكبت والقهر والرفض فأراد أن يجد نفسه على سبيل التعويض .

يضاف لهذه الدلالالة ذهابه وهو فى السادسة من عمره لبار فى حى الزمالك لشرب زجاجات البيرة حيث يكشف هذا السلوك عن رغبة كامنة فى التخلص من سيطرة الأب والشعور بالمقدرة على التصرف الحر إلا أن هذا السلوك يمثل من الرؤية الدينية صورة من صور الإثم والظلم للنفس مماأشعل الصراع الدرامى فى نفسه فحاول التخلص منه بالدخول فى حالة جديدة **(وهى الحالة التى**

لاتزال متمكنة منه حتى اليوم حالة التدين لقد تدين حتى أصبح غارقاً فى الدين ..إنه يقضى كل أوقاته بعد المدرسة فى الجامع ويقرأ دائماًالقرآن والتفسيرات وإذا أراد أن يذاكر فإنه يذاكر أيضاً داخل الجامع .. وقد وصل به التزمت إلى حد أن أطلق لحيته ثم حلقها ثم عاد وأطلقها .....وكان أحياناً يضع على رأسه طاقية أقرب إلى اللبدة التى على رأس أبيه وأصبح مصرا بعد أن يعود من المدرسة أن يخلع البدلة ويرتدى جلبابا يخرج به إلى الشارع .....إنه يرتدى البدلة مرغما فى المدرسة ولكن ارتداءالبدلة حرام وقد سافر عبد الوهاب دون أن يقول لى ولكنى سمعت من بقية الأصدقاء الذين يعرفونه ....وكنت أسمع أنه يقيم فى لندن ثم سمعت أنه أنتقل

إلى باريس ثم إلى سويسرا ولم يحدث ان أرسل لى أى خطاب أثناء سفره إلى أن التقيت به بعد أربع سنوات فى شوارع الزمالك ....

واحتضننى فى شوق وفى لحظة أحسست به يعطينى كل أحاسيس الصداقة كأننا لم نفترق .... واكتشفت بسرعة أنه قد عاد دون أن يتغير .... وخلال كل هذا العمر الطويل لم أعرف لعبدالوهاب أى علاقة نسائية ...... ولكى يبدو أن أوربا تركت أثرا فى عقلية عبدالوهاب وأحاسيسه بالمرأة لقد بدأ فى أحاديثه معى

يمتـدح المرأة الأوروبيـة .... إنه يقـول إنهـا إنسـانة كاملة الشخصية ..... واستطاعت أن تصل إلى القوة التى تصـون بهـا نفسـهـا وتفرض إرادتهـا علـى الرجل المتـجنى ....وكنت أعيش كل هذه الذكريات التى استـعيد بهـا شخصية عبدالوهاب البرعى وأنا فى دهشة لما فؤجئت به من إقدامه على الزواج من فتاة أمريكية ..... لاشك انه يتزوجها لأنه وجدها مسلمة .... لقد استكمت فى تقديره العـقل والدين عـقل بنات أوربا ودينـنا) فـالقـارئ الكريم عندمـايستـحضـر المشاهد السابقة يدرك العمق الدرامى للحدث ومـهـارة القاص فى تحـريك النزعـات العاليـة إشعال القيم الشريفة فـعبـدالوهـاب فى بداية جـذوة الصـراع حـاول التـخـفيف عن نفسه بارتداء زى مميز وذهب للبار وماهذا السلوك إلادلالة رمزية لرفض منـهج الأب ومن دواعى الحـمـاية النفـسـيـة ولكن !! السلوك الثـانى ترفضه البيئة المتدينة الإسلامية والمسيحية فى مصر وهنا تشتعل الدرامـا فـالابن يرفض منـهج الأب وهـو فى حـالة انـهـيـار لرفض المجتمع له مما يهدد وجـوده الإنسانى وكيانه الدينى الاجتماعى ولهـذا بفطنة المسلم الواعى والمصرى المفطور على التدين حول الشكل الدرامى المتـمثل فى الرفض لسلوك يجله المجتمع المصرى وهو الكامن فى التـدين سـواء كـان ظاهريقـصـد جـذب الاحـتـرام والتقدير أو عن إيمان يقينى بقيمة التدين فالدلالة الرمزية التى رمى

راجع القصة من ص ١٤ : ١٩ بتصرف

إليها القاص هى الرفض العنيف المحتد الذى وجد مخرجه فى القرآن الكريم وقراءة كتب التفسير وإطلاق اللحية وارتداء الجلباب ولعل القاص فى تصويره وتصوره لهذه الدلالات الرمزية قد بالغ فى كيفية هروب عبدالوهاب من واقعه المرفوض فالتدين هو الملاذ الصحيح الواقى لكل مضطرب طيب السريرة فعبد الوهاب وجد فى فى تدينه منابع اطمئنان وهدوء نفسى يحميه من الانهيار حتى تعمقت فى نفسه دواعى التدين حتى أصبحت استجابة لإيمان يقينى متفتح له رؤية واعية بدليل زواجه من أمريكية فالرمز الدرامى يكشف عن ضرورة الاختلاط بالأجناس الأخرى فى إطار يتفق مع ظروفنا وهذاماجعل عبدالوهاب يتزوج من أمريكية مسلمة وقد همس القاص بطرف خفى إلى ضرورة التفتح والأخذ بأسباب الصحوة الفكرية وليتأمل القارئ رؤية عبدالوهاب فى مقولته (**أنى أتمنى أن أن أجد من أتزوجها ولها شخصية المرأة الأوربية ..... قوتها .... وعلمها .... وإحتمالها للمسئولية ولكنى أريد كل ذلك فى أمرأة مصرية متدينة ...... فالإيمان هو أساس سلامة كل بناء الشخصية**) ففى كلمة (**قوتها**) دلالالة رمزية ترمى إلى الدعوة لتحرير الفتاة المصرية من الخوف والقيود الاجتماعية البالية وفى كلمة (**علمها**) دعوة أخرى لضرورة تحصيلها العلم فى كل مجال أما عبارة (**واحتمالها للمسئولية**) فهى صيحة لتوعية الفتاة المصرية توعية أسرية للحد من الخلافات الزوجية إحفاظها على بيتها وأولادها أما التعبير (**أريد**

كل ذلك فى امرأة مصرية متدينة) فهو نداء رمزى لبناءجديد يحتوى المرأة المصرية وقد أحسن القاص فى ملامح الصراع الدرامى لشخصية عبدالوهاب الذى يرمز للرجل المصرى الذى تتحكم فيه سلطة الأباء الجامدة

يضاف لما سبق أن فى أمنية عبدالوهاب الزواج من أمرأة قوية متعلمة متحملة للمسئولية دلالالة رمزية تكمن فى رفض آخر له يتمثل فى شعوره بسلبية أمه وماجلبته عليه من مضاعفة الشعور بالقهر والكبت .

لقد كان فى الدلالات الرمزية المشكلة لشخصية عبدالوهاب الأبعاد الدرامية التى تفصح عن :

* سيطرة الأباء الناتجة عن جهلهم بأصول العلاقة الأبوية .
*الكبت الذى يؤدى إلى الاضطراب فى اختيار طريق الحياة .
* القيود التى تكبل عنق الشباب من الرجال وخضوعهم لهامن منطلق الأصول الاجتماعية المروثة .
* سلبية الأمهات النابعة من جهلهن بالحقوق والواجبات والأصول التربوية الصحيحة .
* الدعوة إلى التحرر والتفتح والأخذ بكل جديد يتناسب مع ظروف دينا وبيئتنا .
*ضرورة الصحوة الفكرية والعلمية التى تدفع لرفع المستوى الخاص والعام فى المجتمع المصرى.
* دور المرأة المتعلمةالمتدينة فى بناءكيان الأسرة والمجتمع .

وقد وفق القاص فى تصوير الحركة الدرامية لشخصيةعبد الوهاب من خلال الدلالات الرمزية التى نسجتها الصورالتعبيرية حيث كشفت بجلاء عن حدة الصراع والاصطدام بين القديم والجديد المتمثل بين الجيلين الأباء والأبناء .

ثانيا : نظيرة :

ابنة عبد الغفور البرعى التى تمثل الرغبة فى التحرر والانطلاق والتى يرمزيها القاص بطريق تراسل الرؤية الوجدانية إلى المرأة المصرية التى تحاول التخلص من عقدة السيطرة والتحكم عن طريق اختيار جامعة يوحى اسمها بالتطور والرقى والتحرر من زاوية مفهومها وقد بين المؤلف بالايحاءرؤيتها فى تعبيره(**بل إنها اختارت الجامعة الأمريكية .. إن نظيرة أقدر أولاد عبدالغفور على التحرر من العقدة التى يسببها لهم أبوهم .... وقد دخلت الجامعة الأمريكية ربما لمجرد إثبات شخصيتها كبنت راقية من بنات المجتمع**)(١) فالعبارات السابقة مهدت للمتلقى علامات ودلالات تهديه لطبيعة سلوك (**نظيرة**) فى المواقف المختلفة وأولها حينما صور نقطة نمو الصراع الدرامى الذى شكل شخصيتها النامية وذلك فى وصفه الحوارى (**وقالت نظيرة وهى تبتسم ابتسامة مرحة - إنى أعرفك بالسمع أخى يحدثنى عنك كثيراً وبقيت عيناى معلقتين بها وأنا أحس بالدهشة .... إنى أحس منذ**

القصة ص ١٢

اللمحة الأولى بأنها شئ آخرغير أخيها عبد الوهاب إنها حلوة.... حلاوة بنت البلد .... سمراءطويلة وكل ما فيها يضج بالمرح ونظراتها جرئية ..... وعقصة شعرها الطويل مثيرة وإن كانت عقصة على النمط الشعبى المعروف لا يبدو فيهامجهود إعدادها إعدادها عند أحد مصففى الشعر وثوبها عادى طبيعى ... ثوب زيارةعادية ... لايبدوأنها تعمدت أختياره بمناسنةإعلان خطبة أخيها)[٢] فمن الوصف السابق لنظيرة يدرك المتخيل أن للمؤلف دلالات رمزية تحمل أبعادا اجتماعية وسلوكية فهى مرحة وجرئية وغير أخيها عبدالوهاب كما آنها تتمتع بحلاوة وخفة بنت البلد الشعبية ومرجع هذا التشكيل الشخصى اختلاطها ببيئة تجمع بين ملامح التحرر والتفتح والانطلاق (**فى الجامعة الأمريكية**) وبين ملامح الروح المصرية فى المظهر البسيط الذى يفوح جماله من أصالته المصرية وكأن المؤلف يهمس للمتلقى بضرورة الانفتاح على العالم مع الاحتفاظ بملامحنا الأساسية التى تميز شخصيتنا وتدل على بيئتنافنظيرة رمز للفتاة المصريةالتى تجمع فى شخصيتها عناصر تشكليلية موروثة ومكتسبة وبينهما صراع وصدام يحتاج منهاالتحكم الواعى حتى لا يطغى عنصر على آخر وقد تجلت قدرتها على جذب الآخرين فى العرض الجيد للمؤلف حين صرح بقوله (**إنها شخصيةغيرماكان يمكن أن أتصوره لابنة الحاج عبد**

القصة ص ٢٢

الغفور إنهاهى التى تتكلم كل الكلام ونحن جلوس معها .... إنها تحكى عن دراستها ونوادر الجامعة .. وأنا أزداد إعجابا بها ..)[1] لقد أراد المؤلف إعلان تفاعل عناصر شخصية نظيرة وتصاعده بإيجابية عن طريق الرمز الأيحائى الذى يدل على ما للفتاة المصرية من مهارة وقدرة على تحقيق الذات بوعى وبصيرة وبإسلوب جيد منطقى مقنع يجبر الجميع على احترامه والإنصات له لأنها صاحبةكلمة مسموعة ناضجة اذن لدى المتلقى الخيوط الأساسية لتشكيل دراميـة الرمز لنظيرة التى تمثل الفتاة المصرية أحياناً التى تحمل بين جوانحها الصراع بين القديم والجديد أو الصراع بين جيل الأباء والأبناء فهى : –

مرحة

جريئة

حلوة

شعبية

متكلمة

مثقفة

جذابة

قادرة على الإقناع .... ولكن !!

تحافظ على ما ورثته من البيئة الإسلامية المصرية وهذا من منابع التصاعد الدرامى الذى عمقه المؤلف فى شخصيتها أثناء

القصة ص ٢٥

تصويره للعلاقة بينها وبين حسين الذى ترددت فى نفسه علامات الإعجاب بها وقد برز ذلك من همسه الصامت (**إن شخصيتها هى التى جذبتنى وهى التى تشغل بالى شخصية بنت البلد التى استطاعت بجرأتها أن تتطور وأن تلتحق بالجامعة الأمريكية دون أن تفرط فى شخصيتها شخصية بنت البلد ... بكل ما فى بنت البلدمن إثارة**)[1] يجد المتلقى أن الايحاءات السابقة ما هى إلا نداء لصحوة الفتاة المصرية حيث يجب عليها الأخذ بأسباب التفتح والتجدد والتطور والتحرر بذكاء يجعلها تتميز بشخصيتها الفريدة التى أثارت الدهشة ثم يقف القارئ والمشاهد مع تسلسل الحدث ونمو شخصيةنظيرةعلى تكاثف وتراكم الدلالات الرمزية الكامنة فى شخصيتها وذلك من خلال تطور العلاقة بينهما وهى رمز الفتاة المصرية وبين حسين الراوى الناقد الاجتماعى لدرامية الشخوص وخاصة لنظيرة وعبدالوهاب باعتبارهما يمثلان ثنائية البناء للمجتمع وتصارعه الدرامى بين القيود والتحرر بين تمسك الرجل المصرى بماورثه من عادات رغم رفضه لبعض المعايير التسلطية وبين المرأة المصريةالتى أجبرت بالقهر على سلوكيات خاصة وترغب فى الانطلاق والتغيير والحقيقة أن المؤلف أجاد فى إبراز ملامح الصراع لنظيرة أثناء الحوار العاطفى بينهما وبين حسين حيث استطاع عن طريق التصاعدالدرامى للدلالات الرمزية تطوير العلاقة بينهما بإسلوب شد المتلقى لانتظار ماذا يحدث

---

(1) القصة ص ٥١

فقد أصبحت تتردد عليه فى شقته وتجلس معه وتتناول وجبة الطعام بل وتعدها ثم تذاكر بعض محاضراتها معه حتى أصبحت هذه السلوكيات ملازمة لهما وقد تمكن القاص بمهارة فنية تجسيم الحركات الانفعالية ودرجاتها بحس مرهف يتصف بالمصداقية حيث تجلى ذلك فى همساته الداخلية حين صرح بهذه الخواطر

(بدأت نظيرة تعيش معى كل يوم وإنى أذكر اليوم الأول قداتفقت معى على أن تخرج من الجامعة الأمريكية فى الساعة الثالثةأو الرابعة وتأتى إلى شقتى الخاصة مباشرة لم يكن اتفاقا ولكنه قرار اتخذته هى واعلنتنى به دون أن تحس حاجتها إلى موافقتى ....كأنها واثقةمن أنى طبعا موافق ومن ساعتها وأنا أعيش كل إحساسى فى انتظارها وتعمدت أن أترك مكتبى فى الشركة الهندسية فى الساعة الواحدة وأذهب إلى الشقة وأبقى كل هذه المدة وحدى فى انتظارها وأنا أحاول أن أقنع نفسى بأن الشقة فى حاجة إلى تنظيف .... ولكنى جلست ساهما مع أفكارى وخيالى وتصوراتى .... وفتحت لها الباب فى الساعة الثالثة والنصف .... واستقبلت سمرتها الخفيفة وضفيرتها الرائعة المدلاةفوق صدرها .... ودخلت بلا تكلف وبلا تردد وهى تقول دون أن تمديدها لتصافحنى .

أهلا .....

وقلت وأناأغلق الباب وراءها وأتبعهاوهى تخطو فى جرأة داخل الشقة وكأنى أجروراءها لقد انتظرت طويلا ....) ثم يستمر القاص فى سرد الحدث بينهما وبين طبيعة تصاعده إلى أن صور احترام الانفعالات لحسين عبر هذه الكلمات والدلالات :

(وقلت وأنا أحاول أن اقترب أكثر لن تكون هناك مذاكرةللأبحاث الدراسية اليوم .. اليوم نحن فى حاجة إلى أن أذاكرك وتذاكرينى .... أن أدرسك وتدرسينى .. ومددت يدى اكثر أمسح على شعرها ...

وابتعدت عنى فى رفق وقالت وابتسامتها الحلوةتقطر من بين شفتيها المكتنزتين :

حسين من أجل خاطرى ... لا تبدأ شيئا قبل أن أبدأ أنا .....) ولعل المتلقى فى اللقطات التعبيرية السابقة استطاع استقبال الدلالات الرمزيةكما استطاع تقدير درجة التصاعد الانفعالى والاصطدام العاطفى لكل من حسين ونظيرة إلا أن لهذه الدلالات التى تحملها العبارات أصولا وأبعاداً أعمق من مجرد حفاظها على كيانها فى بقاء ظاهرتها فالقاص أراد أن يبث فى نفسيةالمتلقى درجة إرادةالمرأة المصرية وقدرتهاالمطلقة على أتخاذ القرار باستيعاب وحسن بصيرة كما رغب فى الإفصاح عن حقيقة يجب التمسك بها فالانفتاح على العالم الأوربى والاختلاط به لايرمى إلى أخذ كل

القصة من ص ٧٩ : ٨٥

طباعه وسلوكياته بل ننفعل بما يناسب ظروفنا الدينية والاجتماعية والثقافية وهكذا أجاد القاص فى تصوير الحركة الدراميةوما تكشف الدلالات الرمزية للعبارات فكأن نظيرة جسدت الرمز الحقيقى للسيادة والإرادةالإسلامية المصرية العربية أما حسين فهو رمز التيارالخارجى الذى استطاعت الإرادة الواعية أن تحجمه فتعلن له بصراحةأننا نتصرف فى حدود يمنحها لنا الشرع والقيم الاجتماعية وظهرت هذه المعانى فى عبارة القاص التى قالتها نظيرة وهى فى شقة حسين (**المفروض أنى أستطيع أن أبقى خارج بيت العائلة إلى ما بعد الساعة التاسعة تقاليد ... عائلة محافظة ....ولكنى أحس الآن بالتعب ربما لأنى أذاكر وأحاسيس تلعب فى ملعب جديد .... وسامحنى اليوم ..يجب أن أذهب**)[1]

فالقارئ الكريم يشعرفى المشهدالحوارى السابق وصول الانفعال الدرامى إلى ذروته ولكن !! هناك القيم التى تميزنا عن غيرنا مهما تعاملنا مع تيارات وتقابلنا بضغوط واحتكاكنا بمثيرات ومغريات .

كما يقف القارئ عبر المراحل الدرامية للدلالات الرمزية أنهما كانا محور الصراع الانفعالى لهذا العمل القصصى الذى جسد فى نظيرة من خلال الرمز الدرامى مايلى :

* الرغبة فى التحرر والنطلاق .
* التمسك بالأصول الموروثة التى تتعلق بالشرف والكرامة .

القصة من ص ٨٥

* احترام نظرة الأباء وسلوكهم من منطلق الإيمان بالقيم حتى لو كانت ضد رغبة الأبناء .

* تمتع المرأة المصرية المثقفة بالإرادة الواعية .

* الدعوة إلى الانفتاح على العالم الغربى مع التحفظ فلايجوز التفاعل بما لايناسب تكوين شخصيتنا

* التمتع بالحرية فى إطارالمفهوم الشرعى والاجتماعى وقد برز هذا المفهوم من قول نظيرة (**لا ليست الحرية ....إنى مقيدة بإيمانى بأن ليس من حقى أن أفرط فى عذريتى إلا بإذن الله ... إلا بالزواج وإيمانى لايزال أقوى من حبى ..**)[1]

* الدعوةإلى التمسك بالرباط الأسرى ففى التمسك به الحفاظ على ترابط المجتمع وقوته وقدكشفت الدلالات الرمزية المشكلةلدرامية نظيرة البعدالأخلاقى وقدرته فى صد تيارالنزوات وليستحضرالقارئ هذا الحوار الدرامى بين نظيرة وحسين (**لقد فكرت فى مشروع لأخلصك من هذه العقدة بأن أحررك من أبيك ونتزوج ....أتزوجك بلا أبيك أى أتزوجك الآن دون أن نخبر بابا وتتركينالبيت كأنك تهربين .... ليس مما يثبت حريتى وقدرتى على أن أستقل بشخصيتى عن أبى أن أهرب منه ونتزوج بعيدا عنه بالعكس ... هذا سيجعلنا أكثر استسلاما له ... ونعيش زواجنا كأننا هاربان من**

القصة ص ١٠٥

القوة الأعظم التى هزمنا أمامها ..... قوة أبى)[1] وبعد هذا الحوار الدرامى تعلن أن الحرية فى أعظم معاينهاتتمثل فى القدرة على الاستقلال برضاء الأب وبناء أسرة ناجحة لافى الهروب

ثالثا : حسين : صديق عبدالوهاب البرعى والعين الناقدة لهذه الأسرة التى تعد من النماذج المصرية الممثلة لعادات وتقاليد فئة من فئات المجتمع والتى تعكس التمسك بالأصول الشرعية والاجتماعية الثابتة مع جميع مستويات البيئةالمصرية وتبرز الدلالات الرمزيةالمشكلة لشخصية حسين الدرامية من خلال وصفه الدقيق لأسرة عبدالغفور وحواره الجيد مع عبدالوهاب ونظيرةوفوزية وروزالين ثم فى حديثه مع عبدالغفورالبرعى أثناء طلب الزواج من بنته نظيرة ولعل حسين هو القاص نفسه الذى جرت على لسانه أحداث القصة فوصفها ورواها بمهارة فنية حيث استطاع العرض القصصى تصوير مايلى :

* استبطان العالم النفسى لعبد الوهاب ونظيرة وروزالين
* قام بتحليل وصفى متكامل لسلوك شخوصه النامية (**عبدالوهاب ونظيرة**) .
* أجاد الربط بين نمو الحدث وبين التصاعدالدرامى .
* جمع بين الموضوعية والذاتية فى علاجه للمواقف الاجتماعية مثل موقفه من عبدالوهاب أثناء مراحل خطبته من روزالين ولعل وصفه لنفسه يبرز هذا الازدواج :

القصة ص ١١٧

وتعمدت أن أرتدى البدلة كاملة وان أعلق الكرافت فإنى ذاهب فى لقاء رسمى لإعلان خطوبة صديقى .... وقد جاء فى موعده تماما واتجهنا مباشرة وركبنا سيارتى ..... إن عبدالوهاب ابن المليونيرالمعجزة عبدالغفورلا يملك سيارة ولم يملك فى حياته سيارة بل إنه لايعرف كيف يقود سيارة ... إن أباه مقتنع بأن من يريد من أولاده سيارة فليشترها من ماله بعد أن يكون له مال .... وقلت وأنا أقود سيارتى وبجانبى عبدالوهاب صامتا ساهما ما اسم خطيبتك ... ونظر إلى كأنه يلومنى لهذا السؤال وكأن ليس من حقى أن أعرف اسم خطيبته .... لايصح ... عيب ... ولكنه عادوقال .... – اسمها أمينة أصبح اسمها أمينة ..... قلت وأنالا أهتم بلومه

هل تعمل ... أم أنها هنا للفسحةوالسياحة

وقال بإختصار وبصوت عصبى

انها دكتورة ... طبيبة وسكت ..... ووجدت نفسى أقود السيارة بسرعة تفوق ما تعودته ، وأبذل مجهودا حتى لا ترتعش يداى فوق عجلة القيادة ... أحس كأنى مقدم على عملية خطيرة مثيرة ... وأحس باندفاع صاروخ لرؤية هذه الدكتورة الأمريكية ... أريد أن أراها وأعرفها وأحس كأنى فى طريقى الى الكشف عن أسرار ونقطة ضعفى التى أتعبتنى فى كل حياتى هى إدمانى لهواية الوصول إلى الأسرار) ففى الصور السابقة مايدل على أن حسين الذى سرد الأحداث ووصفها وكان يعرض الموضوع أوالفكرة ويدلى برأيه الخاص سواء بالرفض أوالقبول .

* تكمن الدلالات الرمزية لدرامية شخصية حسين بصورة متكاثفة ومتراكمة يعبر عنها فى تعليقه على المواقف والسلوكيات المختلفة وقد تصاعدت رموز الدراما فى علاقته بنظيرة .

فنية التشكيل التعبيرى : القصة تجربة إنسانية يعبر عنها القاص فى إطار أدبى مثير جذاب يترجم فكره أو قضية تمس كيان المجتمع بإسلوب منهجي موضوعي يتناسب مع طبيعة الفكرة بحيث يعكس بصدق ووضوح فكر الشخوص ورؤيتهم وسلوكهم من واقع زمانى ومكانى ناطق الملامح والمعالم يتجلى فيه فنيه التعبير التى تنبع من عمق الترابط بين العناصر المشكلة للعمل فكل عنصر يمهد لغيره ويهدى إليه ويدل عليه فالشخوص الثابتة من لبنات الأداء الفنى للشخوص النامية والشخوص الثانوية لها أعماق جذرية فى البناء الدرامى للثابتة والنامية فالشخوص جميعها تشكل حلقة كاملة متكاملة مترابطة متداخلة ويتكشف للمتلقى بعد تشابكها عبر تصوير الحدث بدقة ووضوح من منطلق الثنائية البيئية (**الزمان والمكان**) التى تفجر الإطار الحوارى فتعكس حرارة الصراع ومهارة القاصومن هنا تتبلور من مقدرته الفنية على ربط العناصر (**الحدث - الشخوص - الزمان والمكان - الحوار - الصراع**) وتشكيلها من خلال الأداء الفنى الناجح فالتشكيل التعبيرى الناجح هو الذى يتمثل فى الترابط الدقيق والتكامل الواضح بين عناصر العمل بحيث يجد المتلقى أمامه قطعة

القصة ص ١٩ ، ٢٠

فنية معبرة تعلن مهارة القاص فى تصوير ظاهرة بيئية تحرك وجدانه وتشغل فكرة كما حدث للمتلقى فى قصة إحسان عبد القدوس (**لن أعيش فى جلباب أبى**) فهى من الأعمال الدرامية الواقعية الاجتماعية حيث صورت أسرة الرجل العصامى الذى استطاع أن يكون ثروة طائلة من عمله فى وكالة البلح عاش هذا الرجل وعائلته حياة خاضعة لمعايير عامة وأخرى خاصة فالأولى يضبطها القانون الاجتماعى والفكرى للبيئة المصرية والثانية ينظمها قانون عبد الغفور البرعى من واقع منظورة ورؤيته وتقيمه للأمور الحياتيه التى استطاع القاص ترجمتها فنيا من خلال التشكيل التعبيرى والأداء الفنى الدرامى الذى بدأت لمحاته من العنوان ومن أمور عدة منها :

* توفيق القاص فى اختيار عبد الغفور البرعى لأسماء أولاده سنية ونفيسة وبهيرة ونظيرة وعبد الوهاب حيث أجاد القاص فى تشكيله التعبيرى بين الأسماء وبُعده الفنى الذى أراده توصيله على المستوى الجماهيرى فقد أراد تصوير طبيعة سلوكهم وتفكيرهم ورؤيتهم للحياة من واقع المستوى الشعبى الذى يتمسك بالموروث ويرى فيه وجوده وأصالته

* نجح القاص فى التشكيل التعبيرى الدرامى الذى بين درجة الصراع بين المحافظة المعهودة والتحرر الدخيل مثل وصفه الآتى :

(دخلت علينا فوزية وبجانبها أمينة يجران مائدة صغيرة تحمل معدات الشاى وإبريقا من عصير الليمون

وطبقا من البسكوت وتحمل أيضاً بعض الزجاجات زجاجة كمبارى وزجاجة جين كأن البيت يعترف بالحرية لك حق ألاتشرب الخمر ولك حق أن تشرب ..

وفوزية شربت كمبارى وشربت معها .. وزوجها مؤنس شرب من زجاجة الجين .. وكل الباقين اكتفوا بالشاى وأمينة اكتفت بشرب الليمون .. وقد حدث أن مد الدكتور مؤنس يده إلى زجاجة الصودا ليضيف منها إلى كأسه فقامت تساعده وما كادت تلتقط زجاجة الصودا وتهم أن تصل بها إلى مؤنس حتى قال عبد الوهاب فى صوت كأنه زئير الأسد :

حرام ....

وبسرعة ألقت أمينة الزجاجة من يدها ....) (١)

صور المؤلف فى المشهد السابق رؤية هذا القطاع الاجتماعى من أفراد المجتمع المصرى فى تشكيل فنى جيد يتصف بوضوح الألفاظ وترابطها مع الصياغة إلى جانب إصابته فى تشكيل ملامح الصراع الدرامى للفئة المحافظة التى رمز لها القاص بسلوك عبد الوهاب حين عبر عن رفضه العنيف الحاد الغاضب بقوله (**كأنه زئير الأسد**) فعندما يستحضر المتلقى هئية الغضب ونبرة صوت الأسد يدرك أن المؤلف أراد أن ينقل للمتلقى درجة الغضب وطبيعته فى أسلوب تعبيرى قريب وقد أحسن المؤلف التشكيل التعبيرى المعنوى حين

القصة من ص ٢٥

جعل الرفض بهذه الصورة بلسان عبد الوهاب الذى وصفه من قبل بقـولـه (**لقد تدين حتى أصبح غارقاً كله فى الدين**)[1] ويجد المتلقى مثل هذا الربط التشكيلى الفنى يغطى المساحة العامة للأداء القصصى مما جعل العمل ينطق بعلامات الحبكة فالشخوص تعكس سلوكها بصدق من واقع تكوينها الاجتماعى والفكرى وتترجم رؤيتها أثناء نغمات أصواتها بالرفض أو القبول أوالأمل .... ألخ .

* تجلى فى العمل الدقة فى تصوير التصاعد الدرامى للمواقف التى تعالج قضية اجتماعية أو شرعية وعلى سبيل المثال الحوار الذى دار وطيسه بين نظيرة وحسين أثناء قضية طلاق روزالين وعبد الوهاب . فقد اختار القاص التعبيرات والألفاظ التى تدل بصراحة على رفض وقوع الطلاق بهذا الإسلوب التعسفى من قبل روزالين وقد عقد حواراً جيداً بين نظيرة وعبد الغفور البرعى وسنيه وبين فوزية وروزالين ونظيره منه :

(وخرجت وأنا مقتنع بأن عبد الوهاب يجب أن يطلق فعلا دون البحث عن الأسباب .. لأن هذه المرأة لا تستحق الزواج والسؤال القديم عاد يتردد فى رأسى ..ترى ما

الذى يجمع بين روزالين وفوزية ويربط الواحدة بالأخرى كل هذا الرباط إن كلاما كثيرا يتردد حول علاقتهما امرأتان فى حالة حب إحداهما بالأخرى .. ورغم ذلك فإنى لا استطيع أن أصدق ...

القصة ص ١٦ السطر الأول

وقد نقلت كل ما جرى من كلام بينى وبين فوزية إلى نظيرة ... وقالت نظيره فى غل وغيظ بعد أن بقيت صامته طويلا : - لك حق .. سأحرض أخى على توقيع الطلاق ... إن هذا الزواج يعيبه ويعيب العائلة أكثر مما يعيبنا الطلاق حتى لو كان بناء على طلبها ..) [١]

يجد القارئ والمشاهد أن طبيعة الحوار الوارد بشأن الطلاق تنوعت واختلفت حدته واحتدت فيه الحركة الدرامية وتشكل الواقع أثناء رسم سلوك روزالين فقد قال عنها عبد الغفور البرعى رافضا التحاقها بالعمل معه (**مستحيل إن شكلها لا يريحنى ولايطمئنى على أن أعهد إليها بأى عمل**) ووصفها حسين بقوله (**إنما أراها إنسانة قاسية تحقق طموحها بقسوتها ..**) وبهذا تناسقت التعبيرات ووظفت بإسلوب وصفى حوارى جيد جعل المشاهد ماثلةأمام المتلقى مما يشهد للقاص بمهارة قدرته على التشكيل الأدائى الفنى حيث صور فى المشاهد السابقة اتحادية الحدث والشخوص والحوار من خلال التصريح الواقعى تارة والإيحاء الرمزى أخرى مما أدى إلى تشابك العناصر وعمق تفاعلها فعكست التعبيرات إشعاعات الرفض التى تولد من التسلسل الوصفى للحدث .

* أجاد القاص فى عرض الموضوع ومعاينه الجرئية حين نوع فى طرق السرد التى وردت لحيوية الحوار الوصفى والحوار مع النفس والغير مما أضفى على العمل حيوية الجذب وجمال الإثارة

القصة ص ١٣٦
القصة من ص ١٢٨ : ١٣٦

وبواعث المتعة التى كشفت إبداعية المؤلف فى تشكيله الفنى حيث جعل شخوصه ناطقة الملامح واضحة المعالم فعندما يسلك المنهج الوصفى يمهد للمتلقى طبيعة تفكير وسلوك وعواطف شخوصه ويتناول فى وصفه السردى ما يمس بناء الفكر والسلوك والوجدان وعلى سبيل المثال فى وصفه لعبد الغفور البرعى (**إنه لا أحد يعلم شيئا عن أصله وفصله**) ، و(**لايجيد القراءة والكتابة**) ، و (**وفوق رأسه لبدة ملفوفه داخل لفافة ملونة**) و (**يرشو ويهرب ، ويسرق**) فهذه الأوصاف السردية السابقة رسمت لخيال المتلقى شخصية محور العمل عبد الغفور بإعتبارها شخصية ثابتة ذات مستوى واحد أى أنه صورها من منطلق تكوينها الثابت فالتعبيرات السابقة وضحت الزوايا التكوينية لشخصية جاهزه من النواحى الاجتماعية والفكرية والسلوكية والوجدانية وجميعها تشترك فى بناء الكيان الإنسانى لعبد الغفور وهى الشخصية التى حركت دفة سلوكيات شخوص العمل ومهدت للتصاعد الدرامى بإسلوب فنى متكامل المعالم ومرجع ذلك دقة المؤلف فى اختيار الألفاظ وصوغها صياغة موحية بالماضى والحاضر والمستقبل .

ومن وصفه السردى أيضا وصفه لشخصية عبد الوهاب [١] ونظيرة [٢] وفوزية وروزالين التى قال فى وصفه عنها (**إنها**

---

١ – القصة ص ٧ أقرأ الفقرة الأخيرة (ولم يكن عبد الوهاب سعيداً .....)
٢ – القصة ص ٢٢ أقرأ (وقالت نظيرة وهي تبتسم أبتسامة مرحة .....)
٣ – القصة ص ٢٣

ليست [٣] جميلة ليس فيها شئ مما كنت أتخيله من جمال بنات أمريكا ولاحتى نسبة متواضعة من ملامح هذا الجمال ... إنها رفيعة ووجهها ممصوص وعيناها ضيقتان غائرتان وشفتاهاخطان رفيعان يكادان لا يظهران فوق جلدها ... ربما كان ما يميزها هو جبينها الواسع المرتفع كأنه كل وجهها ......) و (لونها الأبيض الفاقع الممسوخ لا يخفف من بياضه قطرة دم من اللون الأحمر ...)

فالوصف السابق لهيئتها الشكلية عمقت فى خيال المتلقى انطباع الرفض النفسى لوجودها على ساحة الأحداث وقد ضاعف من بث الشعور بالرفض الأوصاف الآتية :

(**الفاقع ، والممسوخ ، وقطرة دم**) فالمتلقى عند استحضار أو رؤية هذه السمات يدرك مالهذه الشخصية من أخلاقيات معوجة إلى جانب ما للألفاظ من دلالات رمزية عميقة فالفاقع توحى بشذوذ منهجها وغرابته والممسوخ ترسخ معنى اضطراب شخصيتها وغموضها وقطرة دم تبث فى نفسية المتلقى مالهذه الشخصية من أنانية مفرطه استطاع المؤلف كشفها عن طريق السرد الوصفى الممتع أما وصفه عن طريق الحوار مع النفس فقد برزت فيه براعة التصوير وعمقه وخاصة فى همساته القلبية التى تتعلق بنظيرة وذلك حين صور الصراع المتصاعد النابض الذى يتعلق برجاء وأمل لسراب اللقاء [١] وقد أجاد فيه لتنوع الأسلوب بين الرجاء واليأس

القصة ص ٧٦ : ٨٣

والتمنى ، والحيرة ، والشوق ، والحنين .... الخ أما حواره مع الغير فكان بنفس المستوى الجيد المتلاحم مع الشخوص جميعها .

* تمتع العمل بقدرة فنية تشكيلية وذلك فى تحديد نوعية الشخوص وطبيعتها منذ بداية العرض بإسلوب وصفى مكثف مهد فكر ومشاعر المتلقى الذى أدرك منذ اللحظة الأولى أن شخصية عبد الغفور البرعى جاهزة مسطحة ثابتة مكتملة ذات مستوى واحد وأن الشخصيات الأخرى وخاصة عبد الوهاب ونظيرة من الشخوص النامية التى ظلت فى صراع مستمر حتى نهاية القصة واعتمد فى تشكيله الفنى على تنوع التصوير بين التعبيرات الإسمية والفعلية .

* اعتمد المؤلف فى تصويره الخيالى القصصى على الخيال المؤلف [١] الذى ألف فيه بين المناظر والهيئيات والأشكال والألوان والأصوات بإسلوب سهل بسيط ترابطت فيه الألفاظ فى نسيج تعبيرى متلاحم فعكس صوراً ناطقه موحية هذا إلى جانب استعانته بالخيال المبدع الذى يشكل من الصور المختزنة للأفكار والمعانى والتجارب والمواقف رموزا بشرية تتحرك فى ظروف بيئية متكاملة المعالم من خلال ملكة قادرة على خلق الحياة فى معانيها المجردة ثم إحالتها لنماذج حية ناطقة بالواقع فعبد الغفور مثلا صورة لمعانى عاشت فى نفس القاص كمعنى التحمل والإصرار والحرص ، والتحكم استطاع إحسان عبد القدوس التأليف بينهما فى خلق نموذج بشرى يتحرك ليعكسها بنفس الدرجة التى آمن بها .

---

١ – النقد الأدبى – أحمد آمين – ص ٣٦ ، ٣٧ بتصرف

* جعل المؤلف تشكيله التعبيرى الفنى حلقة درامية متصلة مترابطة ساعد عليه إحساسه المرهف وخياله المبدع ووضوح رؤيته الفنية لفكره ووجدانه وعلى سبيل المثال تصويره للملامح الأساسية لشخوصه الهامشية بإسلوب دقيق ذات بعد درامى يساعد على فهم المراحل الدرامية وتطورها وتصاعدها داخل أعماق الشخوص الرئيسية وليقرأ القارئ ويسترجع المشاهد الحوارية بين حسين ونظيرة:

(إن بابا مليونير وهو مليونير صنع نفسه .. أى انه لاشئ إلا انه مليونير .. ليس واحد من مجتمع المليونيرات - وليس من عائلة كبيرة وليس له نفوذ أو منصب حكومى وجاهل لا يجيد القراءة والكتابة ولا يتكلم إلا فى عمله وكل من يتقدم إليه من الغرباء عنه يتقدم إلى المليونير المشهور صاحب الفلوس .... وكل من يفكر فى الزواج من ابنة الرجل الغنى على طمع فى أن يحقق له هذا الرجل الغنى حياة كلها فلوس إن أختى الكبيرة سنية تقدم لها شاب خريج كلية الحقوق ويعمل فى وظيفة محترمة فى الحكومة ومن عائلة كبيرة معروفة أبوه كان وزيرا .... ووافق بابا اعتمادا على الحسابات التى أجراها عقله ثم كانت أول أزمه عندما فوجئ الشاب بأن عليه ان يبحث عن شقة .. كيف يبحث عن شقة وحماه يملك أربع عمارات فى الزمالك بينهما عماره باسم

خطيبته ... لا يمكن ... ولكن بابا أصر إن الشقة تدخل فى مسئولية الزوج .. الرجل .. وكثر الكلام حتى كادت الزيجة أن تفشل وتدخلت أمى وبذلت كل ما تستطيع بإسلوبها الذى تربت عليه مع أبى إلى أن اقنعته بأن يتولى هو تخصيص الشقة هل تدرى ماذا فعل .. إنه لم يترك لهما شقة فى عمارة لا يملكها ولم يكتب الشقة باسم العريس ولا باسم العروسة ولكنه كتبها باسم أخى .... وتم الزواج ... ولكن زوج أختى سنية لم يستطع أن يثبت أنه رجل وصدم فى أطماعه التى اعتمد عليها فى زواجه فطلق أختى بعد عام واحد هو الذى طلقها ورماها لتتعذب وسط ملايين أبى .... ونفس الأسباب ونفس الحكاية تكررت عندما تزوجت أختى الثانية بهيرة .... وقد دام هذا الزواج أطول مما دام زواج أختى سنية ... تم الطلاق بعد عامين ...) فالشخوص : سنية و بهيرة ونفيسة والأم وردت فى العمل بصورة هامشية وسريعة إلا أن ورودها شكل بعدا فنيا ساعد على فهم المراحل التطورية لكل من شخصية نظيرة وعبد الوهاب وتطورها الدرامى .

* كشف المؤلف عناصر العمل القصصى الآتية :

الحدث : الرئيسى والهامشى

الشخوص : ١- الثابتة (الجاهزة - المسطحة -

راجع القصة ص ٩٦ : ١٠٠

البسيطة ـ ذات المستوى الواحد ـ غير المعقدة)

٢ـ النامية

البيئة : الزمانية والمكانية

السرد والحوار :

١ـ السرد الوصفى

٢ـ الحوار مع النفس

٣ـ الحوار مع الغير

من هذا المنطلق يجد المتلقى أن العناصر السابقة تشابكت وتلاحمت واحتدمت فى تطورها الدرامى الذى شعبه الصراع الناتج من الظروف الخارجية والذاتية فتصل العقدة إلى ذروتها ليكشف الربط الفنى الجيد طبيعة العلاقة بين العنوان وبين الحركة الدرامية لسير الأحداث وهما بدورهما يدلان على الصرخة الصامته للشخوص التى تعلن الخروج على منهج الأب بقصد الاستقلالية الذاتية والحرية البنائية وقد جسد هذا التمرد والثورة عبد الوهاب ونظيرة حيث رفضا الاستسلام لرؤية الأب ومنهجه فى الحياة مع الاقتناع بفضل أبوته والاعتراف بحقه فى كيفية إدارة أملاكه وقد وصلت الحبكة الفنية للتشكيل التعبيرى إلى ذروتها من خلال خيوط نسيج الحلقة الدرامية الواقعية التى عبرت بصدق عن فئة من فئات المجتمع المصرى .

ومما سبق يتبين للمتلقى أن القصة (**لن أعيش فى جلباب أبى**) تمتعت بفنية التشكيل التعبيرى حيث استطاع المؤلف بمهارته الأدبية وحاسته الإبداعية توصيل الهيئات والأشكال والأصوات و

الانفعالات إلى المشاهد والقارئ بدقة ووضوح وبإسلوب جذاب مثير تولد من صدق معايشته لأفكار ومعانى ورموز ووجدانيات العناصر البنائية لقصته فشخصية عبد الغفور البرعى شخصية نمطيةمن الطراز المصرى التقليدى الذى يتمسك بالعادات والتقاليد الموروثة له رؤية خاصة فى الحياة نبعت من ظروفه التى أثرت على سلوكه وقراراته وانفعالاته هذه الشخصية بما لها من مكونات اجتماعية وفكرية ونفسية تمثلها إحسان عبد القدوس بوعى أدبى وصدق فنى وتعايش معها كأنه هى حتى خرجت للعالم القصصى المحسوس ناطقة معبرة كما تصورها بالشكل وبالصوت وبالهيئة وبالسلوكيات وبالعواطف فنقلت إلى المتلقى بنفس درجتها وطبيعتها التى أرادها مبدعها الذى كان أكثر إبداعا فى تعايشه مع شخصية نظيرة وخاصة عند لحظات استبطان عالمها النفسى الذى صوره المؤلف عبر مراحل التصاعد الدرامى الاجتماعى والعاطفى تارة والفكرى أخرى بخطوط فنية تشكيليه تعبيرية جعلها ناطقة أمام المتلقى الذى أدرك أنها هى الأخرى تعلن (**لن أعيش فى جلباب أبى**) .

الاستبيان الجماهيرى

القصة تجربة إنسانية ورؤية حياتية فهى وليدة لمجتمعها وبيئتها لما تصوره من واقعها وخيالها وأحلامها وآمالها وطموحها وعاداتها وتقاليدها وقيمها فالقصة مرآة ناطقة بأحوال البيئة معبرة عن فكرها ونحن فى عالمنا العربى نتمتع بحيوية وتجدد وخصوبة وتأثر وتفاعل وتجاوب لما لنا من فكر يقظ وإحساس فطن ومشاعر متدفقة وخيال رحب وفصاحة تعبيرية قادرة على تصوير المواقف والأحداث والوقائع من خلال لغتنا الخصبة التى تتميز بالعطاء اللغوى والثراء البيانى المطلق فاللغة العربية لغة فكر وإحساس وخيال ولأصحابها استعدادات طيبة ومواهب ابتكارية وإبداعات خلاقة وعلى سبيل المثال يجد المتلقى فى مصرنا غزارة الإعداد الأدبى الفنى النقدى والذى ساعد عليه طلاقة اللغة العربية وقدرتها على الخلق التعبيرى المطلق فهى تشبع فى أصحابها ورغباتهم الوجدانية واحتياجاتهم الفكرية يضاف لهذا ما تفيض به مصر من كثرة كاثرة تتمثل فى المؤلفين المبدعين ويشهد بذلك نجاح الآثار الأدبية الفنية على جميع المستويات العمرية والفكرية والوظيفية فالسمة الإبداعية تتبلور فى درجة مهارة المؤلف ، والمعد والمخرج على جذب وإثارة وتشويق الجمهور سواء بالقراءة أو التمثيل فالإبداع موهبة وإلهام ومصداقية ولعل المتلقى وقف على درجة من درجات الإبداع الفنى لقصة إحسان عبد القدوس (**لن أعيش فى جلباب أبى**) الذى شاهدها جمهور الشعب المصرى على الشاشة الفضية حيث اجتذبهم العمل

لدرجة جعلتهم يحرصون على المتابعة الواعية للأحداث ومافيها من رؤية اجتماعية واقعية تناقش بعض العادات والتقاليد التى سادت فى فئة من فئات الشعب المصرى ولما حققه العمل من نجاح جماهيرى وجد البحث استكمالا لعناصره الموضوعية مناقشة بعض المشاهدين والقراء مع اختلاف الأعمار والثقافات حتى يتبين درجة قبول الذوق الأدبى المصرى للعمل وذلك من خلال هذا الاستبيان الجماهيرى :

* **السيدة الأستاذة عواطف أحمد أبو زيد** مديرة مدرسة أمير الشعراء منطقة عين شمس .

ترى أن العمل يمتاز بالهدف الاجتماعى حيث صور كفاح الأب العصامى الذى استطاع ان يبنى نفسه من العدم وفى هذا دعوة للشباب بقصد الاعتماد على النفس مع الإصرار وتحدى الصعوبات فالموضوع يتسم بالجمال الاجتماعى .

* **محمد رمضان عبدالله** طالب بتجارة بنها قال :إن المسلسل يتميز بالجذب والإثارة وخاصة فى تصوير شخصية (**عبد الغفور البرعى**) حيث استطاع المؤلف تعميق التصاعد الدرامى فى تكوينها فهى شخصية يبدو فى سلوكها وانفعالاتها البخل الشديد ولكن مهارة المؤلف والمعد والمخرج والسيناريو جعلت المشاهد يتريث فى التقاط المعنى الحقيقى لسلوكه الذى يتجلى فى الحرص والرغبة فى بناء أولاده بإسلوب جاد من رؤيته الاجتماعية

* **مروة رمضان عبدالله** طالبة فى (السنة الثانية

ثانوى علمى).

قالت : ان شخصية عبد الوهاب تمثل المنهج الاستقلالى ولكنه يعكس رؤية سلبية محددة النطاق إلا أن نجاح هذه الشخصية ينبثق من واقعية وجودها فى المجتمع المصرى وقد أعجبت الطالبة بطموح نظيرة العلمى قائلة ان فى هذا دعوة للتمسك بطلب العلم وتحصيل المعارف مهما كانت ظروف البيئة .

* **محمد السعيد عبد العزيز رضوان** طالب فى السنة الثالثة آداب عين شمس قسم علم النفس : قال ان القصة تمثل الصراع الدرامى بين جيلين وتهدف إلى ضرورة تقريب وجهات النظر بينهما لتفادى تمزق الروابط الأسرية فعلى الأب محاولة التجدد ومسايرة روح العصر وعلى الابن محاولة التقرب من أبيه بإسلوب مقنع مهذب منبثق من وحى الشرع والأصول الاجتماعية وقد رفض سلبية عبد الوهاب وتحرر نظيرة ذاكراً أنهما من الأمور الفردية فى مجتمعنا أما عبد الغفورالبرعى فشخصية واقعية عكست بجلاء الدراما الاجتماعية النابعة من وحى البيئة المصرية ويرى أن هذه الشخصية هى أساس الجذب الجماهيرى .

* **أحمد السعيد رضوان** خريج قسم التاريخ والحضارة جامعة الأزهر : يرى أن القصة عكست رؤية درامية تمتاز بالحبكة الفنية وخاصة فى تصوير خيوط العلاقة الأسرية وقد دفع إلى نجاح العمل الروح الواقعية التى تجلت فى صدق الموضوع وارتباطه بالبيئة المصرية وقد ربط فى رؤية جديدة بين مجال الموضوع وبين

الجمال الايقاعى للأنغام التى لازمت العمل مبيناً أن الموسيقى المعبرة من دواعى نجاح النص التمثيلى

طالبات الفرقة الرابعة شعبة اللغة العربية جامعة الأزهر -القاهرةعنهن

*** مروة على محمد فوزى :**

ترى أن العمل تمتع بالحبكة الفنية النابعة من الصدق الأدبى بالنسبة لمعظم شخوص العمل ماعدا شخصية نظيرة التى بالغ العرض فى تصوير درجة تحررها مما وضع سداً بين تكوينها وسلوكها وبين الفتاة المصرية وقد صرحت الطالبة بأن شخصية نظيرةمن الأنماط الفردية النادرة فى المجتمع المصرى فالعمل يتمتع بصدق الواقع مع التجاوز عن بعض المبالغات والمفارقات الوردة فى العرض

*** عبير رفاعى على عبد العزيز رفاعى :**

صرحت بأن نجاح العمل مرجعه إلى تصويره بصدق لقطاع من قطاعات المجتمع المصرى وخاصة شخصية عبد الغفور وماجسدته من حرص شديد نبع من خوفه على أولاده والمسلسل من وجهة نظرها يعكس لوناً من ألوان الحياة الاجتماعية المصرية إلا أنها أخذت على المسلسل تهميش دور الشخوص والتركيز على شخصية نظيرة

*** منيرة محمد عبد الحميد على :** قالت أن القصة واقعية اجتماعية هادفة فهى تصور الصراع بين الأجيال الأباء والأبناء ولكنها أخذت على العرض القصصى المبالغة والتكلف فى سلوك عبد

الوهاب تارة ونظيرة أخرى مع تهميش دور (الأم) التى بدت سلبيتها بإسلوب يخالف تغيرها الاجتماعى .

* حنان عبد المنعم على (وافدة) :

أن النص يتمتع بالموضوعية والإبداع الفنى والقدرة على الجذب والتشويق وقد تجلى ذلك فى متابعة الجمهور لتطور أحداثه .

أما شيماء السيد محمد :

فذكرت زن القصة تمتاز بالطبع الاجتماعى الواقعى القادر على إثارة الانفعال الدرامى وإحداث المشاركة الفكرية والوجدانية بين النص المكتوب أو المعروض وبين المتلقى .

* إيمان محمود عبد الصبورمحمد :

ذكرت أن القصة تمتعت بالموضوعية الواقعية مما حقق لها النجاح على المستوى الجماهيرى لدى الخاصة والعامة وقد أعجبتها شخصية عبد الغفور البرعى لأنها الشخصية التى تجلى فيها صدق الصراع الدرامى المتمثل فى الرفض الانفعالى والقبول العاطفى بإسلوب ملموس نابع وحى البيئة المصرية .

جاكلين اسحق : خريجة المعهد الفنى التجارى ترى أن القصة اجتماعية هادفة ترمى إلى العلاج النفسى الايحائى فهى تحث الأباء بإسلوب رفيع على جذب الأبناء للحفاظ على الترابط الأسرى فلكل جيل متطلباته وظروفه واحتياجاته وقالت أن عبد الوهاب من الرموز الهادفة فى هذا العمل الدرامى الجيد حيث عكس النتيجة الطبيعية لسيطرة الأب والمتمثلة فى رفضه وهروبه من مصر إلى الخارج بل

أن الابن أمعن فى الرفض والهروب حين تزوج من أمريكية قوية الشخصية لأنه فى داخله يرفض سيطرة الأب وسلبية الأم

هناء أنسى : خريجة تجارة عين شمس

قالت : ان القصة تمتاز بالواقعية الاجتماعية المثيرة وان عوامل الجذب الدرامى كانت كامنة فى تكوين عبد الغفورالبرعى الذى أثر تأثيرا مباشراً فى تشكيل الأبناء وقد أعجبها الأسلوب الحوارى للعمل لتنوعه مما أضفى على النص الحيوية إلى جانب قدرة المؤلف على توظيف السرد للتصاعد الانفعالى المتتابع إلا أنها أخذت على النص الإكثار فى الهمسات النفسية والمناجاة الذاتية التى تجلت فى شخصية (**حسين**) مما أدى إلى تسرب الملل أحياناً للمتلقى .

نبيل فايق الضبع : جواهرجى

يرى أن العمل يمثل رؤية اجتماعية جادة عبر الأحداث والحوار الذ ى شكله المؤلف لخدمة المغزى الدرامى حيث استطاع توظيف اللغة السردية والحوارية بمستويات فنية قادرة على الإثارة الجماهيرية وقد برز ذلك من خلال الربط بين المقدمات والمعطيات والنتائج فاستخدم التكثيف الانفعالى والتركيز اللغوى والإيحاء اللفظى مع الحرص على التتابع الزمنى وصرح بان العمل نبع من الواقع المصرى ولاتزال آثاره إلى اليوم ولهذا يعد إعداده وعرضه دعوة للتفتح للحفاظ على الروابط الأسرية من منطلق ضرورة حدوث توعية اجتماعية وقد ختم الحديث عن رؤيته بأن النص بماله من واقعية وصدق ووضوح أدائى جذبنى لمتابعته فإن عملى وطبيعته

التى أمدتنى بمعرفة الجيد الأصيل والردىء الدخيل جعلتنى أعلن جودة (**لن أعيش فى جلباب أبى**) كقصة صراع اجتماعى وسوف احتفظ تجاه بعض المبالغات وما ورد من تكرار واضطراب فى تصوير ملامح الشخوص مما أدى إلى تداخل حدود الزمان والمكان للايهام بالواقع !

ومن الجدير بالذكر أن المقتطفات السابقة من الأراء عبرت بصدق ووضوح عن جميع الأراء التى تعايشت مع العمل القصصى وأعلنت واقعيته وحيويته وانطلاقه من البيئة المصرية .

وبعد ، فالبحث ينادى المبدعين والإعلام المصرى بتكثيف جهودهم لتقديم المزيد من الأعمال الهادفة التى تعمل على البناء الفكرى الواعى والنفسى السوى وترقية الذوق الفنى المصرى والنهوض به من خلال الإمتاع الأدبى الذى يغرس فى النفس آيات السمو وملامح الجمال .

الخاتمة

القصة تجربة إنسانية واستجابة فطرية ونداء وجدانى تصور من خلال إطارها وعناصرها بيئتها بما لها من ملابسات وظروف وقد عرفها المجتمع العربى منذ العصر الجاهلى فى أشكال أدبية متنوعة بين المثل والحكمة والقصة الواردة فى أشعارهم وقد تطورت هذه الألوان ببزوغ الإسلام الذى رسم فى القرآن الكريم الأصول المنهجية للقصة باعتبار أن القصص رؤية حياتية واقعية تنبع من وحى البيئة الإنسانية وقد استمر البناء القصصى فى التطور والتجدد من منبع إشباع الإحتياجات البشرية المختلفة (**الدينيــــة والفكرية والوجدانيــة والسياسيــة والتاريخية والعلمية**) ولهـذا قـام البحث بتدرج فى العرض الموضوعى الفنى لهذا الفن فتناول بالمعالجة مايلى :

التصدير : تناول مفهوم القصة وطبيعتها وبذورها فى العصر الجاهلى .

المبحث الأول : عرض للنشاط القصصى بعد الإسلام وما فى هذا النشاط من تعدد وتلون وتطور لملكةالإعدادالفنى القصصى وماله من أهداف وقيم

المبحث الثانى : عالج البحث فيه الألوان القصصية مثل : الرواية ، والقصة القصيرة ، والأقصوصة والمقال القصصى ثم تناول

الفروق الفنية بين الألوان القصصية وذلك من خلال التركيز على الأصول والأسس البنائية لكل لون .

المبحث الثالث : تعرض البحث فيه للاتجاهات الموضوعية للقصة فى العصر الحديث فتناول القصة التعليمية ، والتاريخية وقصة السيرة بالإضافة إلى نبذة سريعة عن قصص الطفولة .

المبحث الرابع : تناول فيه البحث العناصر البنائية التى تلعب دورا فى تشكيل الأداء الفنى والبنائى للقصة فناقش المبحث الشخصية وأنواعها والحدث وطبيعته كما بين أهمية الثنائية البيئية (الزمان والمكان) فى إعداد العمل القصصى ثم أشار إلى علاقة السرد والحوار بروح العمل وأنواعه وسبل نجاحه وأسس تحقيق المتعة الفنية عن طريقه .

المبحث الخامس : بين فيه البحث علاقة الأدب بالحياة والبيئة ودور النقد فى الرقى الأدبى والفنى ثم عرض النص الأدبى (**لن أعيش فى جلباب أبى**) بصورة كلية تيسيراً للباحث الذى يرغب فى قراءة النص بإسلوب تدريجى يعتمد على التسلسل المنهجى الموضوعى للقصة ثم عقب البحث بالنظرات الأدبية والنقدية ثم عقب بالاستبيان الجماهيرى الذى عرض بعض الأراء التى ناقشت بفنية ووعى أحداث القصة وقد اختار الاستبيان مجموعة من وجهات النظر التى عبرت بصدق ووضوح وشمولية عن جميع الأراء .

المصادر والمراجع

القران الكريم

أحمد أمين — النقد الأدبى — مكتبة النهضة المصرية ١٩٨٣م

أحمد الشايب — الأسلوب — مكتبة النهضة

أحمد مكى — الأدب المقارن — دار المعارف ١٩٨٧م

أحمد هيكل — الأدب القسسى فى مصر دار المعارف ١٩٨٣م

الجاحظ — رسائل الجاحظ — تحقيق عبد السلام هارون ١٩٧٩م

سيد حامد — اتجاهات القصة القصيرة ١٩٨٨م

، تطورفن القصة القصيرة فى مصر — الطبعةالثانية

شكرى عياد — القصة القصيرة فى مصر — دارالمعرفة ١٩٧٩م

صلاح فضل — عين النقد على الراوية الجديدة — دار قباء ١٩٩٨م

طه وادى — دراسات فى نقد الرواية — دار المعارف ١٩٩٣م

عبد المحسن طه — تطور الرواية العربية الحديثة — دار المعارف

عزالدين إسماعيل — الأسس الجمالية فى النقد العربى ١٩٨٦م

على شلش — فى عالم القصة ١٩٧٨م

فتحى الإبيارى   عالم محمود تيمور القصصى الهيئة العامة لكتاب ١٩٩٤م

مجاهد عبد المنعم   جماليات القصة القصيرة المعاصرة   دار الثقافة والنشر

محمد السيد الحديدى   الفن القصصى فى ضوء النقد الأدبى   ١٩٩٦م

محمد محمود   فن معايشة القصة القصيرة
الهيئة المصرية العامة لكتاب ١٩٩٥م

محمد مندور   الأدب وفنونه
دار النهضة المصرية
الأدب ومذاهبه
دار نهضة مصر .

مراد مبروك   الظواهر الفنية فى القصة القصيرة
الهيئة المصرية العامة لكتاب   ١٩٨٩م

نادية أحمد مسعد   الطفوله فى شعر الهراوى
المطبعة الإسلامية   ١٩٩٥م

نبيل راغب   الدراما الواقعية
الهيئة – المصرية العامة للكتاب   ١٩٨٢م

محمود تيمور   رائد للتحديث الأدبى
الهيئة – المصرية العامة لكتاب   ١٩٩٦م

يوسف حسن   القصة بعد جيل نجيب محفوظ
دار المعارف

يوسف الشارونى   مع الدراما
الهيئة المصرية العامة للكتاب   ١٩٨٩م

الفهرس

(وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين)

صدق الله العظيم